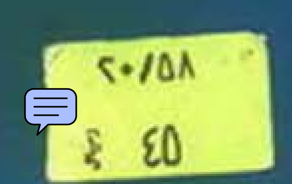
نمر العدوان

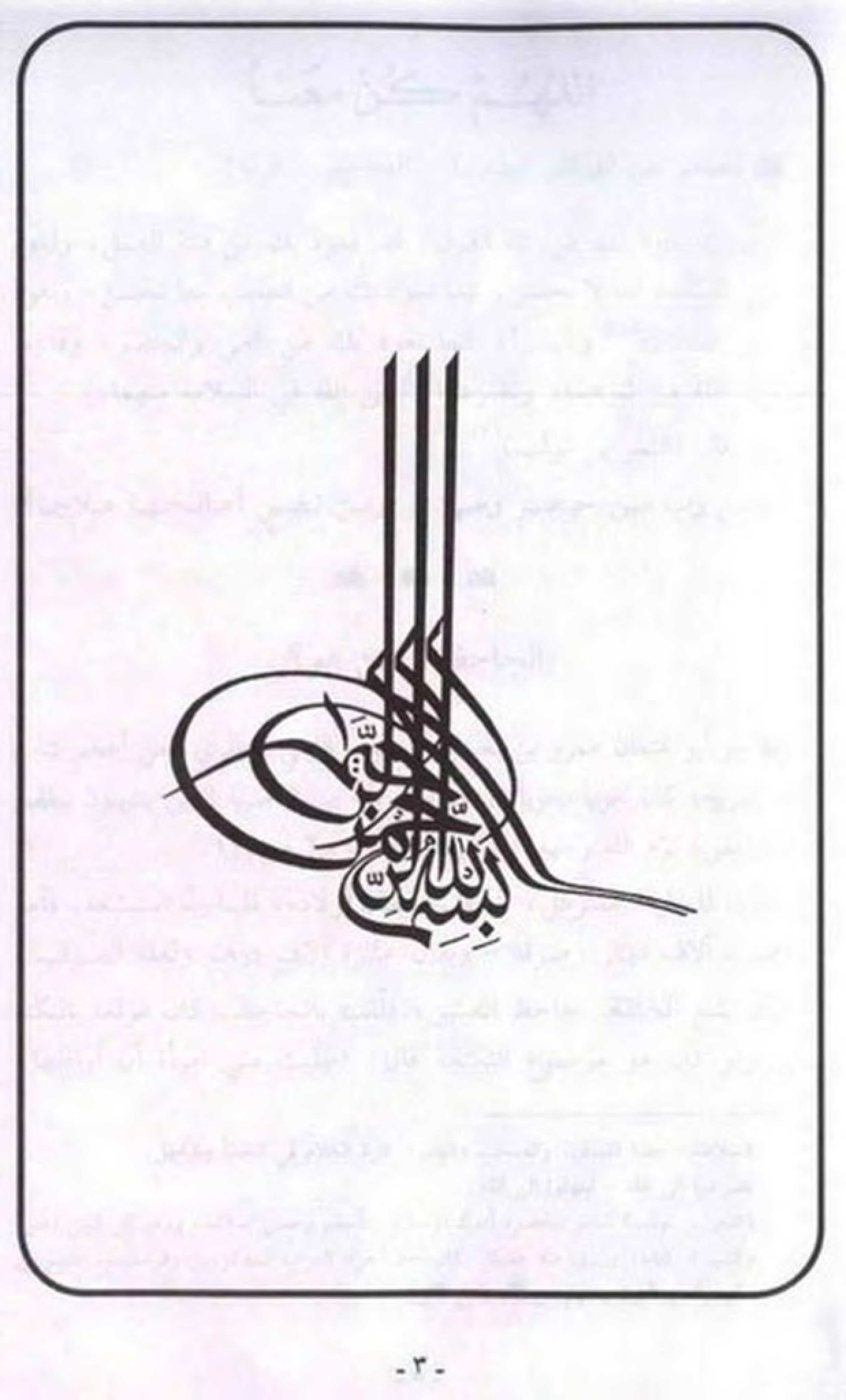
شاعر الحب والوفاء
حياته وشعره

المؤلف
روكس بن زائد العزيزي



ﻫ بيليوجرافية الكتاب

- اسم الكتاب: نمر العدوان. شاعر الحب والوفاء.. حياته وشعره.
- المؤلف: روكس بن زائد العزيزي.
- موضوع الكتاب: تراجم.
- الناشر: شركة الربيعان للنشر والتوزيع.
- مكان الطبعة: الكويت - الطبعة الثانية ١٩٩٧م.
- حقوق الطبعة الثانية: محفوظة للمؤلف والناشر.
- عنوان الناشر: الكويت ص.ب ٢٥٤٠١ صفاة 13115
هاتف ٢٦٤٩٤٧٩ - ٢٦٢١٤٥٠
٢٦٦٨٢٦١ فاكس ٢٦٦٨٢٦٢


بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم كن معنا

ﷺ أستعير من (فولتير العرب) - الجاحظ - قوله:

اللّهم إنا نعوذ بك من فتنة القول، كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلّف لما لا نحسن، كما نعوذ بك من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من السلاطة[1] والهذر!، كما نعوذ بك من العي والحصر، وقديما تعوذوا بالله من شرهما، وتضرعوا[2] إلى الله في السلامة منهما.

وقد قال (النمر بن تولب)[3]:

«أعِذْني ربِّ مـن حـصـرٍ وعـي ومـن نـفـسٍ أعـالجُـها عـلاجا!»

ﷺ ﷺ ﷺ

الجاحظ - من هو؟

ﷺ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي البصري، من أعظم كتاب اللغة العربية، كان لغويا نحويا بارعا، اتهم بأنه من الناصبية الذين يتدينون ببغض الإمام (علي) كرّم الله وجهه - الكنى والألقاب ج٢ ص١٢٤.

ذكروه للخليفة المتوكل، فأحضره ليعلم أولاده، فلما رآه استبشعه، فأمر له بعشرة آلاف دينار وصرفه - ويقال عشرة آلاف درهم ولعله الصواب.

كان بشع الخلقة، جاحظ العينين، فلّقب بالجاحظ، كان مولعا بالنكتة حتى ولو كان هو موضوع النكتة، قال: «طلبت مني امرأة أن أرافقها،

---

(١) السلاطة - حدة اللسان، والصخب والهذر: كثرة الكلام في الخطأ والباطل.

(٢) تضرعوا إلى الله - ابتهلوا إلى الله.

(٣) (النمر بن تولب) شاعر مخضرم أدرك الإسلام، فأسلم وحسن إسلامه، ووفد إلى النبي (ص) وكتب له كتابا، وروى عنه حديثا، كان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم، منهم من ذكره بكسر النون ومنهم من قال بفتح النون.

فسرت معها وأنا أجهل ما تريد مني، فلما وصلنا إلى صواغ أشارت إليه قائلة: «**مثل هذا، وانصرفت**». فلما سألت الصواغ، ماذا قصدت هذه السيدة؟ أجاب: لقد طلبت إليَّ أن أنقش على خاتمها صورة الشيطان - تعويذة- فقلت لها: إني لم أر الشيطان في حياتي، فذهبت، وأتت بك كما ترى.

وهو أول عالم عربي جمع بين الجد والهزل. كتب على كل موضوع عرف في عصره، فكتب في الحيوان والنبات والأخلاق، والاجتماع، وتوسع في المحاضرات. وهب له الله ذاكرة مصورة، فكان يعي الكتاب إذا قرأه مرة واحدة. أصيب بالفالج، كتبه تزيد عن المائتين. كتبه تعلم العقل أولاً والأدب ثانيا. طال عمره إلى أن شارف على المائة، سقطت عليه كتبه، فمات تحتها سنة ٢٥٥ للهجرة.

تحية لـ (ياجوز)[٤]

تحية لـ (ياجوز) الهادئة النظيفة!

(ياجوز) التي حوت ضريحا ضم نبلا، وكرما، وشجاعة، وإباء، ووفاء، وحبا وتحليقا في عالم الشعر الصادق الأصيل.

تحية لـ (ياجوز) التي ثوى فيها الشاعر الخالد (نمر العدوان)!..

❁ ❁ ❁

زرت هذا الضريح مع صديقي النبيل الدكتور الأستاذ (رؤوف أبو جابر). وقفت عند ذاك الضريح، الذي أخذت الأيام تبلي نصائبه[٥].

---

(٤) يسمي الأستاذ (عبداللطيف البرغوثي) المكان الذي دفن فيه (نمر) - عين العجوز - ولعل ياجوز تحريف.

(٥) النصبة في اللغة واحدة النصائب، وهي الحجارة التي توضع حول الحوض. أما الأرادنة فيستعملون الكلمة للتي توضع حول الضريح أو عليه فآثرناها.

لقد حاولنا، أن نجد الأبيات، التي كتبها بخطه، وأوصى أن تنقش على قبره. فلم نرها، في حين أن الرحالة المستشرق الدكتور (سيلاه مرل)، شاهد تلك الأبيات، لكن عجميته حالت دون الاهتمام بها، لكنه - لحسن الحظ - قد دوّن تاريخ وفاته سنة ١٢٣٨هـ الموافقه لـ ١٨٢٣م، فصار من السهل علينا، أن نعين تاريخ ميلاده في ضوء الروايات المختلفة، فقد ذكر لنا الشيخ (خلف الفهد النمر العدوان)، أن (نمر) عاش ثمانيا وسبعين سنة. فإن صح ما قال الشيخ الفاضل - وأعتقد أنه هو الصحيح - لأن هذا الشيخ الفاضل، انفرد بالاهتمام بأخبار نمر العدوان. وعلى هذا الأساس يكون المرحوم نمر قد ولد سنة ١٧٣٥م. أما أبيات الشعر التي كتبها قبل أن تتولاه الغيبوبة بأيام، لما شعر بأن الرحلة أضحت وشيكة، فهي:

تنقلك المنايا من ديارك،	**واتحطّك بديار غير دارك**[٦]
دود القبر يرعى بعيونك	**واعيون الناس ترعى بديارك**[٧]
إو ما تقدر ترد الدود عنك	**إو لا تحرز تحامي عن ديارك**[٨]

* * *

أما كيف أحببت (نمر العدوان)، ومن الذي زرعه في قلبي، فهو المرحوم والدي، الذي كان يعجب بهذا الفارس المحب العجيب، وقد كان يعجب بأولى قصائده في الرثاء عند قبر وضحا[٩].

سر يا قلم بكاغد لي واسرع	**واكتب على ما أريد أن أفهم واسمع!**

وجاء القدر يحكم الصلة بيننا، فانتزع مني وضحاي، كما انتزع منه وضحاه، فخلدت حبي لها بكتابي جمد الدمع.

---

(٦) ينقلك الموت من ديارك، ويضعك بديار غير دارك.

(٧) دود القبر يرعى عينيك، وعيون الناس تقتحم ديارك.

(٨) ما تستطيع أن ترد الدود عن نفسك، ولا تستطيع أن تحامي عن ديارك.

(٩) حزنت لدى وقوفي عند ضريح نمر للإهمال الذي يشوه المقبرة، فأدعو أهل ياجوز إلى تكريم ضيفهم العظيم بصيانة المقبرة التي يأوي إليها.

مقدمة

(نمر العدوان) الشاعر الفارس، الذي تحلى بكل أخلاق الفروسية من: شمم، وشهامة، وشجاعة، وكرم، وسبق لعصره، ولمحيطه، وتجديد للعادات والتقاليد، واحترام للمرأة، ووفاء. إلى علم منحه شجاعة أدبية خلدته!

إن الذي يتحلى بكل هذه المزايا، يستحق منا أن نكتب عليه كتابا، بعد أن كتبنا عليه مسلسلا إذاعيا مؤلفا من ثلاثين حلقة، سنة ١٩٧٥م، أذاعته الإذاعة الأردنية. ومسلسلا تلفزيونيا مؤلفا من ثلاث عشرة حلقة عرضها تلفزيون (دبي) الملون، ثم عرضته أكثر البلاد العربية، واليوم نضع هذا الكتاب مشتملا على حياة هذا الشاعر الفارس، وعلى كل ما استطعنا أن نصل إليه من أخباره وأشعاره، لا بل تأوهات روحه، بأسلوبه الفذ بين شعراء الشعب في البادية، فعد مبتكرا!

* * *

أجل، لقد كان (نمر العدوان) ممثلا للفروسية في البادية الأردنية، التي هي منبت البطولات، فقد كان تجوالي في البادية، من سنة ١٩٢٢ - إلى سنة ١٩٣٨م، مساعدا لي على اكتشاف ما في البداوة النقية من:

أ - الأصالة،

ب- والأمانة،

ج - والاعتراف بالجميل،

د - والمحافظة على الجار،

هـ - والنخوة،

و - والصدق،

ز - واحترام الخصم، وهو من أشرف الخصال على ما أعتقد.

مزايا فرضت علي الأمانة، أن أسجلها باعتزاز!

أضرب مثلاً على احترام الخصم، ما وقع بين:

أ - (نمر العدوان) وخصمه.

ب - (مطلق السلمان) فارس من فرسان الخرشان ومشايخهم، فقد أراد كل منهما أن يصبغ سيفه بدماء خصمه، فاسمع كيف يخاطب أحدهما الآخر: قال (مطلق السلمان):

«ياالطروش يااللي صوب غربا تمدون   يا اموافقين الرشد خذم وصاتي[10]

ع (نمر ابن عدوان) لزوم تلفون   ريف المقاوي أو حامي التالبات[11]

التفسير: -

١ - أيها الرسل المتجهون إلى الغرب، أسأل الله أن يوفقكم لكل مافيه الخير، تمسكوا بوصيتي.

٢ - يجب أن تحلوا ضيوفا بمضافة (نمر العدوان)، إن ضيافته خصب لكل جائع - أي منتهى الكرم - وهو فوق كرمه يحمي ببطولته ساقة الغزاة، إذا اشتد عليهم القتال، وخافوا الهزيمة، ولم يلتفتوا لمؤخرة الغزاة.

* * *

ويرد عليه (نمر العدوان) على الوزن والقافية، مثنيا عليه بمثل ثنائه قائلا:

يا اطروش يااللي صوب شرقاً تمدون،   يا اموافقين الرشد خذم وصاتي[12]

ع (مطلق السلمان) لزوم تلفون،   عقبَ الغدا ايهلي بكم للمباتِ[13]

يرسل على حايل آمن الخور جابون   قطع عصبها ابماضي المرهفات[14]

ريف المقاوى - على ما يعدون»   اللي يمينه لون، نهر الفرات[15]

التفسير:

١٢ - أيها الرسل المتجهون إلى الشرق، أسأل الله أن يوفقكم لكل ما فيه الخير، تمسكوا بوصيتي.

١٣ - يجب أن تحلوا ضيوفا بمضافة مطلق السلمان، بعد أن تتناولوا طعام الغذاء، يؤهل بكم بعد أن كرمكم بوليمة الغذاء، فيدعوكم إلى المبيت، ليبالغ في تكريمكم، فيرسل من يحضر من غنمه نعجة سمينة، مرّ بها حول لم تلد، فقطع قوائمها بسيفه المرهف الحاد - يعقرها -

١٥ - لأنه خصب للجائعين - على ما يذكر عارفوه - ويمينه تشبه نهر الفرات سخاء.

* * *

بمثل هذا التهذيب كان الخصوم يذكر بعضهم بعضا، وإذا التقوا في ساحات القتال، كانوا أسودا، وإذا شعر أحدهم بأن خصمه منتصر عليه لا محالة. وأنه يريد ذبحه، سلم لمجرد قوله: «**أنا أبوجهك**» عندما يأسره، فيسمى المنيع. وأحيانا يقول المنتصر «**أمنع بوجهي**»، فيستسلم، إلا أن يكون للمنتصر عند المغلوب ثأر ثابت، وقد تكفي قوله المغلوب: «**أنا أبوجهك**»، أي مستجير بك.

* * *

وقد كان الشعر الشعبي - قبل تأسيس الإمارة، فالمملكة الأردنية الهاشمية - هو الوسيلة الوحيدة للتعبير عن النفس، في حفلاتنا وفي أعراسنا، وفي المآتم في الخصومات. فكانت النساء يقمن حفلات المعيد[١٦]،

---

(١٦) المعيد في اللهجة الأردنية، يعني تعداد حسنات الميت، إذا كان من الوجهاء، وتردد أبيات المعيدالنساء وهن واقفات.

والنواح[١٧]، وكانت هذه المآتم تقام أربعين يوما، إذا كان الميت ذا منزلة محترمة، فحولت المدة إلى سبعة أيام، ثم حولت إلى ثلاثة أيام، وكانت النساء يرافقن الميت إلى المقبرة ويمزقن ثيابهن، وكثيرا ما تبدو بعضهن عارية تماما، فأبطل مرافقة النساء الميت إلى القبر - في مادبا - المرحوم (سليم باشا مرار العزيزات)[١٨] وحول الأربعين يوما إلى سبعة أيام المرحوم والدي[١٩]، ثم جعل سيادة المنيسنور (جورج سابا) - أيام كان راعيا لطائفة مادبا - أيام التعزية ثلاثة أيام. ومنع إقامة الولائم عند الموت، إلا في اليوم الأول، وقد كانت الولائم قديما تستمر أربعين يوما، وتظل أعمال أهل الميت، كل هذه المدة، معطلة. وكانوا يسمون أهل الميت في (مادبا) وضواحيها (المجبرين)، وفي بعض أنحاء الأردن يسمونهم (المناقيص).

هذا ما دعاني إلى وضع هذا الكتاب، خوفا من أن تضيع هذه الأمور - مع الأيام- أما (نمر) - يرحمه الله - فقد تنبه إلى شعره المستشرقون قبلنا.

أ - فقد ترجم قصيدة له بالألمانية قنصل (بروسيا) في دمشق سنة ١٨٦٠م.

ب - ثم ترجم له مستشرق أمريكي أشعارا بالألمانية، نشرتها له مجلة الشركة الألمانية الشرقية.

جـ - واهتم لشعره كاهن إيطالي من أصل أسباني اسمه الأب انطون فرجاللي، ولعل الاسم محرف عن فرج الله العربية، وطلب من شقيقي المرحوم (عبدالأحد)، أن يكتب تلك الأشعار بخطه الجميل سنة ١٩١٤م، لكن تلك المجموعة فقدت، يوم استولت الحكومة العثمانية على دير اللاتين[٢٠]، وسيق الكاهن إلى مجلس

---

(١٧) النوح - البكاء على الميت والنساء قاعدات، والمكان يدعى المناحة.

(١٨) فعل ذلك في جنازة أخيه المرحوم فؤاد.

(١٩) فعل ذلك في مأتم المرحوم شقيقي عبدالأحد ١٩١٧م.

(٢٠) فعلت الحكومة العثمانية ذلك، لأن الطائفة اللاتينية كانت بحماية فرنسا، ويوم وقعت الحرب الكونية الأولى، ألغت الحكومة الامتيازات ومنها الحماية الفرنسية للطوائف اللاتينية.

الحرب العرفي بالقدس، وحول الدير ثكنة والكنيسة مدخرا للحبوب، والمدرسة حولت مدرسة حكومية، فكانوا يعلموننا الدروس كلها باللغة التركية، حتى اللغة العربية نفسها!

* * *

وقد ظل ذكر نمر يعيش في نفسي، فذكرته في كتاباتي مرارا، فوضعت دراسة تناولت فيها جانبا من حياته، نشرتها في العدد الثاني من مجلة (أفكار)، ووضعت دراسة مطولة في مخطوطة لم تنشر سنة ١٩٧٢م، ثم وضعت مسلسلا إذاعيا مؤلفا من ثلاثين حلقة، أذاعته الإذاعة الأردنية ١٩٧٥م، ثم وضعت مسلسلا تلفزيونيا مؤلفا من ثلاث عشرة حلقة، عرضه تلفزيون دبي الملون، أخرجه الأستاذ صلاح أبو هنود، ثم عرض في السعودية وفي العراق وفي دول الخليج وفي الأردن، وفي تلك الأثناء زرت الشيخ (خلف الفهد النمر العدوان)، ومنه استقيت الكثير من المعلومات، لأن هذا الشيخ عني بتدوين أخبار (نمر)، وروى لي أشعارا، وجدت ما عندي متطابقا لها. إلا بعض الاختلافات التي نبهت إليها.

* * *

ولما عزمت على وضع كتابي هذا، كان يزورني الصديقان الفاضلان:

أ - الدكتور هاني العمد - الأمين العام لوزارة الثقافة البحاثة المعروف.

ب- والدكتور رؤوف أبو جابر البحاثة المعروف.

فشجعاني، فكتبت إلى معالي وزير الثقافة الدكتور (خالد الكركي)، استشيره في طبع الكتاب ١٨/ ١/ ١٩٩٠م، فجاء رده الكريم مشجعا رقمه ت.ف/١٦/ ٤/ ١٢٨٩، بتاريخ ٤/ ٤/ ١٩٩٠م، الموافق ٩/ ٩/ ١٤١٠هـ.

فتلقيت من الدكتور رؤوف أبو جابر مصورتين، لما طبع في دمشق، ولما طبع في بيروت، فلما قرأتهما، ذهلت لما فيهما من خلط، وتشويه للحقائق. لأن اللذين هجما على الموضوع، كانا يجهلان كل شيء عن (نمر) و(وضحا)، فاسم والد نمر ووالدته مختلفان، واسم والد (وضحا) لا علاقة له بوضحا، والأشعار مصنوعة كلها، ليس فيها من شعر (نمر) شيء:

جـ - فالمصورة الدمشقية مؤلفة من جزأين في ٤٧ صفحة من القطع (الوسط)، واسم والد نمر فيها (أحمد العدوان)، وهو أمير العربان في فلسطين وفي الأردن؟

* * *

وأم نمر لم تلد قبل نمر إلا البنات على مدى عشرين سنة إلى أن صلى والده إلى الله، ورأى في الحلم أن أعداءه هاجموه، فنجاه الله منهم بهجوم (نمر) عليهم، فبشرته أم نمر بأنه سيرزق غلاماً يسميه (نمراً)، وهكذا كان. وهذه المطبوعة ظهرت في دمشق ١٩٣٨م، وتلتها مطبوعة بيروت منقولة عنها، فقد جعلت اسم والد نمر (حمد العدوان)، وجعلت الأغنية التي أنشدت في يوم زفاف وضحا بهذا النص:

هيك قالوا هيك قالوا العرب يا جمالو،

شعرك يا البنية حيّر الجدالو

وكان كل ما في المطبوعتين على هذا الأسلوب من الهذر والهذيان، الذي حّول الرجل أسطورة سخيفة مضحكة.

وجعلت المصورتان نمر العدوان طبيباً، وجعلتا وضحا عالمة بعلوم الفلك، تتسلى بكتب الفلك في ساعات فراغها، وجعلتاها، تتنبأ بسنتي قحط، تأكلا الأخضر واليابس، فاحتاطت لذلك، بأن طلبت من (نمر)، أن يبني صوامع، تدخر فيها ما يكفي العرب من أصناف المؤن لسنتين، ولم

تغفل عن تربية الذبائح لتكريم الضيوف. والعجب أنها بعد أن بُنِيَت الصوامع، واحتاطت لكل شيء أخفت - بقدرة قادر - كل ذلك عن (نمر)، فلما كان (نمر) يهرب من وجه الضيوف، لكونه لا يملك ما يكرمهم به. كانت (وضحا) تتولى التكريم، وتبيّض وجه (نمر) الذي أمر ببناء الصوامع، ونسي ذلك. كل هذا قرأنه ونحن نتعجب من جرأة الناس. وقد قرأت مقالا لطيفا للأستاذ (عبداللطيف البرغوثي)، في العدد الثاني من سنة مجلة العالم العاشرة، ذكر فيه أشياء هي إلى الخرافة أقرب مما هي إلى الحقيقة، إذ جعل (وضحا) تقدم هدية لنمر مكافأة، لأنه أنقذ أختها من عبد حاول اغتصابها، واستدل على ذلك ببيت من شعر نمر يقول فيه:

جتني عطا ما سقت بها مثامين   بنت الحمولة كل من جا حمدها

وذكر بعد ذلك قوله - في القصيدة نفسها - البيت الذي يلي هذا البيت:

ما سقت بيها غير خمسة وثمانين   بعض أبكار وبعض يدرج ولدها

والصواب - بعضه ابكار إو بعض يدرج ولدها.

وما عَلِمَ - وفقه الله - أن القوم كانوا يقولون للجاهة التي تخطب لزعيم أو وجيه «جتكم عطية ما من وراها جزية، ورئيس الجاهة يقرر السياق المتفق عليه».

* * *

ثم وهم بقوله: «إن والد وضحا اسمه (هذال بن جديعة)، والصواب أن والدها، هو فلاح القضاة من عشيرة السبيلة من بني صخر - وهذال بن جديعة لا وجود له، فصديق نمر من (عنزة) اسمه (جديع بن هذال)، وسيأتي خبره، ويقول: إن (نمر بن عدوان)، دفن في مكان قريب من البحر الميت، يعرف باسم (عين العجوز). والصواب أنه دفن في (ياجوز) القريبة من عمان. وقد يكون اسم ياجوز تحريف عن (عين العجوز).

وآخر ما قرأت مقالا، كتبه باحث سعودي فاضل في مجلة الحرس الوطني الشهيرة، في عددها البارز في جمادي الآخرة ١٤١٠هـ يناير ١٩٩٠م ص٧٨، ص٧٩. يقول فيه: إن (نمرا) تزوج بعد (وضحا) بتسعين امرأة كل واحدة منهن اسمها (وضحا)، لكنه لم يحمد صحبة واحدة منهن، وكان قد كتب عليه المرحوم البحاثة المطران (بولس سلمان) في كتابه النفيس - الذي نقدناه في حينه - (خمسة أعوام في شرقي الأردن)، لكنه لم يوفق. وعنه نقل صديقنا المرحوم (يعقوب العودات) الذي كان يوقع ما يكتب بتوقيع (البدوي الملثم)، فجعل (نمر العدوان) جاهلا لم يتعلم. والحقيقة أن سائحة فرنسية - على ما قيل لنا - علمته في القدس، ثم نقلته إلى الأزهر، أيام لم يكن هناك نظام شهادات أو أية عراقيل في سبيل الانتساب إلى الأزهر.

* * *

هذا ما كتبه العرب، أو على الأصح ما أطلعنا عليه، مما كتب باحثو العرب على (نمر). أما المستشرقون، فكان أقدم من اهتم بـ(نمر) من المستشرقين، هو المستشرق الألماني (WETZSTEIN) قنصل (بروسيا) في دمشق سنة ١٨٦٠م، الذي ترجم إلى الألمانية قصيدة من قصائد نمر وشرحها شرحا مفصلا.

ثم مستشرق أمريكي ألماني الأصل اسمه (SPOER)، ترجم مختارات من أشعار نمر. نشرتها له (مجلة الشركة الألمانية الشرقية). ثم انتخب البروفسور (A.SIT TMAN) أربع قصائد مهمة من شعر نمر، وترجمها إلى الألمانية وشرحها شرحاً وافياً. وقد ساعده على تفهم معانيها البدوية خادمه (بطرس) من قرية (جزين) في لبنان - ولسنا ندري مقدار تفهم رجل من لبنان لـ (اللهجة الأردنية)؟ ورأيت أحد المستشرقين (جود ريش فرير)، يجعل (وضحا) زوجة نمر العشرين، وجعل اسم (نمر) الحقيقي

((عبدالعزيز)) وقد نَبَّهَ على مبالغته في عدد الزوجات صديقنا الأستاذ (سليمان موسى) في كتابه (في ربوع الأردن) ص ٢٥٧ .

لكن أستاذنا الأعز، لم يذكر أن (نمر)، قد تزوج بعد (صبيته) التي كان يدللها ويناديها (رهيفة)، فكان عددزوجات المرحوم (نمر العدوان) أربعا:

١- (وضحا)، ٢- (وطفا) أخت وضحا، ٣- (صبيته) و ٤- (الجازية). ونمر رحمه الله لم يجمع بين زوجتين في آن معا.

وقد عاشت زوجات نمر معه على هذا الترتيب:

١ - وضحا - عاشت معه عشرين عاما، وأنجبت منه طفلتين قبل (عقاب) ماتتا، وخلفت من الذكور غير (عقاب) و(سلطان) ستة، ماتوا مع أخويه بدليل قوله:

«من مهجتي غدا ست واخوين   بهْم يزول الفقر وارجا الغناة-[21]
ما صمت عن زادي أو لا سهرت العين   أو للا صار شربي مرّ إولا هو حماتي![22]

وأبقت (وضحا) بعد موتها مع (عقاب) (وسلطان) طفلة سماها الشاعر (سارة) بدليل قوله:

«ناديت أنا (سارة) ابسرع تعالي!   قدي اثيابك وادهني الخدّ بالقار![23]

---

(٢١) من دماء قلبي - أبنائي - فقدت ستة وأخوين، وجودهم يزيل الفقر وبهم يرتجى الغنى.
(٢٢) لم انقطع عن الطعام ولا سهرت حزنا، ولا تحول شرابي مرا، ولا صار طينا.
(٢٣) قال الأستاذ الأديب الروائي المعروف (طاهر العدوان) ما حرفه: «لا يمكن إرجاع نسب قبيلة (الظفير) إلى حرب، كما جاء في كتاب (قلب الجزيرة العربية) الصادر في عام ١٩٣٢م، لمؤلفه (فؤاد حمزة) إنها - أي الظفير - بطن من بطون العرب، ومنها من ينتسب إلى (قحطان) وآل تميم، وآل عنزة وإلى أشراف الحجاز. والعدوان والسويط هما من قبائل الظفير، والعلاقة بين قبيلة العدوان والسويط، تحتاج إلى دراسة وتدقيق. وجاء في كتاب الدكتور فؤاد حمزة، أن العدوان ينتسبون إلى ربيعة. انتهى! (تفسير لما ورد في ص ٢٥)

٢ - (وطفا) شقيقة (وضحا) عاشت معه - على ما يقال - ثلاث سنوات، وسرحها بإحسان، وخلفت منه طفلا مات عند أهلها.

٣ - صيتة التي كان يناديها (رهيفة)، من عرب سليم اللحاوي، عاشت معه سبع عشرة سنة، وقد مات كل الذين أنجبتهم من ذكور وإناث، وكان يحبها، إلى أن حاولت مرة، أن تساوي نفسها بوضحا، فهجرها، وظل يرعاها بكرم هي وابنها، وخصها ببيت خاص هي وابنها الذي عاش في كنفه، إلى أن بلغ مبلغ الرجال، فهجر الديرة.

٤ - (الجازية) من (بني صخر)، عاشت معه ثماني عشرة سنة، وبقي من نسلها واحد اسمه فلاح، لم نره، لما زرنا الشونة، والتقينا الشيخ الكريم (خلف الفهد النمر العدوان سنة ١٩٧٧م، وقد قال لنا أن المرحوم (نمر) عاش ثمانيا وسبعين سنة. والذي نعتقده أن عمره يوم لقي ربه كان ثمانيا وسبعين سنة، يدل على ذلك أن زواجه كان وعمره عشرون سنة، فإذا ضم إلى عمره السنين التي عاشها مع أزواجه كان الجواب ثمانيا وسبعين سنة لا ثمانياً وثمانين، كما قال بعضهم. وعلى هذا يكون قد ولد سنة ١٧٤٥م، فيكون عاش في أواسط القرن الثامن عشر.

* * *

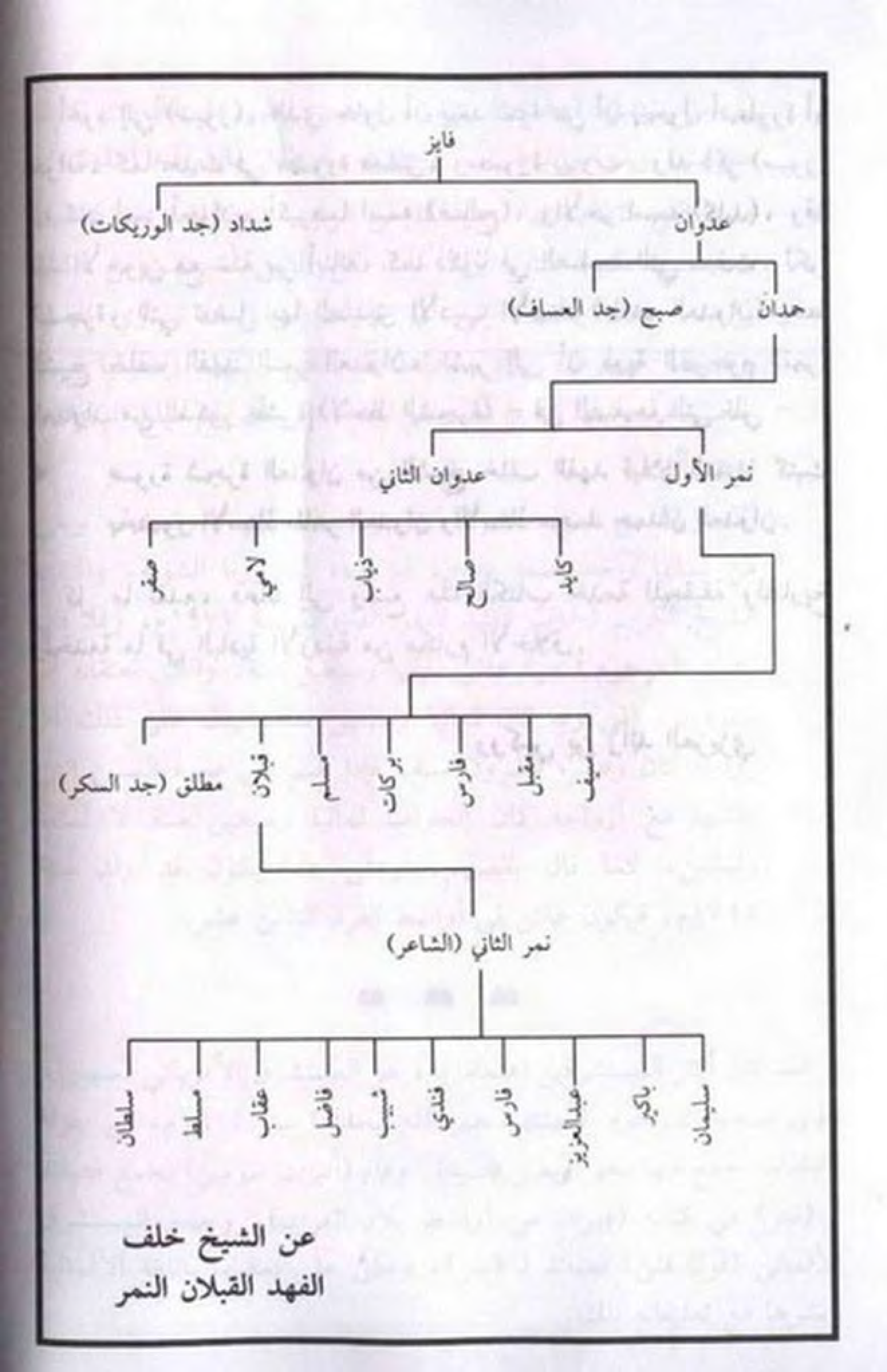
لقد كان أكثر المستشرقين اهتماما به، هو المستشرق الأمريكي (سبور)، الذي صحبه المرحوم الأستاذ (نصر الله الحداد) سنة ١٩٠٤م، في جولة بالبلقاء، جمع فيها نحو أربعين قصيدة. وقام (ألبرت سوسن) بجمع قصائد لـ (نمر) في كتابه (ديوان من أواسط بلاد العرب)، وجمع المستشرق الألماني (فون فلن) قصائد لـ (نمر)، وعلق على بعضها باللغة الألمانية ونشرها مع تعليقاته تلك.

أعود إلى (سبور)، الذي حاول أن يبعد نمرا عن أن يتحول أسطورة أو خرافة، كما حدث في مصورة دمشق، ومصورة بيروت. وقد ذكر (سبور) أنه كان لنمر أخوان، أكبرهما اسمه (صالح)، والآخر اسمه (كايد)، وقد فقد الأخوين مع ستة من أبنائه، كما ذكرنا في الصفحة التي سبقت. لكن الشجرة، التي تفضل بها الصديق الأديب الأستاذ (طاهر العدوان) بخط الشيخ خلف الفهد النمر العدوان، تشير إلى أن ذرية المرحوم (نمر) العدوان من الذكور عشرة (لاحظ الشجرة) - في الصفحة التي تلي -

* **صورة شجرة العدوان من الشيخ خلف الفهد قبلان النمر، كتبت بحضور الأستاذ طاهر العدوان والأستاذ محمد حمدان العدوان.**

كل ما تقدم، دعانا إلى وضع هذا الكتاب خدمة للحقيقة وللتاريخ ولخدمة ما في البادية الأردنية من مكارم الأخلاق.

روكس بن زائد العزيزي



فايز
عدوان
شداد (جد الوريكات)
حمدان
صبح (جد العساف)
نمر الأول
عدوان الثاني
كايد
صالح
ذياب
الأمير
صقر
سيف
مقبل
فارس
بركات
مسلم
قبلان
مطلق (جد السكر)
نمر الثاني (الشاعر)
سليمان
بكر
عبدالعزيز
فارس
فندي
شبيب
فاضل
عقاب
مسلط
سلطان
عن الشيخ خلف
الفهد القبلان النمر

الباب الأول

الفصل الأول : قبيلة العدوان ونشأتها.

الفصل الثاني : ميلاد (نمر العدوان) الفارس، شاعر الحب والوفاء، أمير شعراء البادية!

الفصل الثالث : (نمر بن قبلان)، ربيب (بركات العدوان)، الفارس شاعر الحب والوفاء.

الفصل الرابع : الطنيب الذي جاء من عند أهله مشهداً على جوار (نمر العدوان).

الفصل الخامس : ابن ملاك يغزو هو وقومه، ويتخلف (نمر) لمرض ألمّ به.

الفصل السادس : الرحيل من عند ابن ملاك.

الفصل السابع : لمحة عن الخرشان.

الفصل الثامن : بدء ظهور الأحقاد على نمر عند بني صخر.

الفصل التاسع : الإعداد لمواجهة الخرشان.

الفصل العاشر : موت (حمود) وتولي ابنه (ذياب) الزعامة.

الفصل الحادي عشر : (نمر) الفارس العجيب الإنسان الرقيق، الشاعر المبدع.

الفصل الثاني عشر : فرس ممتازة تذكر لـ (نمر) عند بني حميدة، (نمر) ضيف في ديار بني حميدة: جنوبي (مادبا).

الفصل الثالث عشر : شاعر مسترزق، سهرة في شق (نمر) والزعيم (ذياب) حاضر.

الفصل الأول
قبيلة العدوان ونشأتها

يقول (كوندر) إن مؤسسي قبيلة العدوان هما:

أ - فايز

ب- وفوزان

ولدا (الصويت) من قبيلة (الظفير) النجدية، ويقول بعض شيوخ القبيلة إنهم من حرب، وليس لديهم أي دليل يثبت ما يقولون[٢٣].

وقد حل (فايز) و(فوزان) بين عشائر (كندة)، التي كان (مروان) بن الحكم، قد أقطعها (البلقاء) نظير مبايعته، وتوفي (فوزان)، وتزوج (فايز) بابنة شيخ (كندة)، الأمر الذي يدل على مركز فايز الاجتماعي، لأن (كندة) لم تكن تزوج بناتها بأقل من مائة من الإبل، وربما أمهرت الواحدة منهن ألفا، فصارت مهور كندة مثلا في الغلاء. وقلدهم المقلدون إلى أن وصلنا إلى تحويل المهور غرامات لا تكريمات.

* * *

أنجبت بنت شيخ (كندة) من (فايز) (عدوان وشداد)[٢]، ولما كبر عدوان تزوج بابنة أحد شيوخ (المهداوية)، الذين هم بطن من طريف، من جذام من القحطانية. وكان المهداوية قد سيطروا على البلاد، ويبدو أنهم تغلبوا على (كندة). فأنجبت من عدوان (حمدان وصبح).

---

(٢٣) كان زعيم كندة (حصين بن نمير)، قد بايع (مروان بن الحكم) على شرط أن يقطع (كندة)، النازلة بالشام، البلقاء، فجعلها (مروان) لهم مأكله.

معجم قبائل العرب ج٢، ص٩٩٩ نقلا عن مراجع عديدة لعمر كحالة. وتاريخ الأمم الإسلامية.

(٢) تختلف بعض الروايات حول شداد، ويذكر بعض رواتها أنه ابن عدوان الأول، وليس أخاه.

وقد نشأ (حمدان) في كنف (جودة) أمير المهداوية، وكان يرافقه في غزواته الكثيرة، ومن أشهر تلك الغزوات، الغزوة التي هاجموا بها قافلة قرب (نهر الزرقاء)، كانت سائرة بين (مكة المكرمة) و(العراق)، فكان بين ما غنم من تلك القافلة ناقة تدعى (الضبطا)[٢٤]، كانت من نصيب حمدان، وقيل أنها كانت محملة ثروة طائلة فاتخذ (العدوان): كلمة الضبطا شعارا لهم[٢٥] - نخوة - في اللهجة الأردنية، أي الكلمة التي تستثار بها حمية القبيلة.

* * *

فعظمت ثروة (حمدان) إلى شجاعة نادرة، جعلته من مشاهير الأبطال والفرسان النابهين. فالتفت حوله جماعات من فرسان القبائل إعجابا به، ونقمة على طغيان (جودة المهداوي). فلما رأى (حمدان) كثرة أنصاره، أخذ يفكر في انتزاع السلطة من (جوده المهداوي)، ولا سيما بعد أن ثبت عنده أنه لا سبيل إلى إصلاح ذلك الرجل الطاغية. فجاءت حادثة، جعلت (حمدان) وأعوانه، يرون أن الثورة على (جودة) أمست من أوجب واجبات الرجولة. والحادثة هي: أن (جودة) أمر (حمدان) - على حسب عادته كل سنة - أن يجمع أبقار الفلاحين لزراعة أراضيه، فجمع (حمدان) الأبقار وأصحابها سخرة، وكان من الذين سخروا رجل، نفق من فدانه ثور، فلما رأى (جودة) الرجل واقفا عند ثوره من غير أن يشارك في العمل، أمر بأن يربط النير على الرجل وثوره لكي يفلح كما يفلح الآخرون، فلما أبصر الناس هذا العمل الذي لم يسبق له مثيل، ثاروا على (جوده) بزعامة (حمدان)، فشبت حرب بين (حمدان) وأعوانه الذين عرفوا بـ (الأقرضة) منذ ذلك اليوم، و(جودة) والذين يأتمرون بأمره من قبيلته ومن سواها،

---

(٢٤) معجم قبائل العرب ج٢ ص١٠٠٠.

(٢٥) قال الشاعر يمدح العدوان: «صيحة الضبطا تخيف، لأرعصوهن شابشات». أي هجوم العدوان يخيف، إذا أثاروا خيلهم وهي تختال عزة!

دامت قرب عشرين سنة، قتل فيها (حمدان)، وفر أعوانه إلى (الموجب)[٢٦] والى (جبل عطروز)[٢٧] جنوبي (مادبا)، فلما لم يتمكن أعداء (جودة) من التغلب عليه، عمدوا إلى الخدعة - المباحة في الحرب.

فأشاع القوم أنهم تناسوا الماضي، وأنهم يريدون أن يعودوا إلى الطاعة، والاعتراف بزعامة (جودة المهداوي). واتفق أن (جودة المهداوي) أحب ابنة كاهن (الفحيص)، وصمم على الزواج بها، فشعر أهل (الفحيص) بأنهم عاجزون عن مقاومة (جودة المهداوي)، فلجأوا إلى أبناء (حمدان العدوان):

١ ـ عدوان.
٢ ـ ونمر - وهو غير (نمر) الشاعر الذي نؤرخ له.

المطالبين بثأر أبيهم من (جودة)، فوجد أبناء حمدان الفرصة مؤاتية لإثارة حلفائهم وحلفاء أبيهم - من قبل - للثأر لأبيهم من غطرسة (جودة)، وليكسبوا الصيت الحسن بأنهم لم يخذلوا أهل (الفحيص)، الذين استجاروا بهم من دون كل الناس. وفي النهاية أن يصبحوا المتولين لزعامة البلقاء.

* * *

بعد مشاورات عديدة بين الوجهاء، قرروا أن يرسلوا رسولا إلى (جودة)، يخبره أن (العدوان) وأنصارهم، اتفقوا على أن يضعوا حدا لتلك العداوة التي جلبت الشر على الفريقين، واتفقوا على أن يجروا صلحا -

---

(٢٦) وادي الموجب هو المعروف في التوراة بوادي (أرنون).
(٢٧) جبل في أرض بني حميدة، يعتقد البدو أنه مقر للشياطين، فإذا أرادوا، أن يدعوا على شيء بقلة البركة، قالوا: «يحوش له عطروز إن شاء الله».

على أساس الحفار والدفان، على ما غبى أو بان[٢٨] وقالوا للرسول أن يخبره بأن الدليل على حسن نية العدوان وأعوانهم، أنهم أقنعوا كاهن الفحيص أن يزوج (المهدي) بالبنت، وفوق هذا، فهم يدعون الأمير (جودة المهداوي) إلى وليمة، هو ورجاله، في الهواء الطلق عند شجرة قديمة، تعرف إلى اليوم بـ (شجرة المهداوي). فقبل، وأعدت الوليمة الفخمة فعلا، ولما حضر (جودة المهداوي) ورجاله، استقبلوا بحفاوة بالغة، وتعانق القوم كأنه لم يجر بينهم في الأمس ما جرى، وربطت خيل (المهداوي) ورجاله بعيدا عنهم، وفكت أحزمة الخيل من سروجها، وصفت المناسف مجللة بالخرفان، وأكل (عدوان) لقمة الأمان من كل منسف، فاطمأن (جودة) ورجاله، ومدوا أيديهم إلى المناسف، فانقض عليهم العدوان وأعوانهم، وأبادوهم عن بكرة أبيهم، ومن حاول أن يمتطي فرسه ويهرب، مال به السرج، فقتل عند قوائم فرسه، وهكذا صفي حساب (جودة) وزعامته بتلك الوليمة الحمراء.

(ضمان بن جودة) يهرب من الديار:

كان (ضمان بن جودة) - لحسن حظه - قد تخلّف عن مرافقة أبيه لحضور الوليمة، ولما علم بما حل بأبيه وبأعوانه، أدرك أنه عاجز عن مواجهة الثورة العارمة، فرحل عن منازله في (الشّفا)[٢٩]، ونزل في (غور الكفرين) و(غور الرامة) و(غور الشونة) - شونة نمرين - فلما رأى

---

(٢٨) الحفار والدفان - اصطلاح للصلح الذي يجري بلا مطالبة لأحد من الطرفين، وكانوا في السابق يحفرون حفرة بعمق متر، ثم يطمونها بترابها الذي حفر، كناية عن أن كل عداوة أثيرت قد دفنت. أما اليوم فإنهم يكتفون بالكلمة عن الحفر والدفن. وآخر صلحة جرت من هذا النوع تلك التي أجراها المغفور له (فيصل الأول بين أهالي (مادبا) و(بني صخر) سنة ١٩١٩م).

(٢٩) الشفا - الأماكن المرتفعة عن الغور.

(العدوان) ما فعل (ضمان)، هاجموا ابن (ضمان) - مشهور - وقتلوه بجوار المكان المسمى باسم مشهور (ضرسة مشهور) تخليدا لمصرعه، فهرب (ضمان) من الأغوار الثلاثة، إلى (غور أبي عبيدة) - عامر بن الجراح - واحتمى بشيخ قبيلة البلاونة[٣٠] - ابن عسرة - فحماه من العدوان. لكن (العدوان) احتلوا أملاك (المهداوي) وقبيلته في البلقاء، وقسموها على هذا الوجه:

أ - فخصصت أرض (غور الرامة) بكايد وإخوته ذياب ولامي وصقر.

ب- وخصصت أرض شونة نمرين بصالح.

جـ- وأخذ أبناء (نمر) وهو غير نمر شاعرنا، وهم (قبلان) وإخوته أخذوا (الكفرين).

* * *

فأحسّ (كايد) بأنه غبن بهذه القسمة، لكن أباه (عدوان) نصح له أن لا يصطدم بشقيقيه وأبنائهما، وحسن له أن يهاجم (ضمان) بن (جودة المهداوي) وحماته (البلاونة)، ويطردوهم من الديار نهائياً. فعمل بنصيحة أبيه، وغزا (البلاونة) و(ضمانا)، حيث التقاهم على (نهر الزرقاء)، ودارت بينهم معركة جرح فيها (كايد) جرحا بليغا كان فيه أجله، وقتل في هذه المعركة من العدوان فارسان مشهوران هما:-

أ - كنعان السكر.

ب- وكنعان الفاعور.

فدعى المكان الذي وقعت فيه المعركة (مخاضة كنعان). فلم يسكت

---

(٣٠) البلاونة من بدو الكرك، وهم فرع من بلاونة عجلون، وينقسمون إلى ثلاثة أقسام: أ- السلامات. ب- القبلان. ج- والفلاح.

(العدوان) بعد موت كايد بسبب جرحه، بل هاجموا البلاونة، وقتلوا شيخهم (ابن عسرة)، فهرب البلاونة، وتشتت (المهداويون) في (بيسان) وضواحيها وفي غربي (الحولة)، ووصل (فرعان) منهم إلى لبنان، هم آل أبو شقرا، وآل مريود.

وهكذا ثبت العدوان سيطرتهم على البلقاء، وفي هذه الأثناء ظهرت قبيلة (بني صخر)، واستقرت في البلاد، وأخذت في أول الأمر تدفع ما يسمونه الرعاية. وبعد مدة من الزمن اصطدم (بنو صخر) (بالسردية)، فتغلبوا عليهم، وفي سنة ١٧٣٠م، امتنع (بنو صخر) من دفع الرعاية للعدوان (المرعى).

الفصل الثاني

ميلاد (نمر العدوان) الفارس شاعر الحب والوفاء أمير شعر البادية

عرفنا تاريخ موت المرحوم نمر العدوان أنه سنة ١٢٣٨ للهجرة الموافق ١٨٢٣ للميلاد، وذلك لأن مستشرقا رآه منقوشا على قبره، فدونه، أما ميلاده، فيجب أن نقدره تقديرا، بعد أن روى لنا الرواة المدة التي عاشها، وخير الروايات هي رواية سليل هذا الشاعر الشيخ (خلف الفهد النمر العدواني) الذي حفظ وثائق يمكن الاعتماد عليها، والوثوق بها، فقد قال لي - إن لم تخنى الذاكرة، وعهدي أنها في أيام الشباب لا تخون - أنه عاش ثمانيا وسبعين سنة، فلما قسمنا ذلك الزمن الذي عاشه مع زوجاته الأربع، وجدناه صحيحا تماما.

وذكر لنا الشيخ الوقور (خلف الفهد النمر العدوان) أن شاعرنا هو ابن المرحوم (قبلان العدوان)، وأنه نسب إلى عمه بركات. الذي تزوج أم نمر، بعد وفاة أبيه، لأنهم لم يكونوا يعرفون العدة التي سنها القرآن الحكيم، ﴿**والذين يُتوفَون منكم ويذَرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهُن فلا جناح عليكمُ فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف واللهُ بما تعملون خبير**﴾ سورة البقرة الآيه ٢٣٤.

فإنهم كانوا يسارعون إلى الزواج بالأرملة - في الأسرة - لأسباب منها:

أ - خوفهم على نسل قريبهم من الضياع.

ب- خوفهم على الأرملة نفسها من التسيب.

جـ- لأن مهر الأرملة أقل من سياق العذراء.

وكثيرا ما يكون الذي يتزوج بالأرملة، هو شقيق زوجها أو أخوه أو ابن عمه.

فلما ولد الطفل، فرحوا به كثيرا، وقالوا: الله عوضنا عن قبلان بـ (عبدالعزيز) الذي سمي فيما بعد (النمر).

شخصية (نمر) - عبدالعزيز -

أوصوا الأقرباء، أن لا يشعروا الطفل يوم يكبر بأنه يتيم، فمن هنا جاءت نسبته إلى عمه (بركات) الذي ولد على فراشه، فلما ترعرع ظهرت بوادر النجابة والذكاء عليه، وكان تكوينه الجسماني، يؤهله لأن يكون أو يعد مثلا لجمال البداوة والرجولة. ويروى أن أحد أصحاب الفراسة من البدو، لما رآه وهو في السابعة من عمره قال: «الله يخزي العين، والله إن خلن هالولد سود الليالي أنه غير يصير شيخا، ما مثله بالشيوخ!؟»[٣٢].

إذ كانت عيناه عيني صقر، سمهري القوام شجاعا، كريماً، أراد رجال العشيرة أن يختبروا أطفالهم في لعبة - أو رياضة - المباطحة[٣٣] ولهذه اللعبة آداب خاصة، منها أو أهمها:

١- أن لا يثور بين الغالب والمغلوب أي نفور، إذ يقولون لهم أنتم إخوان العبوا.

٢- ومن آداب اللعبة أن لا يعرقل أحد اللاعبين ملاعبه برجله.

٣- أن لا يأخذ إعباطه في إشباطه[٣٤]

---

(٣٢) الفراسة في اللغة هي: إدراك الباطن من النظر في الظاهر. والبدو يسمون الفراسة السياسة، وإن كان قولنا فلان سايس تنصرف إلى معرفة صفات الخيل، لكنهم يقولون ساس الولد، أي تفرس فيه وذكر الخفي من صفاته.

(٣٣) كان الأهل قديما، يحرشون أطفالهم على رياضة، يسمونها المباطحة، وهي محاولة كل واحد أن يلقي منافسه على الأرض. وإن كان معنى بطح في اللغة إلقاء الإنسان على وجهه. وغرض الأهل من ذلك تنشيط الأطفال وتمرينهم على تحمل المتاعب.

(٣٤) العباط هو أن يضم ملاعبه إلى صدره، بأن يضع يده اليمنى تحت إبط ملاعبه ويده اليسرى فوق ذراعه، أما إذا وضع يديه الاثنتين تحت إبطي ملاعبه، فعندها يكون تجاوز آداب اللعبة، فأعد العباط والشباط، توكيد اتباع.

وقد فاز (نمر) على كل الأطفال لداته، وألقاهم على الأرض واحدا واحدا، ومع أن الأطفال تقيدوا بآداب اللعبة، فإن بعض الآباء قد غضبوا.

* * *

وفي أحد الأيام تحزب الأطفال وهاجموا (عبدالعزيز) - نمر - بالمقاليع فصدهم جميعا وجرح بعضهم.

وإذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه: تعليم (نمر)

كانت أم (عبدالعزيز) - نمر - تعيش من أجل طفلها هذا، وكان عمه (بركات) - تكريما لذكرى شقيقه (قبلان) - يهتم به أكثر من اهتمامه بأخيه الأكبر - من أم ثانية - إلى أن نزلت في الحي مجموعة من السياح الأجانب، ومع هذه المجموعة مترجم عربي من القدس، وفي عداد المجموعة سيدة فرنسية أحبت الطفل، وأعجبت به لما رأته، سألت عن أمه وعن أبيه فدلوها عليهما. فسألت بركات إن كان في استطاعته أن يدل المجموعة على الآثار القريبة منهم وفي عدادها (عراق الأمير)، فرحب بركات بالفكرة، ورافق السياح والمترجم، فلما أنهى السياح جولتهم، عادوا إلى عرب العدوان، فكرموا تكريما، زرع (بركات) في قلوبهم، فلم تنس السيدة الطفل، وسألت: «أين يتعلم (نمر)؟ فأجيبت: «إن البدو لا يتعلمون!». فطلبت من (بركات) أن يسمح لها بأن تعلم (نمر)، كما يتعلم أبناء الحضر في «القدس»، وستعيده إليهم قارئا كاتبا، فرفض (بركات) الفكرة، ومانعت الأم - لكن السيدة لم تيأس، وظلت تداور (بركات) و(نوفة) إلى أن سمحا لها بأن تعلمه في «القدس»، وفعلا قضى في القدس خمس سنوات، عاد بعدها إلى أهله، وظلت السيدة السائحة ترعاه لأنها تبنته -تقريبا - إذ لم تقطع زياراتها للقدس، ولا احتجبت عن الأردن ولا

عن عرب العدوان بنوع خاص، فصحبته إلى (الأزهر) «الذي كان في القرن الثامن عشر مدرسة غير نظامية»، فحول كل عمود من أعمدته يلتف طلاب العلم، وأمامهم أستاذهم، وهو يجلس على كرسي، في حين يجلسون هم القرفصاء، ويظل الأستاذ يلقي دروسه إلى أن يتعب، ثم يتقاضى أجره من الحاضرين، وهي جراية من بضعة أرغفة، وقليل من السكر، ولم تكن هناك سجلات بأسماء الطلاب، ولا كانت هناك شهادات تمنح، وكان في وسع من يشاء أن يدخل صحن الأزهر، ويحضر المحاضرات ثم ينصرف دون أن يسأله أحد، من أنت أو ما اسمك»[٣٥] قضى في الأزهر الشريف - على ما قيل لي - خمس أو ست سنوات، عاد بعدها، لأنه لم يتحمل شظف العيش. أجل عاد وقد اتسعت آفاقه النفسية، ولم ينقطع بعدها عن المطالعة، ولا سيما قراءة القرآن الكريم، عاد وقد تأثر بالمتنبي كما يبدو لنا في تناوله لشعره، وأغرم كما يبدو بالزخرفة اللفظية التي شاعت في عصر الإنحطاط، وذلك ظاهر في بعض قصائده، كما نشير إلى ذلك في مكانه. أجل عاد من الأزهر الشريف لأنه لم يطق شظف العيش، كما قلنا، والبعد عن الطبيعة، ولعله كان قد شارف على الثامنة عشرة من عمره، لكن عودته قد أثارت عاصفة من الغيرة والحسد في بعض القلوب! فقد قال الأرادنة: «**البغض في القرايب، والحسد في الجيران!**».

❀ ❀ ❀

ظلت زعامة (العدوان) تتنامى، ولا سيما يوم آلت الزعامة إلى الشيخ (ذياب) العدوان ابن (عدوان) سنة ١٧٦٠م، فأراد (ظاهر العمر) صاحب (عكا) أن يكسر شوكة العدوان، فسلط عليهم قبيلة (الزيادنة)[٣٦] بقيادة

---

(٣٥) هذه المعلومات من رسالة خطية إلي من صديقي العالم الأستاذ وديع فلسطين من أعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق، ومجمع اللغة العربية في الأردن في الرابع عشر من تموز ١٩٩٠م.
(٣٦) تاريخ شرقي الأردن ترجمة الأستاذ بهاء طوقان.

(قاسم السعيد) لغزو العدوان، فانحاز العدوان إلى (اللجون) - في منطقة (الكرك) - واحتل (قاسم السعيد) قلعة (السلط)[٣٧]، لكن (صالح العدوان) شقيق (ذياب) - الذي كان نازلا في (الشونة) - لم يكن في عداد الذين لجأوا إلى (اللجون)، فهاجم قافلة كانت تحمل إمدادات لـ (قاسم السعيد)، تسير بين (نابلس) و(السلط)، ونهب القافلة، فشعر (قاسم السعيد) بهول الصدمة، وجمع جموعا غفيرة لتأديب (صالح العدوان)، غير أن الحظ ابتسم (لصالح)، فهزم (قاسم السعيد) وقتله في معركة الغور هذه، فأضحى (صالح العدوان) زعيم البلقاء المطلق[٣٨].

* * *

تحاسد الأخوة:

لما سمع (ذياب) العدوان بانتصار شقيقه (صالح)، أكلت الغيرة والحسد قلبه، فسار من (اللجون) لقتال شقيقه، غير أنه هزم، وفر إلى (دمشق) مستنجدا بالحكومة، فسيرت معه حكومة (دمشق) جيشا لمؤازرة (ذياب)، فلما سمع (صالح) أخبار الجيش الزاحف لتأديبه، ذعر، فلجأ إلى (قلعة السلط)، غير حاسب حسابا لتصرفاته التي ملأت قلوب القوم حقدا عليه، فلم تمض أيام حتى هاجمه أهل (السلط)، فقتلوه، واحتزوا رأسه، وبعثوا به إلى قائد الحملة الحكومية[٣٩]، فأصبحت الزعامة بعد قتل (صالح) لشقيقه (ذياب). لكن مدة (ذياب) لم تطل، إذ ثار عليه القوم، فقتلوه، ففر أعوانه إلى (جبل الدروز) - جبل العرب اليوم -[٤٠] وبعد غياب ستة أشهر، عاد (العدوان) بزعامة (نمر الثاني الشاعر)، وتغلبوا على سكان

---

(٣٧) المرجع نفسه ص١٦٩.
(٣٨) المرجع نفسه ص١٦٩.
(٣٩) المرجع نفسه.
(٤٠) المرجع نفسه.

(البلقاء) في واقعة (مرج أبو عيشة) بالقرب من (حسبان)، وظل (نمر) هذا زعيما للبلقاء نحو عشرين سنة بلا منازع، إلى أن تنازل عن الزعامة طائعا مختارا لـ (حمود بن صالح العدوان)، الذي كان قلبه مملوءا غيرة من شاعرنا (نمر بن قبلان)، الذي كان البدو ينسبونه إلى عمه (بركات العدوان) للأسباب التي تقدم ذكرها.

الفصل الثالث

(نمر بن قبلان) - ربيب (بركات العدوان) - الفارس شاعر الحب والوفاء

شخصية (نمر)

عينان ساحرتان، شجاعة نادرة، كرم عجيب، قوام كالسمهري، وهيبة آسرة، وعلم جم، شاعر موهوب، إحساس مرهف، يعرف قدر نفسه، بلا تيه ولا ازدهاء، صوت يناجي القلوب إذا جر الربابة، سَبَقَ محيطه، معرفةً لقدرِ المرأة، إكراما لتلك الأم التي كان يشعر بأنها تعيش من أجله. بهذه الأوصاف والمزايا عاد (نمر)، أمير شعر الأردن في البادية، عاد إلى القبيلة، وكأن القدر قد رتب زيارة السائحة مع عودة (نمر) من الأزهر، لم تمحَ صورته الحبيبة إليها من قلبها، فاضت الدموع من عينيها، وهي تستقبله، رأته فارسا بعد أن ودَعَتْه الأزهر يافعا، فيالعظمة فرحتها! رأت بندقيته المجوهرة، وشاهدته معتزا بها، فوعدته ببندقية لم تعرف الأردن أختا لها في ذلك الحين. لم تخلف الوعد، إذ كانت هديتها إليه بندقية متطورة، جعلت الفرسان يحسبون له ألف حساب!.

* * *

نمر والصيد، لقاء (وضحا) بصدفة خير من ألف ميعاد!

كانت تلك الهدية قد ملأت قلبه سرورا، فهو يريد، كما يقول الأرادنة: يريد أن (ينصّب)[٤١] بها، لأنه لا مثيل لها. فذهب مع مجموعة من شبان

---

(٤١) اصطلاح أردني نصب ينصب - يستعمل ما يعني في اللغة: تباهى يتباهى، افتخر يفتخر، استمايل الفتيات يستميل الفتيات فهو نصاب، والبنت نصابة، وليس في الاصطلاح ما يعيب.

الحي، الذين يتحدون الذي يغارون منه، وكانت الرحلة في أيام الربيع، أيام كانت أسراب الظبـاء تغطي سهول (مادبا)، قبل أن يقطعها (مدحت) باشا - الذي كان يكنى بـ (أبي الأحرار) - للعشائر التي سكنتها ١٨٨٠م، على أثر نزوحها من (الكرك). في ذلك اليوم كان فوج من فتيات (بني صخر) اللائي يشبهن الظباء، يستقين من أحد الغدران[٤٢] فمال (نمر) ورفاقه إلى الغدير، متذرعين بأنهم يريدون أن يشربوا، ويوردوا خيلهم، سلّم (نمر) ورفاقه على الفتيات، فحيّوا بأحسن من تحيتهم، فاسترعت بصر (نمر) فتاة، كانت قد ملأت (الجود[٤٣]) الذي معها فطلب منها (نمر) الجود ليشرب، فناولته إياه، فلامست يده يدها، فأحس بما يشبه تيارا من الكهرباء[*] يسري في قلبه، نظر إليها ليشكرها، فغضت من بصرها حياء، فازداد بها إعجابا، فسألها عن اسمها فخجلت، وارتبكت، لأن الفتيات أخذن يرشقنها بنظراتهن ذات المغازي، فانبرت أختها الصغرى، كأنما هي تريد أن تنقذ شقيقتها من المأزق، بلهجة بدوية: وش لك باسمها؟ هذي إختي اسمها (وضحا) بنت (فلاح) (السبيلة) (الا قضاة) من بني صخر، وأنا اسمي (وطفا) على الخير والشر، عسى ما لك عند أهلها اطلابة؟».

أجاب (نمر): «والله لا يسمح، نشدت عن اسمها حيث هي أكرمتنا وشربنا من الجود اللي معها[٤٤]، وصار واجب علينا أن نعرف اسمها حيث الماء جانب من الضيافة والمعزب يشكر»!.

* * *

---

(٤٢) الغدران جمع غدير (قطعة من الماء يتركها السيل، والبدو يلفظونها بكسر الغين لنفورهم من الضم).

(٤٣) الجود. قربة صغيرة ج إجودة.

(*) الصواب كهربا بلا همزة لأن الكلمة مركبة من كلمتين فارسيتين كاه - لاقط ربا - القش، راجع أغلاط اللغويين الأقدمين للعلامة الكرملي.

(٤٤) قال: «الجود اللي معها. ولم يقل جودها لئلا يفهم من ذلك ما يعيب، وهذا لون من ألوان أدب البداوة».

أجابت (وضحا) باستحياء: «انتم قناصين ما انتم من عربنا،[٤٥] ولغوتكم ما هي لغوتنا، انتم ضيوف، باسم صاحب الشق[٤٦] عليكم جيرة للغدا افلحوا والفلاح ما ينلطم[٤٧]، والبيوت ما هن بعيدات».

أجاب (نمر)، كثر الله خيركم، إن يسر الله، فالوجه منا عليكم[٤٨] إن شاء الله.

صفات (وضحا)

قوام معتدل، إلى الطول أميل منها إلى القصر - عينان سوداوان، شعر أسود طويل، تكاد جدائله[٤٩] تلامس التراب بدليل قوله يرحمه الله:

«اللي جدائلها تنوش التراب»!

هدب عينيها طويل، جميلة المحيا، باسمة الثغر، هذه بعض صفاتها الظاهرة.

أما مزاياها فكريمة. لا تتدخل في شؤون جيرانها، لم تر في حفلات السامر، غضيضة الطرف، صادقة المقال، لم تستعر حاجة من جارة لها، لأنها كانت ترى أن العار والاستعارة من أصل واحد، لم تدخل في جدل مع نمر. تكرم أقرباء نمر، وترى فيه عالمها، لم تنم مرة قبل حضور نمر من مجلس الرجال، مهما طالت سهرته، وإذا جاء مهموما أخذت تسليه إلى أن تسري عنه بدليل قوله:

«إن جيتها زعلان قامت ترضين، مثل الشفوق - اللي تلهله ولدها!

(٤٥) لغوتكم - يعنون باللغوة اللهجة، لأن هناك فروقا بين لهجة أهل البلقاء وبني صخر.
(٤٦) الشق هو القسم المخصص بالضيوف من بيت الشعر.
(٤٧) الفلاح ما ينلطم، معنى ينلطم هنا، يرفض، لأن رفض الفلاح شؤم.
(٤٨) الوجه منا عليكم، أي نحن مقبلون عليكم إن شاء الله.
(٤٩) الجدايل جمع جديلة وهي الضفيرة من شعر الرأس.

كان حب (نمر) و(وضحا) من النظرة الأولى، لكن لم يكن فيه موعد ولا لقاء، إذ شعر كل منهما أنه خلق لصاحبه، إذ أسر نمر لأحب رفاقه إليه قائلا: «والله يا فلان إن (وضحا) خذت قلبي!»، أجاب رفيقه: «الله يكتبها لك، ويجعلك من نصيبها، ما دمنا عرفنا البنت، وعرفنا أهلها من (بني صخر)، وهم أحباب وأصحاب، ما بقي مانع يمنع من خطبتها!

وصل نمر إلى العرب وقد اصطاد ظباء وحماما وحجلانا كثيرة، فرحت أمه بصيده صيد بندقيته الجديدة، فوزعت من صيد (نمر) على البيوت القريبة.

في النهار التالي ذكر (نمر) لأمه حبه لوضحا، فأسرعت تبشر عمه (بركات) بأن (نمرا) قد وجد له (عروسا) من (بني صخر)!

سأل (بركات) أم (نمر) هل تعلل (نمر) مع البنت؟ أجابت: «لا تعليلة ولا غيرها[٥٠]! تناولت النساء قضية (نمر)، فكان المعارضون أكثر من مؤيدي رأي (نمر) وعمه بركات وأمه (نوفة)، إذ كيف يقدم شاب معروف على التخلي عن بنات عمه - العدوانيات - ويخطب أجنبية؟[٥١] وكان الشيخ (حمود) - الناقم على (نمر) - أشد الناس معارضة للفكرة، إذ قال: «باطل كل العدوانيات ما فيهن اللي تملا عين هالقاروط[٥٢]؟ على ويش حاله: ما عمر خطيب قوم سوى نفيلة إلا في قضب الورق والدفاتر!

ما عمر خطيب قوم سوى نفيلة إلا في قضب الورق والدفاتر!

---

(٥٠) التعليلة - سهرة المحبين، وقد كان يسمح للمعجب بفتاة عذراء، أن يسهر معها في بيت أهلها حتى إذا أحب أحدهما الآخر تزوجا. وكان يسمح بالتعليلة مع الطامح.

(٥١) كل من كان خارجا عن القبيلة فهو أجنبي!

(٥٢) القاروط لقب تحقير لفاقد أبويه اللطيم. ومعنى القاروط هو الذي لشؤمه مات أهله.

معنى بيت الشعر:

أي لا يعرف عن متعلم في عشيرة أنه صنع صنيعا حسنا - غنيمة إلا في كونه يمسك القلم والأوراق - إن كان مثل هذه التفاهة يعدّ للعشيرة مغنما!

* * *

أما (نمر) فإنه ظل مصرا على رأيه، فتوجهت الجاهة من وجهاء العدوان والأعيان، ما عدا الزعيم المنافس - وقصدت الجاهة منازل (سبيلة) القضاة، فقدمت القهوة، فامتنع كبير الجاهة من شرب القهوة قائلا: «**حنا طلابين وعسانا من عند الله ومن عندكم ما حنّا خايبين، نريد منكم مهرة تأكل بايدها، ما تاكل باثمها، نريد (وضحا) - زينة البنات - لنمر ولد بركات العدواني نشمي الأعيال!**» أجاب والد (وضحا)، ترخصون لي أشوف البنت وامها[٥٣]. دخل (فلاح) المحرم واستشار (وضحا) وأمها فرحبتا بالجاهة فعاد مرحا، وقال: «**حياكم الله اشربوا قهوتكم ترها جتكم عطية ما من وراها جزية**»[٥٤] جعلها الله صبار ابركة!

أجاب كبير الجاهة: (وضحا) ما تنسام بمسام (مير) الهدية عند أجاويد

---

(٥٣) البدو الأصلاء، لا يزوجون أنثى، ما لم تقل أن لا اعتراض لها على ذلك لأنهم يقولون: «المغصوبة، ما لها عرض». أي الأنثى التي أرغمت على الزواج إرغاما، ليس لها شرف تحافظ عليه. لأنها لم تخير ولا استشيرت.

(٥٤) كانت العادة في زواج الأكابر والزعماء أن يقول ولي الأنثى جتكم عطا، وكبير الجاهة يقدر السياق اللائق، والدليل على ذلك قول المرحوم نمر:
«جتني عطا، ما سقت بها مثامين، بنت الحمولة كل من جا حمدها، فتوهم بعض الباحثين أوهاما أساءت إلى نمر وإلى وضحا، لأنهم يجهلون العادات، ونراه يقول: ما سقت بها غير خمسة أو ثمانين بعضه أبكار. أو بعض يدرج ولدها، ويروى ما سقت بها غير مئة أو تسعين معهن أعبيه أو عبد يرعى جلدها! أي الجزية كانت خمسا وثمانين ناقة، بعضها لم تلد، وبعضها حوارها معها. والثاني الجزية كانت مائة وتسعين نعجة وفرسا أصيلة من سلالة العبيات وعبد يرعى الجلد - وتعني النعاج الصغار التي لبست رغثا حلوبة، سنتوسع في هذا عند ذكر العادات.

الله لها جزية، جزيتها تصل الأمراح بأقرب وقت إن شاء الله! أجاب أبو (وضحا) ما تقصرون إن شاء الله.

شربت القهوة، وذبحت الذبائح وبعد العشاء جاءت الجاهة إلى مضارب العدوان، فاستقبلت في عرب العدوان بشيء من التجهم، هذا من حيث العدوان، أما عرب السبيلة، فإن ابن عم (وضحا)، جاء معترضا بأنه أولى بابنة عمه، وكاد هذا الاعتراض يحدث مشكلة. لكن والد وضحا تدارك الأمر بحكمة وقال: «هذي وطفا! بنت عمك، وما بين بنات العم خيار، فالقمه حجرا.

لم تمض أيام، حتى كانت الجزية عند الشيخ فلاح في مراحه، فمنهم من يردد قول (نمر):

«ما سقت بيها غير خمسة أو ثمانين ببهن ابكار وبعض يدرج ولدها!

ومنهم من يردد قولا منسوبا إليه:

ما سقت بيها غير مية أو تسعين معهن أعبية أو عبد يرعى جلدها

وعلى رأي أساتذتنا الأزهريين والله أعلم!

⁂ ⁂ ⁂

لم يمض شهر حتى كان (القطار)[٥٥] من قبل العدوان في عرب السبيلة لزفاف (وضحا)، وقد أعدت (البرزة) قبل إحضار العروس. فلما دخلت

---

(٥٥) القطار - هو الوفد الذي يرسله أهل العريس لإحضار العروس من عند أهلها، إذا كانت في بلد أو حي آخر، وهو مجموعة من الوجهاء ذكورا وإناثا، وفي عاداتهم أنه لا يجوز أن يمر القطار بحي أو بقرية من غير أن يدعى إلى وليمة، ولكي يوجه القطار إلى نفسه الأنظار، يتسابق فرسانه، وتزغرد النساء، وعند عودة القطار إلى حي العريس، يقام السامر سبع ليال سحجة للرجال وغناء للنساء. قاموس العادات واللهجات للمؤلف ج٢ الطبعة الثانية.

(وضحا) البرزة صُمدت[٥٦]، دخل (نمر)، فحلف لها أنه لن يعرف غيرها من النساء امرأة مادام الله كاتبا لهما الحياة، وعزز ذلك ببيت من الشعر يروى:

«ما زولك حبّة، وأنا ما توفيت   يحرم عليك سمعك للطلاق[٥٧]

حشمها سبع ليال حشمة[٥٨] بنات الأمراء وكبار الشيوخ. فسارت الحياة بينهما كأنها أنشودة غرامية يعزفها عازف ماهر. الأمر الذي ملأ بعض القلوب غيرة وحسدا، خاصة قلب الشيخ (حمود) الذي رأى حياة (نمر) تزداد إشراقا، من يوم إلى يوم. وفوق هذا فإن القبيلة رأت في حياة (نمر) شبه ثورة على التقاليد والعادات التي كانت تقدس الأم، فالأم ما دونها دون، ولا شيء يكون[٥٩]، والأخت مجال فخر، فإذا ضيم الأردني هتف! «لحد، أنا أخو فلانة!»[٥٩] أما الزوجة فإن التقاليد والعادات تخفض من قيمتها. فقد كان الزوج إذا أراد أن يذكر زوجته، يكني عنها، بمثل قوله:

أ - الحرمة - الله لا يحرمك لذة الدنيا، ويكرمك من هالطاري[٦٠]

ب - المرة - الله لا يمرمر لك ريق.

---

(٥٦) الصمدة، هي أن تجلس العروس في مكان عال، والبرزة، بيت شعر صغير بحسب المستوى الاجتماعي، يقيم فيه العروسان سبعة أيام، لكن نمرا أقام في البرزة أسبوعين، فتوالت عليه الانتقادات.

(٥٧) ما دمنا في قيد الحياة، فمحرم عليك أن تسمعي مني كلمة طالق.

(٥٨) الحشمة - بكسر الحاء، تعني في الاصطلاح الأردني التكريم والكرامة. وفي اللغة الغضب. كانت العادة - عند الطبقة الراقية - أن لا يقرب العريس عروسه الليلة الأولى والثانية، وبعضهم جعلها ثلاث ليال، إيناسا للعروس، ومداعبة لها. لأن أكثر الزيجات في المدن والقرى، كانت تتم والعروسان لا يعرف أحدهما الآخر، إذ لم تكن التعليلة المألوفة في البادية مقبولة في القرى والحواضر. من أجل هذا سنت ليالي الحشمة. ولكي يجنبوا العروس سطوة القناشات اللواتي يعلن بكارتها! وزوالها.

(٥٩) كلمة دون هنا من الأضداد، وتعني هنا ليس هناك ما هو أعلى من منزلة الأم، وليس هناك ما يساوي مقامها.

(٥٩) لحد - أي دون إذلالي، اللحد لك أيها المتحدي! أفما علمت أني أنا شقيق فلانة، التي ما لوثت لي عرضا، ولا دنست شرفا، فكيف أذل؟

(٦٠) الطاري يعني بها الأرادنة الذكر - الطيب، والرديء، أي أكرمك من أن ألوث شرفك بهذا الذكر الساقط، أي المرأة.

جـ - أم الاعيال - الله لا يعيل لك أمر.

د - إمرتي - حيشاك، وأنت أكبر قدر.

هـ - الأنثى - الله لا ينثي لك بخت.

و - ألولية - الله لا يولي عليك ظالم.

* * *

ولم تكن تقاليد العادات تسمح للزوجة أن تنادي زوجها باسمه أو بكنيته، حتى لو كان واقفا أمامها، أو الى جانبها، فعليها أن تكرر أحد هذه النداءات، إلى أن يلتفت إليها:

* **يا هاضا** - أي يا هذا! كانوا يحولون الذال ضادا إلى سنة ١٩٢٥م، في مأدبا وضواحيها. أما الحويطات فكانوا يحولون الهمزة ضادا ضبط - في إبط.

- يا هضاك - يا ذاك!

- يا إنت - يا أنت!

- يا هوه - هو

إلى هذا الدرك الأرذل وصلت الزوجة، ليس هذا عندنا وحدنا، بل كان عاما، فقد ذكر الأستاذ (محمد جميل بيهم) في كتابه النفيس (المرأة في حضارة العرب، والعرب في تاريخ المرأة)، ذكر أمورا مخجلة محزنة، وسمى الديار التي كانت تفرض على الأنثى، إذ بلغت السادسة من عمرها وأدا بلا قبور. وكانت البدوية أحسن حالا من القروية والحضرية، وقد ثار (نمر) على كل هذه الخرافات والخزعبلات!

أجل لم يكن احتقار المرأة خاصا بديارنا. فقد ذكر الأستاذ (محمد جميل بيهم) أنه لما عنيت حكومة المغفور له (فيصل الأول) بتعليم البنات، ثار الشعب، وأعلن ثورته بتظاهرة كان شعارها: «القبر، ولا المدرسة» ومرت التظاهرة بناد، أنشأته شقيقة الشاعر المشهور (جميل صدقي

الزهاوي)، (أسمى)، فحطمت اللافتة، وكان الذين حطموها يهتفون: «متى كانت المرأة تعلن عن نفسها خارج الدار؟»[٦١].

❧ ❧ ❧

فقد كان إعفاء (نمر) لـ (وضحا)، من كل ماكان مألوفا يومذاك، ثورة اجتماعية أثارت الرجال على (نمر)، وأثارت النساء على (وضحا). فصار الرجال يطلبون من كل زوجة أن تتشبه بـ (وضحا)، من غير أن تتيح لها الفرصة المتاحة لـ (وضحا)، وصارت النساء يطلبن من كل رجل أن يتشبه بـ (نمر) معاملة للمرأة، غير مقدرات الظروف التي تهيأت لـ (نمر). وقد كان ضرب المرأة أمرا عاديا، يشير إلى ذلك قول إحداهن:

«ع الأسمراني ع الأسمراني! هاللي سلامه بالخيزران»

❧ ❧ ❧

ويروى البيت على هذا الوجه:

يااما أحلى الأسمر الأسمراني! هاللي سلامه بالخيزران!»[٦٢]

❧ ❧ ❧

* وضحا أم البنات! جيابة البنات!

قبل أن ترزق (وضحا) (عقاباً) وإخوته، ولدت طفلة، ففرحت جاراتها - منافساتها على (نمر)، وزادت الشماته يوم ماتت الطفلة! ولم يمض حول، حتى ولدت (وضحا) طفلة ثانية، فطارت الشامتات فرحا، وصرن يهمسن بينهن: «جيابة بنات، الله لا يقيمها ولا يقيم (نمر) معها. متزنطرة[٦٣]

---

(٦١) المرأة في حضارة العرب، والعرب في تاريخ المرأة ص٣١٢، (٥٥) لما خرجت مع عروسي سنة ١٩٢٣م، نزهة صارت ضجة في الحي في (مادبا)، وقال بعضهم: «المعلم روكس يريد يركب النسوان على أكتافنا»!

(٦٢) ما أجمل الأسمر الذي تحييه لي بعصا الخيزران!

(٦٣) متزنطرة - أي بلغت أقصى حد من الكبرياء، حتى كأن جسمها قد ضخم تبعا لكبريائها التي لم تقف عند حد. يا إلهي عفوك ماذا أصاب نمر العدوان هل جن.

و(نمر) ماهو شايف بالدنيا أحد غير (وضحا)، وفوق هذا تحلف الداية أن (نمر) حب (وضحا) على جبينها وهي نفساء، قبل ما يصير لها ثلاثة أيام، والناس كلها تدري أن النفساء أم البنات ما تنلمس قبل شهرين، وأم الولد لا يجوز لمسها قبل الأربعين، وهكذا ضجّت النساء بصوت واحد: «يا الله دخلنا عليك، وش صاب (نمر) هالمنصب هو انجن؟!».

وكانت النساء يتوقعن أن تسقط منزلة (وضحا) عند (نمر)، لأنها ولدت طفلتين، وقد ذهل الجميع يوم علموا، أن حبه لها ازداد عما كان عليه يوم زواجهما، وكانت القبلة التي طبعها على جبينها، والنساء ينظرن أعظم دليل، لأن مثل هذا الأمر، لم يسبق له مثيل، لأن النفساء أم الولد تظل نجسة - في رأيهم - إلى الأربعين، فلا يأكل زوجها من يدها شيئا أما المؤاكلة، مؤاكلة الزوجة فلم تكن مقبولة، لأنها تسقط الرجل: لاعتقادهم أن من يؤاكل زوجته يجب أن يطلقها لأنها تضحى بمنزلة أخته[٦٤]، فقد كانوا إذا أرادوا الطعن في رجولة رجل عيروه بقولهم: «**سبعة إمواكل امرته!**».

أجل كان حب (نمر) لوضحا) معلنا، كأنه يريد أن يتحدى العقلية المتحجرة، فسارت حياتهما سعيدة، لم يعكر صفوها سوى موت الطفلة الثانية، وفي الحول الثالث ولدت مولودا ذكرا سماه (عقابا)، وكني (نمر) بـ (أبو عقاب)!.

❀ ❀ ❀

---

(٦٤) ذكر لي المرحوم أبي، أن أحد البدو الذين كانوا يشترون ما تحتاج إليه أسرهم من ملابس - لأن تجارة المأكولات كانت عارا - حضر يوما هو وزوجته، ولما حان وقت الغداء أحضر له المرحوم أبي غداء، وألح عليه أن تأكل زوجته معه، ففعلت، فلما عاد في الأسبوع الثاني سأله عن زوجته، فقال: لقد طلقتها لأنها أكلت معي، صارت أختي!

الفصـل الرابـع

الطنيبُ الذي جَاء من عند أهـله مشهـدًا علىٰ جوار[٦٥]

(نـمرُ العـدوان)

وصل إلى الحي رجل غريب جليل المظهر، مع أسرته، وإبله وأغنامه، وكان يسأل عن (نمر العدوان)، واتفق أنه سأل (نمر العدوان) فيمن سأل. فقال له (نمر): ماذا تريد من الرجل؟ أجاب: «أنا امشهّدّ من عند أهلي أني طنيب (نمر العدوان)، وأن كل اعتداء علي، هو اعتداء على (نمر)، أجاب (نمر) «**وصلت حياك الله، الديرة ديرتك وابيوتنا ابيوتك**». وفي اليوم التالي أقام (نمر) وليمة كبرى، دعا إليها وجهاء العدوان وعرّف طنيبه إليهم، ومنذ تلك اللحظة حظي الرجل بكل تكريم، ونصب مضربه عند مضرب (نمر)، فأحس الجار وأهله أنهم بين أهل. دعا الطنيب الوجهاء إلى وليمة، وصار يتردد على الشق كأنه أحد وجهاء العدوان، ثماني سنوات، إلى أن دبّت عقارب الوشاية، فارتحل الجار بلا استئذان ولا وداع، على خلاف كل ما تقضي به أعراف البادية وتقاليدها.

فعل ذلك بينما كان (نمر) غائبا عن الحي. فلما عاد (نمر)، فوجيء برحيل طنيبه، وبأراجيف تبرع بها المتبرعون، استاء (نمر) وبعث إلى جاره ذاك بهذه الأبيات، لأن حسدة (نمر) قالوا: «إن الجار هرب من جوار (نمر) مرغما!

سر يا قلم واكتب سلاما امعطر   للصاحب اللي ما اندرى لبه تغيّر؟[٦٦]

---

(٦٥) قبل أن يسير من عند أهله، أشهد اثنين أنه ذاهب في حماية فلان، فيصبح كل من يعتدي عليه معتديا على من احتمى به.

(٦٦) اكتب يا قلمي تحيات عطرة إلى الصديق الذي لا نعلم لماذا تغير؟

والـلـه حـنّـا ودّنـا مـا تـنـكـر ... ولا جرى من جالنا ما يكدر[٦٧]

لـلـه نـشـكـي جـيـرة ولّـدت شـر ... إو صارت سوالف للمخالبق تنشر[٦٨]

شـقّـبـتْ فـيـنـا كـل نـذل امـعـثّـر ... إو خلّيتنا بين المخاليق مهْزَز[٦٩]

إن الذي يلاحظ هذه القوافي الساكنه، يحس بمقدار الألم النفسي الذي سببه هذا الجار العاق لـ (نمر)، برحيله في غياب من أجاره وأكرمه كل الإكرام بلا داع، خلافا لكل الأعراف والعادات والتقاليد، التي توجب على الجار قبل رحيله، أن يعتذر للذين استقبلوه، وحموه من أي اعتداء، ويولم لجيرانه وليمة الرحيل، التي يسمونها: «تربيط دبّان الدار» ومن ثم يقوم جيرانه بتكريمه وبوداعه، إلى أن يصل إلى مأمنه.

* * *

رحلة (نمر) إلى (القدس) و(نابلس) و(الخليل)، ليسري عن نفسه:

شعر (نمر)، بعد رحيل جاره، وبعدما تردد في الحي من أقاويل، بأنه في حاجة إلى رحلة، لينسى أو يتناسى ما حدث. فودّع (وضحا)، وأوصاها بأن تكرم ضيوفه - في غيابه - مع أنها ليست في حاجة إلى من يوصيها، لأنها تعلم كل شيء عن طباع (نمر)، وأخلاق (نمر). وكما هي العادة حدد لها أيام غيبته، إذ قيل لنا أنه لم يخلف ميعادا سوى مرة واحدة مرض فيها، عندما كان زائرا لصديقه السيد (موسى طوقان) في (نابلس) فمرض، واحتجزه السيد طوقان للعلاج، فطلب (نمر) من صديقه (طوقان) أن يرسل

---

(٦٧) أقسم بالله أن ودنا لم يفسد، ولم يجر من نحونا ما يكدر الخاطر.

(٦٨) إلى الله نشكو جوارا ولد لنا شراً، وصار ذاك الجوار سببا في إشاعات يذيعها الناس. وفعل شكا من الأفعال الثلاثية الناقصة التي تتردد لاماتها بين الواو والياء، فيقال: شكا يشكو، وشكى يشكي.

(٦٩) لقد جعلت كل ساقط في حيه قليل الدين شامتا بناء، وجعلتنا مهزأة بين البشر. مهزز ومهززة في اللهجة الأردنية هو الذي يهزأ به ومنه الناس.

من يطمئن (وضحا)، ويخبرها أن أشغالا طارئه فرضت على (نمر) إخلاف موعده. وقد فعل السيد طوقان ما طلب نمر.

ضيوف، و(نمر) غائب:

نهضت (وضحا) من فراشها، على عادتها مبكرة، فسار الرعاة بأغنامهم، فاختلطت - في الحي - الأصوات، وسمع في شق الزعيم (حمود) ضبّاح المهباش[٧٠] فأشارت إلى (الفداوي)[٧١] أن يعدّ القهوة، لأن شق (نمر) مقصود، فلم يفرغ الفداوي - إرشود - من إعداد القهوة حتى نزل بالشق ضيوف، دلت هيبتهم على أنهم من ضيوف الجلالة، فنادت (وضحا) الفداوي - إرشود - وقالت له: **«إروج يا عين أبوي قبل ما تبعد الغنم، وأحضر ذبيحة جزلة، لغداء الضيوف، لأنهم ضيوف جلالة»**.

سمع (إرشود) قول (وضحا): «يا عين أبوي»، فكاد يطير من الفرح، فأخذ يردد - وهو في طريقه لإحضار الذبيحة - يا عين أبوي - النداء الخاص بـ (نمر)، فوسوس له الشيطان أنه حل من قلب (وضحا) محل (نمر). أحضر كبشا، فأمرته (وضحا)، بأن يذبحه، ويسلخه، ويقطّعه، ويسلمه للإماء، ليعددن منه طعاما للضيوف. بعض الإماء وضعن القدر على النار، وأشرفت (وضحا) عليه، وأخذت واحدة من الإماء تخبز الشراك[٧٢] لأنها تجيد صنعه رقيقا، بسرعة فائقة ظهر المنسف، في وسطه رأس الكبش، وكل اللحم والإلية، لم ينقص من الكبش شيء، وبعد الغداء

---

(٧٠) ضباح المهباش - صوت المهباش - الهاون من الخشب المزخرف. الضباح في اللغة صوت الفرس، أما في اللهجة الأردنية فتطلق الكلمة على صوت المهباش، قال الشاعر: «النجر يضبح، دب الأيام سهران؟».

(٧١) الفداوي، الجمع فداوية، صنف من الخدم مخصص بخدمة الشق، وصنع القهوة، وتقديمها.

(٧٢) الشراك، هو رقاق الخبز الذي يخبز على الصاج، وكلما كان رقيقا أكثر، كان أفضل. والشراك لا يكون إلا من دقيق القمح. أما الذي من خبز الشعير فيسمى الطبطابي، لأنه لا يكون رقيقا، والذي من الذرة يسمى الكراديش. الواحد كردوش.

ارتحل الضيوف شاكرين - أعطوا المعازيب الخلف[٧٣] فلم يبيتوا لأن (نمر) غير موجود، والتقاليد لا تسمح لضيف أن يبيت في بيت، صاحبه غائب.

عرّف وجيه الضيوف بنفسه وبرفاقه، وشكر (أم عقاب)، ورجاها أن تنقل تحياته إلى (نمر) لدى رجوعه، وبالغ في الثناء على (أم عقاب).

التجربة - إرشود الفداوي وشيطانه -

لم تقف مشكلة الفداوي إرشود عند الوساوس والأوهام، بل تعدت ذلك إلى الطمع في الحصرم أن يتحول زبيبا. فقد ظل يناجي نفسه: «لقد سمعتها تقول بلسانها: «يا عين أبوي!» إنها لم تردد كلماتها الثلاث هذه إلا لـ (نمر). أليس هذا دليلا على أني حللت من قلبها محل نمر هذه الليلة على الأقل. كل إنسان له ساعة يضعف فيها، ولعل هذه هي ساعة ضعف (وضحا)، فإني سأنعم بقبلة منها. ألم يقولوا: «من باس داس!؟» أنا لا أطلب منها سوى (حبّة). ألم يقولوا أيضا: «قل للذي تحبه إنك تحبه وأبق ما بعد هذا للشيطان؟!»..

مالي أتردد؟ ألست رجلا تام الرجولة؟ ووضحا أليست امرأة تحب وتكره؟ وفوق هذا فزوجها غائب، والبيت خال. والشيطان لم يمت. كل ما أطلب أن يحل الظلام بسرعة. إن الأقدار تصنع المعجزات، فلأجرب حظي، فإن فزت بما أريد، أكن قد فزت، بما لم يطمع به سواي، وإن أخفقت، فإنها ستدفن الموضوع». لئلا تثير شكوك زوجها فأبو عقاب شديد الغيرة على (وضحا)، يغار عليها من نسمات الريح لشدة محبته لها.

---

(٧٣) أعطوا المعازيب الخلف قالوا للمضيفين خلف الله عليكم، أي أعاضكم الله عما خسرتم. وبعض القبائل تكره هذا، وتقول: «أنعم الله عليكم».

أخرج (إرشود) من جيبه مرآة صغيرة، فأعجبته صورته في المرآة، ورأى في ذلك مبررا لمراودة سيدته عن نفسها!..

الشيطان ينتصر!

أقبل الليل، وغاب قمير كان يرجو غيوبه، وسكنت كل حركة في الحي، ولم يعد يرى سوى سراج (وضحا)، وهي وحدها في المحرم، والطفل (عقاب) نائم، فانسل إلى المحرم، فما أن رأت (وضحا) وجهه، حتى قالت متعجبة: (إرشود)، وش جابك بتالي الليل؟».

(إرشود) خفت تكونين محتاجة إلى شيء، وأنا أنام بأقصى الحي، وأنت تخجلين أن تناديني في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل. أجابت: «ما أحتاج إلى شيء، عسى ما لك حاجة إنت؟! أشوفك تضحك؟ أجاب: «والله يا (أم عقاب) ما عليك مجحود لي حاجة هينة!

(وضحا) وش حاجتك قل!

(إرشود) - أريد أطلبك حِبَّة!

تضاحكت، وقالت: «هداك الله يا (إرشود) أنت من العيلة وما عليك عزيز، لكن مطلوبك هذا، ماهو لي، هذا أمانة لأبو عقاب معي، وأنت ما تريد أن أفرط في الأمانة، ويوم يعود (أبو عقاب) بالسلامة إن شاء الله، - أشاوره، فإن سمح، أشوف اللي يلهمنا الله، وربك كريم».

تجمد (رشود) من الخوف، فأخذ يستحلفها بحياة (نمر) و(عقاب) أن تصفح عن زلته، تلك. قالت له: «لا تخف يا (إرشود) لن ينالك أذى، لكن لا يجوز أن أخفي عن (نمر) شيئا، فلا تسل عن جهنّم التي زج (إرشود) جسمه ونفسه فيها!؟».

مر أسبوع على حكاية (إرشود)، فإذا صهيل فرس نمر (يملأ) الحي. عرفته (وضحا)، فنهضت لاستقبال زين الرجال (نمر)، قبّلت غرة فرسه، ورحبت به - على عادتها - عدّلت الفراش، وجددت القهوة، صنعت طعاما مستعجلا من العجة بالسمن والدجاج المشوي، والعسل، فبعد أن طعم، سأل (وضحا) عن سير الأمور في غيابه، فقالت: «إن كل شيء قد سار على ما يرام، ذكرت له تكريمها للضيوف في غيابه، وأبلغته سلامهم، وسمت وجيههم، فسر بذلك لأن الرجل من أعز أصدقائه، فلما لاحظت سروره ابتسمت ابتسامة رقيقة، فأدرك أنها تريد أن تقل له شيئا، فقال: «أم عقاب»، أنا أحس بأن عندك شيئا، تريدين أن تقوليه لي! فماذا عندك؟ قولي، فليس من عادتك أن تخفي عني شيئا، لا صغيرة ولا كبيرة!

أجابت: «ليس هناك شيء له قيمة، لكني أطلب منك قبل أن أخبرك بشيء، أن تقسم لي بحياتي وحياة (عقاب)، أن لا تؤذي أحدا بسبب ما أروي لك!

أجابها! «ما دمت أنت تتشفعين في صاحب السولافة سلفا، فإني أقسم بحياتك وحياة (عقاب)، أن لا يصاب صاحب هذه الحكاية بأذى، مهما تكن جريمته!..

* * *

عندها ضحكت، وقال: «إرشود»

(نمر) ماذا فعل (إرشود) في غيابي، أسرعي، قولي:

أجابت (وضحا) وأنت غايب طلب مني حبة[٧٤].

---

(٧٤) يعني الأرادنة بالحبة القبلة.

ضحك (نمر) حتى بانت نواجذه، وقال وهو يقلب يديه: «إرشود له الحق أن يشاركنا في مالنا، وحلالنا، نادوا لي الشريك الجديد الطيب، حضر (إرشود) يرتجف. فلما وقف بين يدي (نمر) قال له: «مرحبا بافداوينا الغالي (إرشود)، لا تظن إني غاضب عليك، وعلى سولافتك[٧٥] هذي، فأنت قد أنرت بصري وبصيرتي بذوقك الراقي، لأنك أفهمتني أن هناك أناسا - في مثل ألمعيتك - يرون في (وضحا) من الجمال ومن المزايا، مثل الذي أراه أنا فيها. وهذا يثبت لي أني لست مجنونا في هواها، وأنهم يطلبون منها حبة تكريما لجمالها. فأنا أشكرك لذلك، وسأمنحك مكافأة لأنك قدرت مزايا (وضحا)، وهذه هي المكافأة:

أ - عباءة جوفية - من صنع الجوف -.

ب- دامر جوخ[٧٦]

جـ- كبر حرير زند عبد[٧٧]

د - وعشرون عنزا حلوبة.

هـ - وعشرون ريالا أبو شوشة[٧٨]

* * *

تأخذ هذه، وتقلب وجهك من العرب، فإذا رأيتك في الغور، فاعلم أني سوف أذبحك. حاول (إرشود) أن يهرب، من غير أن يأخذ شيئا، لكن

---

(٧٥) السولافة الحكاية وهي في هذا المقام تعني الحكاية المخزية.

(٧٦) دامر الجوخ. لباس من الجوخ يصل إلى الحزام للرجال، وإذا كان للنساء فهو أطول، وفي السلط يصل إلى ما تحت الركبتين.

(٧٧) الكبر وتلفظ الكاف جيما تركية بثلاث نقاط. وهي كلفظ هذين الحرفين CH باللغة الانكليزية.

(٧٨) الريال أبو شوشة، هو ريال من عملة النمسا، نقد من الفضة منقوش عليه صورة، شعرها غير مرتب تماما. والجمع شواشي قال الشاعر يمدح زعيما:

المنصب اللي سيرته ترفع الراس

اللي كلامه لون عد. الشواشي!

(نمرا) هدده بالموت قائلا: «والله إن خرجت قبل أن تأخذ ما وهبت لك، فإني سأدفنك حيا». خرج وهو لا يقوى على السير، وقد كان يقول للناس، بعد أن شاعت حكاية (إرشود)، والله لو أن (نمر العدوان) ذبحني لكان ذلك أفضل لي من تسامحه، الذي جعلني أسير كالأجرب الذي يتحاماه الناس!.

مضايقات تتوالى على نمر - كلما زاد احترامه، وعظمت شهرته!

عند عودة (نمر) من (الأزهر الشريف)، أقام عمه (بركات)، الذي كان يدعوه البدو أباه، أقام سلسلة ولائم سبعة أيام متوالية، وهو تكريم لم يحدث له مثيل في تلك الديار. وجاء بعد ذلك إهداء البندقية المتطورة له، بعد هذا، زواجه الذي كان ثورة اجتماعية، لأنه تزوج بأجنبية - أي ليست عدوانية - وأكثر من كل ذلك التوفيق الذي أحرزه (نمر) في زواجه، والذي لم يعد يحتمل، هو ثورة نمر على الأعراف والتقاليد والعادات، فوق هذا شجاعة (نمر) وكرمه، فقد صح في (نمر) قول الشاعر البدوي:

«الحريم ما يحبّنْ بيضا غريرة   والرجالْ ما يحبونْ رجّالْ شجيعْ!»[79]

فقد أمسى الزعيم (حمود)، لا يطيق ذكرا لنمر، ولا سيما بعد موت (بركات) عم (نمر) و(نوفة) أمه، لقد أحس (نمر)، أنه فقد عونا في الحي، فأسرَّ لوضحا، بأنه أمسى بين أحد أمرين لا ثالث لهما:

أ - إما أن يقتل الزعيم (حمود)، فيدمر القبيلة، بما يزرع في قلوب أبنائها من إحن.

ب- وإما أن يرتحل بكرامة. وقد ردد عليها هذا البيت:

«ميتة عزيزة بين الأجناب بَرَى   أخير ولا عند الرفاقي ذليل»[80]

---

(٧٩) النساء يكرهن كل فتاة جميلة، والرجال يكرهون كل رجل شجاع.
(٨٠) موت الرجل عزيزا عند الأجانب أفضل من حياته بين أقاربه ذليلا.

فردت عليه قائلة لقد سمعت العود - وتعني أباها يردد هذا البيت:

بعدك أعن اللي ما يريدك جلاهم   إو صبرك على زلة رفيقك اعبادة[٨١]

كرر (نمر) البيت، وسكت.

من غير أن يُعلم أحدا، أو يودع صديقا أو قريباً، بعث بأغنامه مُشهدات على الشيخ (ابن ملاّك)، شيخ (الصقور)، النازل هو وعربانه في (غور بيسان)[٨٢]. وفي ليلة ظلماء رحل (نمر)، وضرب بيته بجوار بيت (ابن ملاك)، وكانت شهرته قد سبقته:

فارسا ممتازا، شاعرا مبدعاً، شجاعاً، كريماً متلافاً، ماهراً في الرماية يملك بندقية متطورة لا شبيه لها. تصحبه (وضحا) زينة النساء، والطفل (عقاب)، والطفلة التي ولدت قبل عقاب، وكانت مريضة بالحصبة قبل الرحيل، وفي الليلة الثالثة لنزوله ماتت الطفلة، ودفنت كما يدفن أطفال البادية قديما. احتفى ابن ملاك بجاره أعظم احتفاء.

* * *

---

(٨١) ابتعادك عن الذي لا يحبك يزيل همومك. وصبرك على أخطاء أقاربك عبادة.

(٨٢) الصقور ينسبون إلى (المقداد بن الأسود)، انضم إليهم (السردية) و(المهداوية).

الفصل الخامس
ابن ملاك يغزو هو وقومه، ويتخلف (نمر) لمرض ألمّ به

ما كاد حي (ابن ملاك) يخلو من حماته، حتى هاجمه غزاة يزيد عددهم على المائة بين فارس وراكب ذلولا، وغنم الغزاة كل ما يمتلك (ابن ملاك) وقومه من ثاغية وراغية، من غير أن يجدوا من يصدهم، أو يردهم، فجاء الصايح[٨٣] يصرخ بأعلى صوته: «هلا الخيل، وين رح النشامى؟» لم يكن في الحي سوى بعض الشيوخ والعجزة، و(نمر العدوان) المريض، لبس درعه و**البنيش**[٨٤] - رمز الشهرة - امتطى فرسه، وأخذ بندقيته المشهورة، وسيفه، وتبع الغزاة، فأدركهم، قبل أن يبتعدوا، وعلى مقدار ما يسمعون صوته، ناداهم قائلا: «ياهلا الخيل، يا نشامى، أجوهكم بالله وبمحمد رسول الله، أن تأخذوا لكم ذبيحة عن الفلاس، وتقفوا أجوهكم بالله أو بمحمد رسول الله مرة ثانية!»[٨٥].

* * *

ردّ عليه عقيد الغزو قائلا: «أنا أجوهك بالله، وبمحمد رسول الله، أن تسلم بروحك، ولا تحملنا دمك! وإلا والله الذّبان الأزرق، ما يشوفك!»[٨٦] وهنا ردد (نمر) النداء على الغزاة ثلاث مرات، فلما لم

---

(٨٣) الصائح هو طالب النجدة ويسمونه الصايح بالياء.

(٨٤) البنيش - كساء أحمر طويل واسع، يلبسه الفارس المشهور في الحرب فوق ملابسه، ولبسه إشارة إلى أن لابسه يتحدى كل فارس. والكلمة تركية.

(٨٥) من عادة الذين يتابعون الغزاة، لاسترداد ما نهبوا، ويسمونه الكسب، أن يستحلفوهم بالله وبالرسول لكي يردوا المنهوبات بلا حرب، على أن يتخلوا من المنهوبات ذبيحة لهم.

(٨٦) أجوهك بالله، أعظم استحلاف عند الأرادنة.

يستجيبوا له، ظهر على نشز من الأرض وقال: «يا عقيد القوم، ما أريد أن ألحق بك الأذى، لكن انتبه إلى فرسك، فهذه رصاصة برأسها، فأطلق الرصاصة، فسقطت فرس العقيد، وسقط هو عنها. وإذا صوت (نمر) يرتفع: «يا قوم أسوق عليكم الله كفوا شركم عنّا، ولا تجعلوني أبتديء بالروح اللي حرمها الله!»[٨٧] التفت العقيد إلى الغزاة قائلا: اقبضوا على الرجل حيا، وأحضروه، فهجم مجموعة منهم. على (نمر) وفيما هم مقبلون عليه، أطلقوا من بنادقهم طلقات لم تؤذه، فأردى أربعا من خيلهم. وجرح أسبقهم جرحا بليغا، ووصل إليه اثنان مع كل منهما رمح، فطعناه. فلم ينفذ الرمحان من درعه، فتولاهما بسيفه فأطار رأس واحد منهما ونجا الثاني.

فتخلى الغزاه عن كل ما كسبوه، وعاد (نمر) بقلاعته، وربطها عند بيت (ابن ملاك) فلما عاد (ابن ملاك) ورجاله غانمين، وعلم بما حدث، فرز لـ(نمر) نصيبا من حصته، وأعاد القلاعة وشكره. وارتفعت منزلة (نمر) إلى درجة أن نساء الحي استقبلنه بالزغاريد والمهاهاة[٨٨] كاستقبال العريس. وجاء الرجال يهنئونه بما يسر الله له من نصر مؤزر، وزادت شهرته بين القبائل، الأمر الذي خلق له خصوما حاقدين بلا سبب إلا شهرته، فصح به القول المشهور: «يحسدك الناس على المال، وعلى الجمال، وعلى الشهرة، لكنهم لا يمكن أن يتسامحوا بكونك تحلّق فوق رؤوسهم في السحاب!» وهذا ما أصاب (نمر) عند العدوان، الذين ابتعد عنهم، وعند الصقور، جماعة (ابن ملاك).

---

(٨٧) كان (نمر) انساني النزعة، إذ كان يبتديء بخيل محاربيه، عفة منه عن قتل المحاربين تقيدا منه بالآية: «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق» سورة الأنعام ١٥١.

(٨٨) المهاهاة، نوع من الأغاني التي ترددها النساء عند العريس بعد عودته من الإكليل عند النصارى أو عقد القران عند المسلمين، وهذه مما قيل في استقبال (نمر) اهيا يا بي اعقاب يا نوارة كل أهلك، يا عاقد الشور يا بعدي على مهلك، يا عقاد الشور في روس الرجاجيل، يا نافع السم في قلوب العدوين!

أما (وضحا) فقد برزت مزاياها بروزا واضحا، وأمسى سلوكها مضرب المثل. فإذا أرادوا أن يمدحوا امرأة قالوا: «كِنها وضحا!»[٨٩]، إذ لم يسمع عنها ما ينتقد، لم يسمع عنها أنها انصرفت عن (نمر) مقفية[٩٠]، فوجه بشوش دائما، وصوت هادئ، وحركات متزنة، ورقة مع الإماء والعبيد، وكلام قليل، فكأن (الأعشى) يصفها وهو يقول:

كأن مِشْيَتَها من بيت جارتِها	**مرُّ السحابةِ -، لا ريثٌ، ولا عجلُ**
ليست كمن يكره الجيرانُ طلعتَها	**ولا تراها لسرِ الجارِ تَختتلُ**
إذا تقومُ يضوعُ المِسْكُ أصورَةً،	**والزنبقُ الوردُ من أردانِها شَمِلُ**

حقا لقد كان البدو يرون فيها طرازا خاصا من النساء، فلا عجب إذا ضرب بها المثل «كنها وضحا!» أي كأنها (وضحا)[٩١].

امرأة من عرب ابن ملاك، تضايق (ابن عدوان) بالثناء عليه، يبلغ درجة التغزل به، وتتمنى لو أنه زوجها، لتنجب منه نسلا يشبهه!

كانت الهزيمة، التي ألحقها ابن عدوان بالغزاة، نقطة تحول في حياته خارج قبيلة العدوان. بعد إقامته أكثر من ثلاث سنين جاراً لا يختلف عن بقية الجيران، إلا بكونه (ابن عدوان) الشاعر الفارس الكريم، أما أنه يسد مسد مئات من الأبطال، فهذا كان خافيا على الجميع، إلى أن أظهره فعله العجيب وهزيمته لغزو كامل وحده. فجاءت هذه المرأة أو بالأحرى هذه الفتاة، تتغزل به ضاربة بالأعراف والعادات والتقاليد عرض الحائط، فأثارت حوله جوا من النقمة، وأخذت النساء، يتوقعن من (وضحا) أن

(٨٩) كنها وضحا، ونلفظ الكاف جيما تركية بثلاثة نقاط كحرفي CH في الانكليزية.
(٩٠) أي أنها لم تنصرف عنه وقد وجهت إليه ظهرها.
(٩١) جنها كانها وضحا، ويحول الأردنة البدو الكاف في كأن جيما تركية بثلاثة نقاط، يحذفون الهمزة، ونرجو اعتبار الكاف جيما تركية بثلاث نقاط، كلما وضعنا فوقها هذين الحرفين الإنكليزيين CH.

تثور، أو أن والد الفتاة سينتقم منها، لكن لا والد الفتاة سخط عليها، ولا (وضحا) اهتمت بالموضوع، وكان كل ما قاله والد الفتاة: «حياها الله عرفت قيمة الفارس اللي بيّض وجه العرب! وكان إعجابهم بـ (نمر)، أنه - على كل ما يتمتع به من شهرة، وإعجاب الناس به - كان كأنه يطبق ما قاله (عنترة بن شداد):

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي — حتى يُواري جارتي مأواها!»

لكن ماذا يصنع (نمر) بفتاة أعجبت به، ورفعت صوتها، غير مبالية بما يجر عليها وعلى (نمر) هذا الإعجاب! وهذه هي الأبيات التي حصلنا عليها من قصيدتها:

«تهيا المن تهيا له — لعزوته وارجاله!(٩٢)
إبن عدوان النشمي — يا ذاعر الخيّاله(٩٣)
يا اللي حديت المية، — حداهُم بسّ الحاله!(٩٤)
ليته ولد عما لي، — وإلّا أني بنت الخاله،(٩٥)
البيض يمّه طمحن — يا الله أن تحيّي فاله،(٩٦)
وواهني ل (وضحا)، — باللّي قليل إرْجاله،(٩٧)
يا ليت أنه حلبلي، — واصبر أنا أم اعياله(٩٨)
يحدر إجهازي عن البعير، — يرد عني القاله!(٩٩)

هذه الأبيات تقطر إعجابا ولهفة، أثارت عاصفة من النقد بين الرجال والنساء، لكن والد الفتاة كان واسع الآفاق النفسية، ووضحا كانت شديدة الافتخار بحبيبها، ولعل كل الذين سمعوا القصيدة، تصوروا أن (نمر العدوان) سوف يخطب تلك الفتاة، لكنه لم يفعل، وأخذ يفكر في أسلوب يبرر به رحيله من جوار (ابن ملاك)، الذي أكرم وفادته، وبالغ في تكريمه. لكن الرجل أحس بأنه لم يعد له مُقام مناسب!

❁ ❁ ❁

تفسير أبيات الملاكية:

٩٢- هيأ الله له ولعصبته التي يعتز بها المجد والكرامة!

٩٣- ابن عدوان الجامع في شخصه كل ما يحمد به الرجل الذي ذعر الغزاة المهاجمين.

٩٤- وهنا التفتت إلى مخاطبته، والالتفات معروف في اللغة، وقد دلت الفطرة السليمة هذه الفتاة إلى الأسلوب المعترف به لغويا - الالتفات - فخاطبت نمر العدوان، قائلة: يا أيها الذي طاردت مائة فارس تحديتهم أنت وحدك منفردا، وجردتهم مما غنموا.

٩٥- يا ليته كان ابن عم لي أو ليتني كنت ابنة لخاله، ليكون أولى الناس بي.

٩٦- النساء الجميلات عشقنه، فطمحن عن أزواجهن حيّا الله ذكره.

٩٧- تهنيء (وضحا) أعظم تهنئة بالرجل الذي ندر أمثاله.

٩٨- يا ليته زوجي لأكون له محللة وأكون أما لأولاده.

٩٩- ينزلني من ظهر جملي، لأنه أولى بي من كل الناس، ويقطع عني ألسنة المتقولين علي، وأنا أثني عليه هذا الثناء الطيب!.

مرض (وضحا) وهموم (نمر)

تأتي المكاره حين تأتي جملة، وترى السرور يجيء بالفلتات!

رأى (نمر)، في ليلة سبت، أن (وضحا) سقطت في بئر خربة، وأنه انتشلها بعد جهد ومرارة - والبدو كلهم يتشاءمون بأحلام السبوت - جمع سبت - ويقول قائلهم:

«السبوت إحلومه ما تفوت، إلا اتعقب له حكايا![100]

١٠٠- أحلام السبت لا تنصرف بلا تفسير، ولا بد من أن تبقي لها حكايات سيئة!

نهض من نومه يتعوذ بالله، من الشيطان الرجيم، ونهضت (وضحا) - على عادتها - تحييه أرق تحية، وتعد للرجل الذي هو دنياها القهوة والفطور، وتقدمهما له مع ابتسامة رقيقة، وكان قد سبقها - على عادته - لأن من عادته أن ينام بعد الجميع، وينهض قبل الجميع، شعرت بأن رأسها يثقل كأنه قد حشي بالرصاص، فتمالكت إلى أن شرب (نمر) قهوته، وأكل فطوره. لمح اصفرارا في وجهها وثقلا في خطواتها فسألها عما بها؟ فأجابت إنها في حاجة إلى النوم، وأوت إلى فراشها، المرفوع عن الأرض بمستطيل من الحجارة، مملوء بالشيح ذي الرائحة الطيبة، جس نبضها فأحس بتسارعه، وباشتداد حرارتها، تذكر حلمه في منتصف ليلة البارحة، فازداد اضطرابا، ليس هناك من طبيب في البلقاء كلها، واعتقد أن الديار الأردنية لم تكن أصلح حالا من البلقاء، أظلمت الدنيا في عينيه، لأن المتطببين كلهم من الدجالين. سمعت الحكيمة بمرض (وضحا) فجاءت تعرض خدماتها، فسمح لها (نمر) بأن تمارس خبراتها.

قررت حالا أن (وضحا) إمعيونة[100] وأن علاجها بعون الله سهل، على شرط أن لا يتدخل في الموضوع إلا الحكيمة (شيخة بنت فاهد)، وهي في نحو السبعين من عمرها. لكنها تنكر ذلك. طلبت ما يلي:

أ - محماسة القهوة، فوضعت فيها سبع قطع من الفحم، وأشعلت فيهن النار، وألقت على تلك الجمرات قطعة من الرصاص، ولما أخذ الرصاص يذوب، رفعت المحماسة فوق رأس (وضحا) وأخذت تتلو هذه الرقية.

---

(١٠٠) معيونة مصابة بالعين الشريرة.

ب - مديت إيدي اليمين، وطلبت من رب العالمين ترفع الشدة والأذى، عن عبدك المسكين. باتت تنين، وصبحت تسير بقدرة رب العالمين، إمحوّطة بالله - بتضخيم لا اسم الجلالة - من عيني، وعين خلق الله، أو من عين حاسد ما يذكر الله! حوطتك بالله من عين أمك إو من عين أبوك أو من عين أختك إو من عين أخوك، إو من عين جميع اللي يحبوك[١٠١]

❀ ❀ ❀

حوّطتك من كل عين زرقا.

(سليمان ابن داهود)[١٠٢] لاقى العين أو قال إلها: «وين رايحة يا عين؟ قالت، «أنا رايحة أضر الشب الكدود، والطفل المولود إذا حبا، وإذا دبا وإذا عرف الأم أمن الأبا!».

قالت: «رايحة للصبية المرودة، والعروس المصمودة، وبعضهن تقول: «العروس المبروزة، قال الها (سليمان ابن داهود) ملعونة يا عين، تصهلي صهيل الخيل في ميدانها، لأزيقك بالزيبق والرصاص وأرميك بالبحر الغطاس، ما تلاقي لك لانجاة ولا خلاص. أحلفك بالخضر أبو العباس ما تضري لا صبيّة ولا شب، ولا طفل من الناس، إكراما للخضر أبا العباس، تخرجي من هالدار لا تقربيها لا ساعة ليل، ولا ساعة انعاس!

❀ ❀ ❀

وبعد أن قالت كل هذا بصوت مسموع، أخرجت مجموعة من أعشاب جافة رفعتها بيديها، ونادت بأعلى صوتها! «يا عذرا[١٠٣] يا أم العذارى -

---

(١٠١) كل كاف مخاطبة للمؤنث تلفظ كما يلفظ هذان الحرفان بالانكليزية CH في كلمة CHEST جيم تركية بثلاث نقاط. جلبي.

(١٠٢) يقلبون همزة داؤد هاء فيقولون داهود.

(١٠٣) يقلبون الذال ضادا، فيقولون عضرا. بدلا من عذراء.

بلفظ الذال ضادا - هذا دواك الشافي، إشفي شكيتنا، وبعض الحكيمات تسمي المريض وتنسبه إلى أمه لا إلى أبيه.

وضعت تلك الأعشاب بالماء الغالي الشديد الحرارة، ثم وضعت في الإناء سكرا أذابته، وسقت (وضحا)، وألقت عليها غطاء كثيفا، فلم تمض بضع دقائق حتى غشاها عرق بارد، فنهضت كأنها لم تشك ألما من قبل، فوهب (نمر) للحكيمة (شيخة بنت فاهد) إحدى حطات (وضحا) من الحرير الأحمر، الموشي بقصب الذهب، وبضعة ريالات شواشي، الأمر الذي لم تر شبيها له في كل مسيرتها الطبية، لم يؤمن (نمر) بشيء مما حدث، لكنه تعجب!

* * *

الفصل السادس

(نمر) يرى أنه لم يبق له مقام سليم عند ابن ملاك، لكنه يفكر في وجود مبرر للارتحال!

ثم إلى أين يذهب؟

أحس (نمر) بالحرج الذي سببته له هذه الفتاة، بغزلها السافر به، وفكر في الارتحال، لكنه لم يعرف أسلوبا يبرر به رحيله. ولا سيما بعد أن صار ملء السمع والبصر، كرما وشجاعة، وعفة بصر، وزاد في إحراجه أن النساء - خاصة - أخذن، يتهامسن، بأن (ابن عدوان) لا بد أن يخطب الفتاة التي مدحته، لا بل تغزلت به، وتمنت لو أنها زوجة له، ولو أنه ابن عم لها ينزلها عن جملها وهي مزفوفة إلى العريس.

لملم شجاعته، وذهب إلى شق الشيخ (ابن ملاك)، وأطال السهرة عنده إلى أن فرغ الشق من رواده، فشكر الشيخ (ابن ملاك) على كل ما لقي عنده من تكريم وإعزاز - واستأذنه في الرحيل، فحاول الشيخ (ابن ملاك) أن يصرفه عن رأيه، لكنه أصر. ودعا الشيخ ابن ملاك، ووجهاء العشيرة إلى وليمة وداع، وقد ظهر فيها كرم (نمر) ظهورا بارزا، وأقامت (وضحا) للنساء وليمة - على خلاف العادة - فقوبلت وليمة (نمر) بسلسلة من الولائم الفخمة. أما الوليمة التي أقيمت باسم (وضحا)، فقد حاول نمر أن يجعلها مميزة، وفعلاً كان ذلك.

وفي اليوم التالي خف ظعن (نمر) من عرب (ابن ملاك)، فرافقه الشيخ ابن ملاك وعشرون من رجاله الأبطال، فلما أقبل الظعن على ديار (بني صخر)، ترجل كل من (نمر) وابن ملاك ورجاله، وعانقوا ابن عدوان،

الذي كان مشهدا على (عواد الموح)، شيخ مشايخ بني صخر - يومذاك - الذي كان (نمر) قد التقاه مرة، وهو في رحلة صيد وقنص، ودعا (الموح) ابن عدوان إلى جواره، لأنه علم بارتحاله عن القبيلة مغاضبا للزعيم (حمود)، فوعد (نمر) بأن يجاور الموح، وقد جاءت الظروف، التي فرضت على نمر أن يجاور (الموح).

عواد الموح يستقبل نمر العدوان:

ضرب (نمر) مضربه بالقرب من بيت (عواد الموح)، فعرف (الموح) لِـ(نمر) حقه وقيمته، فأولمت لـ (نمر) الولائم سبعة أيام متوالية، رد عليها، بأن (دعا الجميع إلى وليمة حافلة أعجب بها القوم). أما (وضحا) فإنها شعرت بالسعادة لإقامتها في قبيلتها.

كان الموح يتأهب لغزو بعض القبائل، فرافقه (نمر)، وكان الموح عقيدا محرما[١٠٤]. وقد أظهر (نمر) عند الغارة، وعند الغنائم بطولة وعفة نفس. فلما غنم الغزاة غنائم وافرة جدا، أجزل الموح حصة (نمر)، لأنه حمى ساقة الغزو، عندما تبعهم الطلب[١٠٥]، ووهب الموح لأرملة (شراري) - قتل في غارة الغزو - هبة جزلة. فأثار تكريم (الموح) لنمر حسد بعض الغزاة، فما استطاعوا أن ظهروا حسدهم، لكنهم أضمروا لـ (نمر) شرا، فأخذ يتحاشاهم لأنه لا يريد أن يعود إلى (البلقاء)، ولا إلى (إبن ملاك)، بعد أن رفض منه كل التماس. فما عليه إلا أن يأخذ بالحكمة القائلة: «دارهم ما دمت في دارهم، وارضهم ما دمت في أرضهم!».

❁ ❁ ❁

---

(١٠٤) العقيد المحرم هو الذي لم يغلب في حياته، أو كان فوزه في غزواته أكثر من هزائمه. ويعتقد القوم أنهم يغنمون بحسن حظه. قاموس العادات واللهجات الأردنية. ج٢ ص٣١٨ ط١ وط٢.

(١٠٥) الطلب. هم الذين يتبعون الغزاة لرد ما غنموا.

نمر يغزو مع السردية فيخيبون أمله![106]

التقى (نمر) زعيم (السردية) (الامحفوظ)، فعرض على (نمر) أن يغزو معهم، فقبل، وكان العقيد هو (الامحفوظ)، وقد غنم الغزاة مغانم كثيرة من الإبل، لكن لما تبعهم (الطلب)، التهى القوم بما غنموا، وتصدى لهم (نمر) بشجاعته المعهودة وبندقيته المتميزة، وقد قتل من خيلهم كثيرا، ولم يرد أن يقتل فارسا، لأن هذا مبدأه - كما تقدم - تقيدا منه بالآية الكريمة: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾. ولم يكن يقتل إلا مضطراً أو دفاعاً عن النفس، وتلك مزية عرفت به، وعرف بها.

عرف ذلك عن (نمر)، فمدحه شاعر شراري بقوله، الذي عرفنا منه هذه الخماسيات الثلاث:

شديت حرا يقطع الدو مهذاب   حرا آليا شاف الزواويل ينساب[101]

عليه قرما باللقا غير هياب

يوصل سلامي لـ (اللي) للنواميس كساب[107]

أبو اعقاب حامي البيض باحراب[108]

سلم عليه إو خصصه بالتحيات،   حماه ربي من إمور صعيبات[109]

---

(106) السردية. من أجل عشائر محافظة جبل الدروز في سورية، ينسبها بعضهم إلى بني صخر. وقد تغلبوا قديما على السرحان. للاستزادة راجع قبائل شرقي الأردن، بيك باشا، ومعجم قبائل العرب - لعمر كحالة

(101) وضعت الشداد - وهو للذلول كالسرج للفرس - على ذلول نشيط، يجتاز البر الموحش بسرعة إذا شاهد خيالا يشتبه به يسرع جدا.

(107) راكبه سيد نبيل لا يهاب الأعداء عند اللقاء. يوصل تحياتي إلى الرجل العظيم، الذي اعتاد أن يكسب المفاخر.

(108) اعني به أبا عقاب (نمر)، الذي يحمي بالرماح الجميلات من السبي.

(109) خصص نمرا، بالتحيات، حماه الله من صعاب الأمور.

اللوذعي اللي عن الثار ما يبات   اللي مع (المحفوظ) سوى العجيبات[110]

رد الطلب واخيولهم قِبّ عجلات[106]

يا (نمر) يا نمر الفلا كن نصبناك،   نبغي عطاك إو نطلب الرب يرعاك[111]

اطلب امن الخلاق يبعد منایاك،   یا فزعة المضبوم امن المنع فكاك[112]

ستر القبيلة، للعداوين منجاب[113]

وقد ذكر لنا أنها قصيدة طويلة، لكن هذا الذي توصلنا إليه منها، وهي كما نرى من نهجها من الشعر المتفوق المتطور. وسِرُّ ذلك أن الموقف أوحى بها إليه، أنشدها (نمرا)، فوهب له حصته من الغزو، وهي حصة هزيلة لم يرض (نمر) عنها، فزاد عليها (عباءة) وعشرة ريالات، وعشر نعاج، لكن خصوم (نمر)، الذين ساءهم هذا المديح لنمر، كمنوا للشاعر، الشراري في الطريق، وذبحوه وأخذوا ما معه.

حصة نمر من مغانم السردية الكثيرة يوم وزع الا محفوظ الغنائم:

لما وزع العقيد (الامحفوظ) زعيم السردية الغنائم، أخذ هو حصة كاملة، وخصص بـ (نمر) أربع نياق من النيب[114] وثلاثة فصلان، التي

---

(١١٠) اللوذعي - من فصيح الكلام - الذكي الفطن، الذي لا يتوانى عن الأخذ بالثأر ولو ليلة واحدة. الذي صنع العجائب في غزوته مع المحفوظ زعيم السردية. الذي أعاد الذين لحقوا الغزاة لرد الغنائم، أعادهم منهزمين على خيلهم الأصيلة المطهمة.

(١١١) يا (نمر) يا من يشبه نمر الغابات والبراري إرهابا وسطوة، لقد قصدناك، نبغي عطاءك وكرمك. نطلب من الباري أن يحرسك.

(١١٢) أطال الله عمرك يا (نمر) يا نجدة من يضام، يا من يفك الأسير بدفع الفدية عنه. والبدو يسمون (الأسير) منيعا.

(١١٣) بكرمك تستر المقصر في واجباته من القبيلة، فأنت أنجب نجباء القبيلة. العدوان والشعراء يسمونهم العداوين. وقد مر بنا ذلك في قول الشاعر الزيودي.

(١١٤) النيب جمع ناب، وهي الهرمة.

يسميها البدو (الحشيان)[(١١٥)] الواحد حاشي[(١١٦)] والكلمة غير (حاشي السامر)، فغضب (نمر) وأرسل بقصيدة موجهة إلى جاره الزعيم (عواد الموح) ونصيره، والقصيدة - مع الأسف - لم تصل إلينا كاملة، لكن على حسب عادتنا، لا نهمل شيئا مما نصل إليه. عملا بحكمة للإمام (علي) - كرم الله وجهه -:

«لا تخجل من عطاء القليل، لأن الحرمان أقل منه!».

وقد قيل لنا أن القصيدة موجهة لمقسم الغنائم، ونحن نشك في ذلك، لأن العقيد - في العادة - هو الذي يقسم الغنائم، ولا يحق لأحد أن يحتج. من أجل هذا جاء في أقوال البدو: «كلمة عقيد!» أي لا يجوز لأحد أن يعارضه على أية كلمة من كلماته، لأنها أحكام مبرمة، مع هذا نورد ما قيل لنا من باب الأمانة العلمية. إذ قيل لنا أن العقيد بعد أن أخذ حصته، وكَّلَ واحدا في تقسيم الغنائم، اسمه (عواد)، وله سلطة العقيد قال (نمر):

(عـواد) كـان الـهـرج عـلـيـك يـنـسَـامْ

قِـلّـة مـواعـدنـا عـلـيـكـم نـدامـة[(١١٧)]

تـقـسّـم عـلـيـنـا بـسّ فـطـر أوْ حـشـيـان

تحسّب قسمَ البلْ علينا غشامة؟![(١١٨)]

---

(١١٥) الحشيان جمع الحاشي وهو الصغير من الإبل وهو غير حاشي السامر.

(١١٦) الحاشي في السامر، هي امرأة ترقص مع الرجال في وسط الراقصين. معها سيف تدافع به عن نفسها، لأن الراقصين يضايقونها، ويحاولون أن يلمسوا جسمها، فإن استطاع أحدا أن يصل إليها، عدت هزأة، وإذا سلمت عد ذلك لها من المفاخر، والحاشي غير مسؤولة لو قطعت بالسيف يدا مدت إليها. تظن أننا جهلة بالغزو وحقوقه وتقسيم الغنائم؟

(١١٧) يا عواد إذا كان للكلام عندك موضع فإن اعتمادنا على كلامكم ندامة.

(١١٨) تظن أننا نجهل توزيع غنائم الإبل.

واللـه لـو الـخـيـل عـدلاتٍ واهـمـام

مـا كـان هـذا كـسـبـنـا مـن جـهـامـه(١١٩)

حـمـرا ابـتـالـي خـيـلـكـم تـقـل خـدام

إمـضـرّبـة مـا هـي جـديـد أعـتـلامَـه(١٢٠)

صـديـت خـيـل الـقـوم طـردتـهـا اشـمـام

ردّ الـطـلـب مـتـنـكّـسـاتٍ اعـلامـه(١٢١)

* * *

(١١٩) أقسم، لو أن خيلنا ليست عائدة من غزو، لما قبلنا هذه الحصة من كل هذه الغنائم.

(١٢٠) أنت تعرف أن فرسي الحمرا كانت تدافع عنكم في مؤخرة الغزو.

(١٢١) صديت المطالبين بإعادة الغنائم، ورددتهم على أعقابهم منكسي الأعلام.

الفصل السابع
لمحة عن الخرشان

▲ يضرب المثل بلقمة الخريشا فيقولون: «لقمة الاخريشا متبوعة».

يقول مؤلف تاريخ قبائل شرقي الأردن ما حرفه:

الخريشة أو بنو محمد وهم تسع عشائر:

١ - القضاة، ومنهم (وضحا).

٢ - الحامد،

٣ - الصالح،

٤ - السليمان،

٥ - الكليب،

٦ - القدور،

٧ - العيطة،

٨ - الثمد،

٩ - والحنيف.

لما تفرقت كلمة العدوان، وعاكستهم بعض القبائل في البلقاء، ضعفت شوكتهم، فهاجمهم الخرشان، وأقصوهم عن الديار، فشعر (حمود) بالخطأ الذي ارتكبه في اضطهاده لـ (نمر)، فأخذ يراسله بالأشعار ليعود. واتهمه بعضهم بأنه - أي حمود - كان يرسل برسائل إلى (عواد الموح) يغريه بـ (نمر)، ونحن نشك في هذه الأقوال، ونعدها من باب الأراجيف.

فمن قصائد (حمود) التي أرسل بها إلى (نمر)، وهو عند (عواد الموح) هذه القصيدة:

يا (نمر) لاتبعد ترى حظنا انهاض، ألديرة صارت ملك لاللي ولبها(١٢٢)

أشرفت صوب ابلادنا أو دمعنا فاض، بالقلب حسرات كوتني علبها(١٢٣)

جضيت بقلب امن الحيا والخجل ناض، عليوم هانا مرقبا نصطبيها-(١٢٤)

حتى نويق ابلادنا ويق الارياض من! منازل الضد يزهون بيها!(١٢٥)

إيلادنا بيها مصيفا إو مقياظ مناهل كنا نورد عليها،(١٢٦)

ياما سهجنا دونها كل مركاض، ياما نحينا ضدنا ما يجيها،(١٢٧)

صارت بحر يا(نمر) ما عاد تنخاض، (عواد) ماهو مشرك الناس بيها!(١٢٨)

تولاها اللي يشبه البرق كن ناض ولد الإخريشا حط مرجه عليها،(١٢٩)

غصبا اعن الزعلان مع كل مغتاض دعنا نبيع الروح لنشتريها(١٣٠)

من ضاق لذة نومها يا أخو فياض، حر الوقايد دونها يعتليها-(١٣١)

---

(١٢٢) يا نمر لا تبعد عنا، لأن حظنا انهار، ديارنا أضحت للذي تولى عليها واقصانا عنها.
(١٢٣) أشرفت على ديارنا، ففاضت دموعي، بقلبي حسرات، اكتويت بها حزنا على بلادي.
(١٢٤) من خجلي واستحيائي مما وصلنا إليه، ضج قلبي، يا ليتنا نجد مرتقى، نطل منه على ديارنا.
(١٢٥) لكي نشاهد بلادنا خلسة مشاهدة الغرباء، لأن أعداءنا يزدهون بها.
(١٢٦) بلادنا نقيظ، ونقضي الصيف فيها، وفيها مناهل كنا نردها.
(١٢٧) ما أكثر الذين هزمناهم عنها شر هزيمة، وما أكثر أعداءنا الذين حولناهم عن الوصول إليها.
(١٢٨) أصبحت ديارنا بحرا، لكثرة الأعداء الذين استوطنوها، لايستطيع أحد أن يبحر في هذا البحر، لأن (عواد) الخريشا لا يشرك أحدا فيها.
(١٢٩) تولاها الرجل اللامع - يثني على عدوه الذي طردهم من بلادهم - وأين هذا من آداب الحضارة، التي تشتم الصديق الذي يخالفك في الرأي، أما البدوي.. فيثني على أعدائه. تولاها رغما عن الغاضب والمغتاظ، تولاها ابن الخريشا.
(١٣٠) غصبا عن الغاضب دعنا نبع أرواحنا ونشتري ديارنا.
(١٣١) الذي ذاق لذة النوم في ديارنا، يا أخا فياض، يركب النار المتقدة ليصل إليها. لاستردادها.

فأجابه (نمر):

رسمك لفى يا (احمود) مع طارش فاض،

قرطاستك يا صاحبي العلم بيها![١٣٢]

كن جض قلبي من سواياك كن جاض،

خبطة مهاة من سماوي يجيها،[١٣٣]

أحس بقلبي امن الغيظ نفاض

مصايب الله يعينن عليها![١٣٤]

دارا بها مصيفنا هو إو مقياظ

قلبي عزاها وانت والي عليها،[١٣٥]

والله لولا العتب من كل نهاض،

دارا نفتني، ما ابنفسي أجيها[١٣٦]

مير ابشر تراني فزعتك - يا أبوفياض

حنا نبيع أرواحنا أو نشتريها،[١٣٧]

* * *

ثم كتب قصيدة بعث بها إلى ابنه فاضل وإخوته.

يا (فاضل) جانا اكتاب قافه فتنّا،

يا اعيال قوموا كلنا تا نويقي،[١٣٨]

---

(١٣٢) كتابك يا (حمود) وصل إلي مع رسولك، أوراقك يا صديقي احتوت على كل معلوماتك.

(١٣٣) قلبي ضج من أفاعيلك، وارتجف، كمهاة أصابتها صاعقة من السماء.

(١٣٤) من شدة الغيظ أحس بأن دماء نكبات، سالت في قلبي، أعانني الله عليها.

(١٣٥) دارنا، التي كنا نصيف ونقيظ فيها، سلاها قلبي، وتناسى وجودها لسيطرتك عليها.

(١٣٦) أقسم بالله، لولا خوفي من أن يعيب علي كل حر، لما هفت نفسي إلى الديار التي نفتني.

(١٣٧) على كل هذا أبشرك يا أبا فياض إني عون لك، فنحن نبيع أنفسنا، ونشتري ديارنا.

(١٣٨) يا (فاضل) جاءتنا رسالة من الشعر فتنتنا، وأثارت فينا الحماسة والحمية، فانهضوا أيها الشبان لننظر إلى ديارنا.

نـشـاهـد ديـرتـنـا واوطـان أهـلـنـا،

ننحى العدو عنها إو نقني الصديق،[١٣٩]

طلبت (رجـم العال) ما العيل منا،

لقيت ع السامك غتاما غميق[١٤٠]

طـم الـغـشـا والـبـيـن والـحـزن جنـا،

من دمع عيني ابتل والله زيقي،[١٤١]

مـن شـوف جـيـران لـنـا يـوم كـنـا،

ما بيننا حبل السعد منيعا وثيقي،[١٤٢]

أكم شيخ جا يطلب العلم منا، من وهجنا يا أخوي يقفي هجيج[١٤٣]

ثاني يجينا بالخضاعة امثنى، ثالث يجينا بجواد مريج[١٤٤]

من عقب ما حنا انزول تبني اليوم عدمت حيلتي عن فريقي[١٤٥]

أليوم ابا الحصنان ما سال عنا، بديرتي يمشي ابليا رفيقي[١٤٦]

---

(١٣٩) نشاهد ديارنا وأوطان أهلنا، نطرد العدو منها، ونقرب الصديق.

(١٤٠) نظرت من (رجم العال) إلى ديارنا فعلمت أن الزيغ عن الحق لم يكن منا، ألفيت ظلاما دامسا على (السامك).

(١٤١) هاجمني غثيان النفس وفراق الديار والحزن العميق، كلها هاجمتني، وقد ابتل من كثرة الدموع زيق قميصي.

(١٤٢) عظم حزني من مشاهدة جيران، كانوا أصدقاء لنا، يوم كان حبل المودة موصولا وثيقا.

(١٤٣) ما أكثر الشيوخ الذين كانوا يدينون لنا بالطاعة. يأخذون العلم منا، يطلبون صداقتنا، ولخوفهم منا يهربون غير ملتفتين.

(١٤٤) وشيوخ آخرون يأتون خاضعين مؤكدين طاعتهم، وشيوخ آخرون ألقت بهم خيولهم، وانطلقت بأرسانها نحونا.

(١٤٥) بعدما كنا بيوتا مشهورة تبنى للزعامة، اليوم لم تعد لي سلطة على فريقي الحي الذي أسكنه.

(١٤٦) اليوم، نذل الرجال الذي يشبه الثعلب، لا يهتم بنا ولا يكترث لنا، يسير مختالا بديارنا، لا يحتاج إلى من يحميه منا.

عتاب بين (حمود) و (نمر)

ليس من عادة البدوي أن يعتاب ففي أقوالهم: «العتاب للقحاب!» لكن يبدو أن (حمود) ندم على ما كان منه من تنكرٍ لـ (نمر)، اضطره إلى مغادرة القبيلة وهو يردد:

«مونه عزيزة عند الأجانيب برى، أشوى أولا عند الرفاقي ذليلِ

بعدك اعن اللي ما يريدك جلاهم،

إو صبرك على زلة رفيقك اعباده،

ندم لأنه فرط في رجل يحسب بمئات الرجال شجاعة وكرما، فها هوذا (حمود) بعد أن سمع بصيت (نمر) في ديار (ابن ملاك) في غزواته مع (بني صخر) و(السردية)، بعث إلى (نمر) بقصيدة، يذكره فيها، بأنه مهما بلغ خارج قبيلته لا قيمة له، لأنه يظل محسوبا في المرتبة الثانية بين القبائل. ومن المؤسف أنه لم يرد لنا من قصيدة (حمود) هذه سوى أربعة أبيات هي:

يا (نمر) لو تكبر ذليلا بلانا، غزوك للكبرة رجاجيل هزاز[١٤٣]

إو حياة راسك ما نفوت امعنانا-، وابلادنا ودها مشاوير معناز[١٤٤]

وإحنا على العدلات قبا امتانا، سلايل العدوان يا نمر غراز،[١٤٥]

وإحنا الشفا يوم أن ترهش اعدانا،

إو خيالنا لذوابة الخيل حجاز![١٤٦]

---

(١٤٣) يا (نمر) لو ارتفعت منزلتك، فأنت ذليل بدوننا، نصبوك للزعامة استهزاء بك، فأنت من غير مؤازرتنا تشبه ما ينصب في الكروم لتنفير الطيور.

(١٤٤) أقسم برأسك، لا تهمل ما تعودنا من مكارم الأخلاق. لكن ديارنا تحتاج إلى همم عالية.

(١٤٥) ونحن على عهدك على خيلنا الأصيلة المطهمة، وخيلنا معدة للمعارك، لم نلقحها لتلد. فتعجز عن الطراد.

(١٤٦) ونحن العلاج الشافي عندما يتطاول الأعداء، والفارس منا يطيح بذؤابة الأعداء.

فرد عليه (نمر) مع الرسول نفسه:

سر يا قلم واكتب على مشتهانا، وانشر على زين الطلاحي حبر جاز[147]

لابو اشهيب صاحبي يوم كانا، زمان أو هو لي صديقا أو معتاز-[148]

لي عشر اسنين يا زيرقانا، سويت لك روحي افداوي أو لوجاز[149]

أجيك من هناك واجيك هانا، إو طميت طميا ماطما بيه طهماز[150]

إن سلت عني ابغاية البسط هانا، ابلاماي حمر الشام ماالحدن لهم جاز[151]

بضف. شيخ باعكم واشترانا (عواد)ها اللي الحاجة العمر مركاز[152]

يا (حمود) يا عمي أوكل امعنانا شوري عقب واللي قلط شور كراز[153]

يا (حمود) (شبلي) خان (شبلي) زمانا (شبلي) لعين الغاية المكر حواز[154]

---

(١٤٧) سر يا قلم واكتب ما تريد على الأوراق الجميلة من صنف الطلاحي - الكلمة آرامية - والعامة يقولون طرحية طراحي بحبر أسود مزيج من مادة، كان يؤتى بها من الهند دواء، يقال لها جوزا هنج.

(١٤٨) اكتب رسالة إلى صديقي (أبو اشهيب) صديقي يوم كان محتاجا إلي.

(١٤٩) لي عشر سنوات وأنا أخدمك كأنني الفداوي، لو جاز لمثلي أن يكون فداويا لمثلك. يا خفيف اللحية. وكانوا يعبرون بذلك، لكن استعمال نمر للكلمة المعجمية يدل على تعلمه وعلى اطلاعه الواسع.

(١٥٠) أحاول أن أردك إلى الصواب من كل ناحية وبكل أسلوب أو طريقة ممكنة، ولكنك تجاوزت كل الحدود وتطاولت تطاولا لم يفعله (طهماسب)، شاه إيران الصفوي، الذي خلف أباه (اسماعيل الأول)، الذي هزم الأوزبك. تغلب عليه العثمانيون، واحتلوا منه (بغداد) و(تبريز) ١٥٣٤م، وعقد الصلح معهم ١٥٥٤م.

(١٥١) إذا سألت عني، أنا في غاية السرور هنا - عند الشيخ عواد الموح - المتفوق على حكام دمشق - الذين يسميهم بحمر الشام - لأنهم يعتمرون الطرابيش، الذين لا يستطيع أن يطاولهم أحد.

(١٥٢) بحماية الشيخ (عواد الموح)، الذي باع صداقتكم واشترى صداقتي، إنه (عواد الموح)، الذي يعتمد عليه في أشد ساعات العمر حراجة!

(١٥٣) يا (حمود)، يا عمي، الذي نعتمد عليه ونعتز به كل الاعتزاز. آرائي عندك أهملت، والرأي الفاعل الذي أخذت به، هو رأي (كراز).

(١٥٤) يا (حمود) ابتعد عن شبلي فقد خانك، وهو خائن من قديم الزمان وهو معلون، حائز على كل عناصر اللؤم من غدر واحتيال.

أول ضياع الخيل قلّة اهدانا، سربة عبيد اللي على الشور تحتاز[155]

راحت الحانا بين (حانا) أو (مانا) والكل يطعن بمسلة أو مخراز-[156]

الذي نراه أنه كان بين (نمر) و(حمود) أو (حمود) و(نمر)، غير الذي حصلنا عليه من مراسلات، وقد حصلنا على قصيدة من شعر (حمود)، أرسل بها إلى (نمر) وهو (قصير)[157] - لعواد الموح - قال:

يا(نمر) ياابن عمي، عسى ماانت معتاز مانته لطية باوسط النزل منحاز؟[158]

يا حيف ابن عدوان نمرا أو حجاز، يضحي قصيرا دايرا بين الأكواز[159]

من عقب ما انته للمناعير جزاز، تغذي قصير المالك وابن فواز![160]

ما عمر من خلى اربوعه علا إوفاز شفيت فينا كل هامل أو خراز[161]

يا حيف ابن عدوان ذرى كل معتاز ببيع ربعه بالهفا حيف لو جاز[162]

---

(١٥٥) أول ما أفقدنا القدرة على القتال، عدم تبصرنا - لأن مجموعة من العبيد هي التي استولت على الرأي.

(١٥٦) ذهب عزنا، وكنى عنه باللحى، وعمد إلى مثل عامي مشهور: (راحت الحانا بين حانا أو مانا) وأصل المثل أن رجلا متقدما في السن تزوج بامرأتين، واحدة اسمها (حانا)، والثانية اسمها (مانا)، كانت حانا إذا زارها تنتف الشعرات السود، لكي تظهره لضرتها شيخا لتزهد فيه، وكانت (مانا) تنتف الشعرات البيض لتوهمه بأنه ما يزال شابا، فلم يفطن إلا وهو أملط لا لحية له، أجل لقد طمع فينا الناس كلهم، وهم يطعنوننا بأتفه الأسلحة والمخرز، وهي أسلحة أتفه الناس.

(١٥٧) القصير - هو الجار، الجمع أقصرى، غالبا اللاجيء للاحتماء. ثم عم استعمالها للجار.

(١٥٨) يا نمر، يا ابن عمي، أسأل الله أن لا تكون محتاجا إلى مساعدة، وأرجو أن لا تكون لاجئا ذليلا مختف في أواسط البيوت.

(١٥٩، ١٦٠) يا للعار نمر ابن عدوان، النمر بسالة، يصبح لاجئا عند ابن ملاك وعند ابن فايز، بعد أن كان ملاذا لكرام الرجال مشهورا بالكرم.

(١٦١) لم يسبق لمن تخلى عن قبيلته أن اعتلى قدره وفاز. لقد شمتّ بنا كل حقير واسكاف.

(١٦٢) يا للعار ابن عدوان ملجأ كل محتاج، يبيع قومه بيع السماح لو جاز هذا.

فأجابه (نمر):

أالله من جور الليالي والايام، من جور شيخ صار شوير كراز[١٦٣]

هو شور ابن عدوان اللي يقولون: امربة عبيد اللي على الشور تحتاز[١٦٤]

ضاعت الحانا، يوم صرنا سكارى، حتى الاحصيني صار قرما او ممتاز،[١٦٥]

عيناك ابن عدوان حامي الديارا نلكد معك ع الضد من غير مهماز![١٦٦]

* * *

(١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦) إلى الله أشكو ظلم الليالي والأيام، ومن ظلم زعيم مستشاره كراز العبد، ما أدري أهو رأي ابن عدوان، أم رأي مجموعة عبيد، ضاعت أمورنا يوم سكرنا، حتى الأنذال صاروا نبلاء ممتازين. مع كل هذا نحن أنصار ابن عدوان حامي الديار، نهجم على الأعداء، ولو كنا لا نملك العدة الكافية.

الفصل الثامن
بدء ظهور الأحقاد على نمر عند بني صخر

﷽ رجل من بئر السبع، يعرض فرسا من سلالة خيل (خالد بن الوليد)، المخلديات.

من اليوم الذي أجزل فيه الشيخ (عواد الموح) حصة (نمر) من الغنائم، أخذ (نمر) يشعر بأن النفوس غير راضية عنه.

ففي ضحى يوم من أيام الربيع، حل بشق الشيخ (عواد الموح) رجل من (بئر السبع)، يعرض فرسا من سلالة خيل (خالد بن الوليد) رضي الله عنه للبيع، فسأله الشيخ (سالم البخيت) - والبخيت فرقة من (الفايز) - عن الثمن؟ فأجاب صاحب الفرس قائلا: «الله يحمينا من بيع الحتم، ادفع الثمن اللي يعجبك، إن ناسب، باركنا لك، وإن ما ناسب قلنا: «يفتح الله!»

الشيخ سالم البخيت: وش هو بيت الفرس؟

السبعي: الفرس مخلدية، وحجتها معها.

الشيخ عواد الموح - تسمح أن نشورها؟[167]

السبعي: «هداك الله، المخلدية ما تنشار، وما بالخيل فرس تلحقها».

الشيخ سالم البخيت: أنشدك بالله وبمحمد رسول الله، ما أحد سام الفرس منك؟

---

(١٦٧) شار الفرس - ركبها عند العرض على مشتريها، لتسابق غيرها اختبارا لها. والكلمة من الفصحى.

السبعي: حلفتني بالله وبمحمد رسول الله، يمين ما أغلى منه يمين، سِيَمّتْ بستين بينتو!

وما قلت الله يبارك لك.

سالم البخيت: بالستين ما تبيع؟

أجاب السبعي: «لا والله ما بعت، ولا أبيع!».

* * *

وقد كان في المجلس (نمر العدوان)، فأراد أن يتدخل لمصلحة الشيخ سالم البخيت. فقال لصاحب الفرس: «بارك للشيخ سالم بخمسة وستين بينتو!

أجاب صاحب الفرس: «دون السبعين نيرة حصان المخلدية، ما تنباع»

سالم البخيت: «نشورها».

السبعي: المخلدية ما تنشار، وعن السبعين نيرة حصان ما ينزل ثمنها!

هنا تدخل (نمر) مرة ثانية قائلا: «ما هو تطاول على المجلس، أنا واسطة خير، اجعل ثمنها يا ضيف الرحمن سبعين عصملية، وعليها جيرة أجاويد الله.

أجاب الشيخ سالم البخيت بغضب - موجها كلامه إلى نمر - أنت طامع بالفرس، ادفع ثمنها، وخذها، وخرج غاضبا.

قال صاحب الفرس لـ (نمر): «مباركة عليك الفرس!».

فشعر (نمر) بانسحاق تام، لأنه لا يملك الثمن الذي ذكره، فتحول إلى بيته

مثقلا بالهموم، فلما رأته (وضحا)، أدركت أنه في وضع غير سليم، فقالت: «كفى الله شرك» أجاب: «لقد وقعت في ورطة، تدخلت واسطة خير، فغضب الشيخ (سالم البخيت)، فأصبحت مضطرا لشراء الفرس ولا حاجة بي إليها - ويجب أن أدفع ثمنها، وليس معي ما يساوي نصفه، والثمن هو سبعون عصملية.

ابتسمت وقالت: «لا تضطرب، الثمن من خير الله وخيرك موجود، فسألها من أين؟ ومن غير أن تتكلم أخرجت من علوها[١٦٨]، صرة فيها ليرات (بينتو)[١٦٩] وحصان[١٧٠] وعصمليات[١٧١]، ذهل (نمر) لهذه المفاجأة، وقال: «من أين لنا هذا المال؟» أجابت: «هذا تجمع من عطاياك!». فرح فرحاً لا يوصف، وأخذ ما يحتاج إليه، وقبل أن يدفع الثمن لصاحب المخلدية، سأله ما مقدار (قضب الناصية)؟ فرفض أن يتسامح بشيء من الثمن، كما هي العادة في بيع الخيل الأصايل[١٧٢]. فكتب (نمر) حجة البيع، على أن يكون للسبعي المهرة الأولى والمهرة الثانية، فأخذ (نمر) المخلدية وربطها عند شق الشيخ (عواد الموح)، فلما رآها (عواد) أعادها بنفسه، وربطها عند بيت (نمر) شاكرا له كرمه، وقال: «عسى ما يركب المخلدية من هو أعز منك!».

الشيخ سالم البخيت ناقم على نمر:

علم (نمر) من بعض محبيه أن (سالم البخيت) ناقم عليه، مصمم على اغتياله، فأراد أن يزيل نقمته، فأخذ المخلدية، وربطها عند بيت (سالم

---

(١٦٨) العلو - وسادة من نسيج مزخرف، توضع فيها الملابس والأشياء الثمينة.

(١٦٩) بنتو ليرة فرنسية.

(١٧٠) ليرة حصان - ليرة انكليزية ذهب.

(١٧١) عصملية. عثمانية يلفظونها هذا اللفظ تقليدا للترك، الذين يلفظون الثاء سينا وصادا.

(١٧٢) الخيل الأصايل - بالياء، هي الخيل الثابتة النسبة إلى سلالة من سلالات الخيل المعروفة. وهي غير البراذين التي لا سلالة لها. وهذه أي البراذين يسمونها الكدش - ويستخدمونها لأعمال الفلاحة والدراس وغيرها.

البخيت)، فلما عاد (سالم)، أعاد الفرس قائلا: «يا ابن عدوان مالي مصلحة بالفرس». أجاب (نمر): «أنا قدتها لك يا شيخ عطا». أجاب: «أردى عطاياك يا ابن عدوان، لكن ما لي نفس بالفرس لا عطا، ولا بيع ولا شراء». ذهبت الأيام، ونقمة الشيخ (سالم البخيت) تزداد، والأخبار تصل إلى (نمر). وفي عرس أحد الشيوخ أقيمت صابية[١٧٣]، فطلب (عواد الموح) من (نمر) أن يشارك فيها، فقبل خجلا من (عواد)، ركب فرسه، وهو يشعر بأن شرا ينتظره، لكنه - احتياطا - لبس درعه تحت ملابسه، وفي الحلبة تفوقت المخلدية على كل الخيل المشاركة في الصابية، فسمع من يقول: «هذا ابن عدوان فضح الخيل - وهم يقصدون الفرسان - والله ذبحه حلال. وكان القائل - على ما يروى - الشيخ سالم البخيت.

رسالة وشاية بنمر وصلت إلى الشيخ عواد الموح، وقد نسبت إلى (حمود) العدوان:

الرسالة تتهم (نمر)، بأنه هو الذي قتل فرسان بني صخر، الذين اتهم بهم العدوان، وقد نسبت هذه الرسالة إلى (حمود)، ونحن نشك في ذلك، قال الذي حمل الرسالة: إنها من الشيخ (حمود العدوان)، وفيها، «هذا نمر عندكم، وهو الذي ذبح رجالكم». قرئت الرسالة لـ (عواد الموح)، فكان رده: «والله لو أن نمر العدوان ذبح (بني صخر) كلهم وذبح اعيالي معهم، ما سمع كلمة تكدر خاطره، وهو جاري - تبين أن الرسالة مدسوسة، ونسبت إلى (حمود) - لقد ذهل (نمر)، ولم يدر، كيف يفسر قصائد العتاب، التي بعث بها (حمود)، ودعاه فيها إلى العودة إلى القبيلة مستنجدا، فلما ذكر لـ (وضحا)، قالت: ماذا كان رد (أبو فندي) (عواد الموح) على هذه الوشاية؟ قال لها: «الشيخ عواد الموح، قال: إن اللي يكدّر خاطر (نمر)، لا يحسب غير حسابي. والله لو أنه ذابح فندي، ما كدرت له خاطر.

---

(١٧٣) الصابية. حفلة سباق تقام في مناسبات منها الزواج والطهور.

والآن يا (وضحا)، ما الرأي؟ لقد قال لي الشراري (ابن دعيجان): «نصيحة لوجه الله اسلم بروحك يا (نمر)، وأردف قائلا: «والله أخاف أن يغولك[(١٧٤)] القوم بفراشك، وإن فات الفوت ما نفع الصوت! سمع (عواد الموح بالهمسات)، فخاطب جماعته في الشق قائلا: «الله ومحمد رسول الله، لو أن ابني يتعرض لابن عدوان بأذى، لأذبحه بايدي!».

* * *

نمر ووضحا على انفراد:

قال (نمر): أقسم بالله وبمحمد رسول الله، لو أن الأمر مواجهة، ما هربت، لو أن الذين يقابلوني مية، لكن الغدر. فما رأيك؟

أجابت (وضحا): الغدر ما فيه بطولة اهرب، وانج بنفسك، ولا تخف علي، أنا صخرية بين بني صخر، وجاري الموح، المهم عندي أن تنجو أنت بنفسك، ولم يسمع إلى اليوم أنه اعتُدِيَ على امرأة في كل قبيلة بني صخر، وأنا من بني صخر، وجارة للشيخ (عواد الموح)؟ ودعها بحرارة، وقبل (ابنه عقاب)، وامتطى المخلدية ومعه بندقيته وسيفه، وانسلَّ ليلا.

وما كان يبتعد عن الحي، مقدار ميلين، حتى التقى أربعة فرسان رماحهم وسيوفهم معهم، نادوه، فأدرك من لهجتهم أنهم ليسوا من (بني صخر). كرروا عليه: «وش هالزول؟ أجاب: (صاحب). أجاب أحدهم: «إن كنت من الصاحب، فحول عن الفرس، وارم البارودة والسيف، واسلم بروحك».

أدار البندقية، وقد كانت محشوة بفشكة[(١٧٤)]. قال لهم: «سموا

---

(١٧٤) الغولة - الاغتيال. ودية الاغتيال مربعة، أي دية أربعة رجال.

(١٧٤) الفشكة - الجمع فشك - كلمة تركية، تسمى بها أنبوبة صغيرة من النحاس أو الكرتون، تملأ بارودا وبندقا لحشو الأسلحة النارية.

بالرحمان، وسيروا في دربكم، ودعوني أواصل رحلتي، فهمزوا خيلهم نحوه، فأطلق رصالة على سابقة الخيل، فوقعت وسقط فارسها، وثنى برصاصة ثانية فقتل فرسا، سقط صاحبها، قال لهم: والله لولا خوفي من الله لأجعلكم كلكم كومة واحدة. وآخذ خيلكم قلايع - أقسم بالله أن الرصاصة الجديدة ستكون في رأس أحدكم، لكن خذوا معارق خيلكم، واردفوا أخواياكم واكفوني شركم!

قال أكبرهم سنا: «جوزوا من الرجل!» أخذوا سرجي الفرسين، وظل في مكانه ينتظر، الى أن اختفوا، فهمز المخلدية، فطارت به كأنها اللقوة - انثى العقاب - وصل قبيل طلوع الشمس إلى (العال) و(السامك) و(حسبان)، فلم يجد للعدوان من أثر لا في الغور ولا في الشفا، وذكر له أن بعضهم غربي (السلط)، فلما وصل، استقبله (حمود) باكيا، وقال: وصلت إلي يا نمر قصيدتك، أجاب (نمر): الوقت لفعل الرجال ما هو وقت قصيد! نريد أن نعود إلى الديرة، فرح العدوان كلهم بعودة (نمر).

الموح يكتشف أن ابن عدوان، غادر الديار خوفا من الغدر:

غضب (الموح) على من كانوا السبب في جلاء (نمر). فبعد ثلاثة أيام، سار (عواد الموح)، ومعه أكثر من عشرين فارسا، ومعهم (وضحا) وبيت (نمر)، وكل ما يملك من غنم وإبل وعبيد وإماء، فاستقبل الموح ورجاله استقبال الأمراء، وحاول العدوان إبقاءهم في ضيافتهم، ولكن الموح اعتذر، فعانق نمر جاره. وذكر له الموح: أن الذين حاكوا له المؤامرة، حلفوا أن الوشاة قد كذبوا بما نقلوا لابن عدوان. شكر العدوان كلهم الموح على حسن جواره، وبعد أيام بعث (نمر) بقصيدة، يشكر فيها الموح وجواره. ومن المؤسف أن الرواة، لم يرووا لنا منها إلا هذه الأبيات:

«يا (نمر) قم واكتب تحايا مسك فاح،

لـ (الموح) عز الجار يا(نمر) وديه![١٧٥]

يروى، «يا نمر قم واكتب بخطك مسك فاح»

حقا لزوم الجار مثلي الباراح

الباشاف من خير حلالات يطريه[١٧٦]

لولا أبو فندي قيمة البدو تنباح،

كنز الشرف والجود عواد حاويه،[١٧٧]

فنيار لكل الفضايل أو مصباح

بيت الكرم للضيف، إو جاره امعذيه[١٧٨]

أشهد شهادة عند طلعات الأرواح

(عواد) يافعل الدنس ما يدانيه[١٧٩]

أشهد شهادة عند طلعات الارواح

عواد إن بيت الشعر يفتخر بيه![١٨٠]

ويروى، «ما شاف». ويروى، «يا بيت الشعر يفتخر بيه».

---

(١٧٥) يا (نمر) - يخاطب نفسه، قائلا: «انهض يا (نمر)، واكتب بخطك تحيات عطرة، تفوح منها رائحة المسك، وابعث بها إلى (عواد الموح)، عز الجار.

(١٧٦) أقول إنه من واجب الجار الذي مثلي، إذا تحول من ديار جيرانه، أن يذكر ما شاهد من خير ومعاملة حسنة. يطري في اللهجة الأردنية، يعني، يذكر. أما في اللغة، فالإطراء، يعني الثناء الطيب.

(١٧٧) لولا (أبو فندي) - عواد الموح - قيمة البدو تبتذل - لأنه حوى كنز الشرف.

(١٧٨) إنه مشعل لكل الفضائل - وقد استعمل كلمة (فنيار)، وهي كلمة فارسية، تعني نوعا من المصابيح التي لم تكن مألوفة في الديار الأردنية إلا في البيوت المتحضرة الغنية. (والموح) بيت كرم يعزز جاره، ويحميه من كل اعتداء.

(١٧٩) أشهد شهادة حق عند لحظات الموت، حيث لا مجال لكلمة غير صحيحة، أن (عواد الموح) لم يقترب في حياته من الأعمال الدنسة.

(١٨٠) واشهد شهادة حق عند الموت، أن (عواد الموح) هو فخر للبداوة - كنى عن البداوة بقوله - بيت الشعر.

الفصل التاسع
الإعداد لمواجهة الخرشان

بعد أن استقر (نمر)، وارتحل (عواد الموح)، أخذ (حمود) و(نمر) ووجهاء القبيلة، يعدون العدة لموجهة الخرشان لاقصائهم من البلقاء، وفي هذا الاجتماع، أنشد (نمر) هذه القصيدة الموثبة:

إعيال الاقريضي يا النشامى الأصايل

يا اللي تبيعوا الروح لن مال عايل(١٨١)

يا فزعة المضبوم إن مال مايل

نخيتكم يا كاسبين النوامبس(١٨٢)

ألديرة تنخا ارجالها البيع الارواخ،

تنخا نشامى كارهم طعن الارماح(١٨٣)

واسيوفهم من دم الاضداد سبّاخ

صلفين من ولدَ الاقريضي سناعيس(١٨٤)

---

(١٨١) يا أبناءالأقرضة، الذين تبذلون أرواحكم بسخاء لصد كل منحرف عن الحق. والنشامى جمع كلمة نشمي وهي تسد مسد MAN, HERO CENTEL.

(١٨٢) و(١٨٣) أنتم تساعدون المعتدى عليه، فنطلب مساعدتكم يا كاسبي المجد، ديارنا تطلب مساعدة رجالها النشامى محترفي الحرب.

(ﻫ) عن تاريخ قبائل شرقي الأردن: «القرضة ليسوا بالأصل من العدوان، وإنما هم خليط من عربان شتى، التفوا حولهم في أثناء قتالهم (ابن مهدي)، ومنازلهم بالغور وصويلح، وينقسمون إلى الفرق الآتية:
١- الريشة. ٢- السلامات. ٣- الحجاج. ٤- أبو درعان. ٥- أبو مقرز. ٦- اللوزيين. ٧- العنيزان. ٨- أبو نشوة. ٩- أبو سليم. ١٠- أبو سحيبان. ص٢٦٩.

(١٨٤) وسيوفهم تسيل منها دماء الأعداء، أشداء من أبناء القريضي رجولتهم كاملة.

قوموا على ولد الاخريشا نجازيه

نطحيه اعن الديره هاللي ابتلت بيه[١٨٥]

نقلع اشروشه من ورا الغور نرميه

ندعيه مع ربعه يروحوا مفاليس[١٨٦]

إربوع - ابن عدوان غيروا عليهم لا ترحموهم يوم تخووا عليهم[١٨٧]

عاداتكم يوم الاملاقي تلبهم إعدوا عليهم باجموع كراديس[١٨٨]

واقعة العديسية[١٨٩]

العديسية مكان مطل على الشونة - وفي كتاب المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين يقول: العديسية قرية جنوب غربي عمان على طريق ناعور - القدس، التقى فيها (العدوان) و(الخرشان). كان لبطولة (نمر) ولأبناء الأقرضة، الذين أثار (نمر) حماستهم بقصيدته «الموثبة» الفضل في ذاك الانتصار الساحق، الذي جعل البلقاء خالصة للعدوان، وقد التقى (نمر) فارساً مشهوراً من الخرشان، هو الشيخ (مطلق السلمان)، وقد قتل (نمر) فرس (مطلق السلمان)، فسقط مطلق عن فرسه، فأشاع (نمر) أنه قتل (مطلق السلمان)، فلما سمع مطلق ذاك الخبر، أرسل إلى (نمر) بهذه القصيدة:

«يا اطروش ياللي صوبُ غربا تمدون،

يا سامعين الصوت خذمْ وصاتي[١٨٩]

---

(١٨٥) اهجموا على ابن الخريشا نعاقبه، نطرده عن ديارنا التي نكبت به.

(١٨٦) نقتلع جذوره من أساسها، ونلقيه بعيدا عن الغور، فيذهب وجماعته مفلسين.

(١٨٧) يا أعوان ابن عدوان، اهجموا عليهم، لا ترحموهم عندما تنقضون عليهم.

(١٨٨) عاداتكم عند لقاء الأعداء أن تسلوا عليهم، اهجموا عليهم فجأة بجموع متراصة.

(١٨٩) أيها الرسل الذاهبون إلى الغرب، أسأل الله أن يوفقكم لما فيه رشدكم، خذوا وصيتي - أي احفظوها - وهم يقلبون واو الجماعة ميما، وهي بادرة لغوية.

ع (نـمـر ابـن عـدوان) لـزوم تَـلْـفـون،

ريفَ المقاوى إو حامي التاليات[١٩٠]

من قولتك (مطلق) مع لميت مدفون،

صفر النياب - إو لا عليهن شفات[١٩١]

شريت حمرا منوة اللي يعدون،

حمرا امضراتٍ تلكد على المكملات[١٩٢]

حمرا طفوخ الركض والراس معنون،

الذيل ردن امشوشحن بالفلاة[١٩٣]

لولا جوادي صابها نو وامنون،

قفت بكم (بابو طارة) أو هن حاميات[١٩٤]

إو حياة من ناجاه (موسى) على (الطور)،

لولا الوعر ضاقت عليكو الفلاة[١٩٥]

ما عمر خيالا لفى منك مطعون،

هو شك ابعينك والرمك صافنات[١٩٦]

---

(١٩٠) يجب أن تنزلوا ببيت (نمر العدوان)، إنه خصب للجائعين، كريم وبطل يحمي ساقة الفرسان، إذا هاجم الأعداء.

(١٩١) من قولك أنك ذبحت (مطلق السلمان)، فأنت لم تذبح سوى فرسه، وقتل الخيل لا قيمة له، ويكنون عن الخيل بصفر الناب والنياب.

(١٩٢) لقد اشتريت بدلا منها فرسا حمراء يتمنى الرجال مثلها، متعودة الهجوم على الخيل، التي يمتطيها الفرسان الأشداء.

(١٩٣) حمراء سريعة العدو، في رأسها لجام، وذيلها يشبه ردنا يلوح في البادية.

(١٩٤) لولا فرسي أصابها عثار وموت، لكانت خيلكم تهرب بكم في موقع (أبو طارة).

(١٩٥) أقسم بالله الذي ناجاه موسى على الطور، لولا الوعر لضاقت عليكم الصحراء، وأنتم هاربون.

(١٩٦) لا يعرف أن فارسا عاد مطعونا برمحك، كل قتالك ليس فيه مواجهة لفرسان، فقتالك ببندقية، والخيل صافنة لم تتحرك.

خلاصة البيت ما يلي: أي أنت لست فارسا، يواجه الفرسان. بل تصطاد الفرسان من غير ملاقاة ولامواجهة، ببندقية متطورة، وهذا ليس من الفروسية في شيء.

وصلت قصيدة (مطلق) مع رجل اسمه (ابن غوري)، الذي أوصل القصيدة إلى (نمر) يدا بيد، إن (نمر)، لما قرأ القصيدة، غضب أشد الغضب، وأفاض أباريق القهوة، وهال عليها الرماد، كما يفعل من تلقى نعي أعز وأكرم الناس عنده، وحلف، أن لا يشرب، القهوة أو يدخن غليونا - وكان لا يصبر عنهما - ما لم يطعن مطلق السلمان، ويقتله بالرمح لا بالبندقية.

قرأ (نمر) قصيدة (مطلق السلمان)، التي أحضرها له (ابن غوري)، كما ذكرنا من قبل. فنظم هذه القصيدة جوابا عنها للشيخ (مطلق السلمان)، وسلمها إلى (إبن غوري):

يا اطروش يا اللي صوّب شرقا تمدُّونْ،

يا اموافْقين الرّشْدِ خِذْم وصاتي،[197]

ريضون لي على مقدار بن او غليون،

مقدار ما غطَّ القلم بَالدّواةِ[198]

ع (مطلق السلمان) لزوم تَلْفُون،

عقبَ الغدا ايهلّي بكم للمبات،[199]

يرسِلْ على حايل امن الخور جابونْ،

قطّع عَصَبها ابماضي المُرهَفات،[200]

---

(١٩٧) أيها الرسل الذاهبون إلى الشرق، وفقكم الله لما فيه رشدكم، احفظوا وصيتي.

(١٩٨) تمهلوا علي مقدار شربي لفنجان من القهوة، وغليون، مقدار كتابة رسالة. وكنى عن ذلك بقوله: «مقدار ما غط القلم بالمحبرة».

(١٩٩) يجب أن تحلوا ضيوفا على (مطلق السلمان)، إنه كريم بعد الغداء، يرحب بكم للمبيت، ويكرمكم بالعشاء.

(٢٠٠) يرسل من يحضر من غنمه نعجة سمينة، يقطع أعصابها بسيف حاد.

ريف المقاوي - على ما يعدُّون،

اللي بمينه لون نهر الفرات،[٢٠١]

يا (مطلق السلمان) يا بيرقَ الكونْ،

بامطاعَن الفرْسان حوف الزّناتي،[٢٠٢]

يا (مطلق) ريْض لي ترى العقل بَالهون،

كل من نفخ نفسه وقع بالشمات،[٢٠٣]

خوفي على حمراك امن اللي تواصّون،

إعيال الأقْريضي معطبين الإهواة،[٢٠٤]

من سربة الغيّاب لنهُم تناخون،

إرماحْهُم مِنواتْ للموزمات،[٢٠٥]

حياة من ناجاه (موسى) على (الطّور)،

حياة مِن بايدْه حياتي أوْ مماتي،[٢٠٦]

والله لو أن خيلكم ألفِ وادون،

لاطردك صوب (امعانْ) يم (الشراة)،[٢٠٧]

---

(٢٠١) إنه خصب للجائعين - على ما يذكرون - يمينه تشبه نهر الفرات سخاء وجودا.
(٢٠٢) يا (مطلق السلمان)، يا قرم الحرب بمقارعة الفرسان، تشبه الزناتي خليقة.
(٢٠٣) يا (مطلق السلمان) - تمهل لأن العقل بالهدوء والتمهل، كل من تكبر وقع بالشماتة.
(٢٠٤) أنا أخاف عليك وعلى فرسك الحمراء من اللذين يوصي بعضهم بعضا، أبناء الأقريضي أصحاب الضربات القاتلة.
(٢٠٥) أخاف عليك من الجماعة الغائبين، عندما يحمس بعضهم بعضا، فهؤلاء رماحهم يتمنى الأبطال الحصول على مثلها.
(٢٠٦) أقسم بالله الذي ناجاه (موسى) على الطور، أقسم بالله الذي بيده حياتي أو مماتي.
(٢٠٧) أقسم لو كانت خيلكم ألفا وأكثر - لأطردكم إلى (معان) نحو (الشراة). دون هنا معناها أكثر.

مـا انـتـه امـوكـد يـوم كـون تـبـركـون

بـسـهـلـةٍ يـا شـوق عـيـنَ الـبـنـات[٢٠٨]

من غربي (تبنة) غربي (زقلابُ) و(ايدُون)،

من صَيحةٍ فَضّن بكم عازمات،[٢٠٩]

إعـيـال الاقـريـضـي ع الـبـواسـل يـهـدون،

بـايـمـانـهـم يـامـا لـفـي مـجـنـبـات،[٢١٠]

تـلـقـى مـطـاريـح الـبـداوى يـدِنُّـونْ

فايت بهم يا شوق موضي فوات،[٢١١]

الله يحوشك بالوغى لا أكثر ولا دُون،

عسى اهواتك يا الفهد مِن قناتي[٢١٢]

يـحـرم عـلـي شـرب بـن أو غـلـبـون،

لـمـا أخـوّض بـضـمـيـرَك اهـواتـي[٢١٣]

---

(٢٠٨) أما تذكر يوم الحرب كيف هزمتم بيقعة من السهل، يا من تشتاق إلى رؤيته البنات؟

(٢٠٩) المكان معروف، غربي (تبنة) غربي (زقلاب) و(ايدون)، من صيحتنا هربت خيلكم بأقصى ما عندها من جهد.

(٢١٠) فتيان القرضة على الشجعان يهجمون، ما أكثر القلائع التي جاؤوا بها إلى جانب خيولهم، يقودونها.

(٢١١) تجدون جرحى البدو مطروحين يئنون، انتهى الزمن الذي يمكن أن يعالجوا به.

(٢١٢) أسأل الله، أن ألقاك في المعركة، ولا أطلب غير هذا، لعل الضربة القاتلة تأتيك من رمحي!

(٢١٣) حلف ان لا يشرب القهوة أو يدخن غليوناً - وكان لا يصبر عنهما - ما لم يطعن مطلق السلمان ويقتله بالرمح لا بالبندقية

فصلت لك بذلات ما لون من لون

لما لقيت اللي على قدك تواتي[٢١٤]

(إمحمد ولد غوري) اللي يعدّون،

ما انته نطبحي با الكذوبَ الشخاتي[٢١٥]

خل المحلة وانقلع يمّ (عجلون)

تحرَم عليكُم ديرتي للمِماتِ[٢١٦]

وقد رووَا بيتين فيهما بذاءة، لا نصدق أن (نمر)، يتفوه بهما.

يروى أن (نمرا)، التقى (مطلق السلمان) في (المفرق)، وكانت تدعى (الفدين) - أي القصر الصغير - وتم الصلح بينهما هناك، ثم تم الصلح بين العدوان والخرشان على مبدأ الحفرة والدفنة.

---

(٢١٤) فصلت لك أكفانا مختلفة الألوان، إلى أن وجدت اللون المناسب لك، والقياس اللازم لك. وقال بذلات بدلا من كلمة أكفان.

(٢١٥) محمد (ابن غوري) - على ما ذكروا لي، قال إنك تهددني، أنت لست من رجالي أيها الكذوب الهزيل في الرجال خلقا وكرما وشجاعة، فدع الديار.

(٢١٦) دع الديار واتهزم نحو (عجلون)، يحرم عليك أن تسكن في ديرتي إلى الممات. وقد روي لنا بيتان فيهما بذاءة، لا نستطيع أن نصدق أن لسان نمر نطق بهما، لعلهما من زيادة (ابن غوري)، الذي اتهموه، بأنه زاد في قصيدة (مطلق السلمان) البيت الذي يقول فيه:

«ما عمر خيالا لقى منك مطعون،

هوشك ابعينك الرمك صافنات

(روي لنا أن (نمر بن عدوان)، تحرك مع مجموعة من الفرسان للقاء (مطلق السلمان)، فالتقى (مطلق السلمان) ومعه مجموعة من فرسان الخرشان، التقيا (الفدين) ما يسمى اليوم المفرق، وتصالحا بعد جولة في الرماح بينهما، وكان كل واحد منهما لابسا درعه. فتجاولا ساعة، إلى أن وجد نمر من مطلق السلمان غرة، فطعنه، فلم ينفذ الرمح من الدرع، فصرخ أحد الوجهاء كبار السن قائلا: «اجوهكم بالله وبمحمد رسول الله الخلا بين الأجاويد حجاز، فتصالحا، وتصالح العدوان والخرشان على مبدأ حفرة ودفنة أو حفار ودفان على كل ما خفي وبان»!

روى لنا أن (نمر عدوان)، تحرك مع مجموعة من الفرسان للقاء (مطلق السلمان)، فالتقى (مطلق السلمان) ومعه مجموعة من فرسان الخرشان، التقيا في (الفدين)، ما يسمى اليوم المفرق، وتصالحا بعد جولة في الرماح بينهما، وكان كل واحد منهما لابسا درعه. فتجاولا ساعة، إلى أن وجد نمر من (مطلق السلمان) غرة، فطعنه، فلم ينفذ الرمح من الدرع. فصرخ أحد الوجهاء كبار السن قائلا:

أجوهكم بالله وبمحمد رسول الله الخلا بين الأجاويد حجاز، فتصالحا، وتصالح العدوان والخرشان على مبدأ حفرة ودفنة على كل ما غبي وبان!

* * *

الفصل العاشر
موت (حمود) وتولّي ابنه (ذياب) الزعامة

❖ بعد الصلح مع (الخرشان)، لقي (حمود) ربه فجأة، فقالوا: «مات بالنقطة!»، تولى الزعامة ابنه (ذياب) الذي عرف لـ (نمر) حقه، وقربه اليه، فعاش (نمر) عزيزا، موفور الكرامة. وأضحت حياته مع (وضحا) مضرب المثل، وأخذ يستعيد صلاته - التي انقطعت أيام جواره لابن ملاك، ولعواد الموح، أجل أخذ يسافر إلى (القدس) و(الخليل) و(نابلس). وكان إذا عين لـ(وضحا) يوم عودته، لا يخلف الميعاد فصاروا يقولون: «مواعيد (نمر) لـ(وضحا). واتفق مرة أن (ابن عدوان) سافر إلى (نابلس) لزيارة صديقه (موسى طوقان)، فمرض، فاضطر للتأخر، فطلب من صديقه، أن يبعث من يطمئن (وضحا)، يخبرها أن أشغالا، طرأت، أرغمت (نمراً) على إخلاف وعده، ففعل السيد (موسى طوقان) ما طلب منه (نمر)، فلما عاد (نمر)، استقبلته (وضحا) فرحة - على عادتها - فلاحظت في وجهه شحوبا، فذكر لها أنه مرض في (نابلس)، وأن صديقه (موسى) لم يسمح له بالسفر إلى أن شفي تماماً، فبكت لشدة فرحها بعودته سالما.

❖ ❖ ❖

نمر يصارع نمرا في (محمية النمر):

اشتاقت (وضحا) إلى رؤية أهلها، في جنوبي الأردن، في مكان كثيف الأشجار، فلما وصل (نمر) و(وضحا)، فرح بهما أهل الحي، خصوصا لما رأوا الصغير (عقاب) معهما، وتوالت الولائم لابن عدوان. وفي أحد الأيام مرض راعي الإبل، فاستأجر فلاح راعيا جديدا، وأوصاه أن يتحاشى الاقتراب من (محمية النمر)، وكان الراعي الجديد، يجهل المكان، ولما

عاد الراعي في تلك الأمسية، لاحظ أبو (وضحا) أن الناقة المسماة (الترفة) ليست مع الإبل، فسأل الراعي - باضطراب - هل مررت قريبا من (محمية النمر)؟ أجاب الراعي: أنا لا أعرف المكان الذي تذكرونه، ولما شايعت للإبل لكي أعود، كانت (الترفة) معها!

عاد (فلاح) - أبو وضحا - يسأله: «هل مررت قريبا من (محمية النمر)؟ أجاب أنا لا أعرف المكان الذي تذكره، لكني مررت بالقرب من (هيشة)، علمت فيما بعد أنها (محمية النمر). فصفق أبو وضحا كفاً بكف، وأقسم أنه سينتقم من هذا النمر، فأخذ بارودة (نمر) المعلقة بالواسط[٢١٦]، وخرج قاصدا تلك المحمية، فخاف (نمر) على (خَتَنِهِ) وتقلد سيفه. وأخذ عدلا[٢١٧]، قطعت عن النول حديثا، وشق أعلاها بالسيف، وشق جانبيها، ولبسها فوق ملابسه والدرع، وفي طريقه قطع شجرة عُليق - ويقال شجرة شائكة. ومنهم من قال شجرة زعرور. وجرها معه. وقصد المحمية، فلما اقترب منها، رأى النمر قد دق رقبة الناقة، وهو يحاول أن يرفعها إلى أعلى شجرة، وهي تسقط مرارا، فنادى النمر قائلا: «أبو نمرة لا تقل غدرتك» عليك مردود النقاء، انطح من دون روحك[٢١٨]، ركع نمر متقيا بالشجرة ومنتضيا سيفه، وأخذ يزحف نحو النمر، والنمر مقابله يبربر، فلما قرب (نمر العدوان) في زحفة من النمر، وثب النمر عليه، فجاءت وثبته على الشجرة، فأخذ يزمجر، فلما نشب الشوك في كفوف قوائمه، اشتد غضبه، فغرز براثن قدميه الخلفيتين، ليمزق بهما ظهر (نمر)، فنشبت البراثن في العدل الجديدة، فلم يمهله (نمر) بل طعنه بالسيف، وأخذ يخضخضه في بطنه إلى أن صرعه، وفيما نمر يسلخ جلد النمر، وصل أبو (وضحا)، فصرخ فرحا متعجبا، ما هذا؟ لا شلت يمينك، يا (أبو عقاب)، والله إن

---

(٢١٦) الواسط العمود الذي يقوم عليه بيت الشعر.

(٢١٧) العدل كيس منسوج من الصوف.

(٢١٨) انطح دون روحك دافع عن نفسك.

اللي سماك (نمر) ما كذب، وقد نظم نمر قصيدة لهذه المناسبة، وصل إلينا منها هذه الأبيات:

«هذا سميك (نمر) واحذَر الموتِ يا شيبْ[٢١٩]

لا اتقول جاكَ (النمر) بالغدر والبوق[٢٢٠]

يا بايقَ البوقان يا مِقْمِن العيب

خليتنا عَ الدار نَرحل بلا نُوق[٢٢١]

هذا قِصاصْ اللّي تَعدى على النيب

لعين (وضحا) الكاملة العقلْ والذوق![٢٢٢]

مادمنا في حديث مصارعة النمر، فيجب علينا، أن نروي حادثة ثانية لشاعرنا مع النمر.

* * *

واقعة ثانية مع النمر، لكنها رد عل تحدٍّ:

ذُكرت قضية (نمر العدوان) مع نمر محمية النمر في الجنوب، في شق زعيم العدوان الجديد (ذياب)، وكان في الشق أحد الحاقدين - المتمكتمين- على (نمر)، فوجدها فرصة، ينفث من سموم قلبه، ما يريده،

---

(٢١٩) الشيب - يطلق الأرادنة هذا اللفظ على كل حيوان مفترس، استشرى شره، ويسمون به الرجل الذي لا يقاوم، راجع قصة زايد الشيب في الجزء الثاني من كتابنا (معلمة للتراث الأردني).

(٢٢٠) صراعك أيها النمر مع من اسمه مثل اسمك، فلا تقل أن نمر العدوان هاجمك غدرا.

(٢٢١) أنت أشد مخلوقات الله نقضا للعهود، وأشدها غدرا، وأنت محط العيوب، تركتنا عاجزين عن الرحيل - بلا نياق.

(٢٢٢) هذا عقاب الذي يتعدى على الإبل الكبيرة، وهذا نفعله إكراما لعيني (وضحا) الكاملة عقلا وذوقا.

كان مُتكئا، فعدل من جلسته وقال: «والله يا ولد العم (أبو عقاب)، إن (مطلق السلمان) لا يلام إذا عيرك بقوله:

«ما عمر خيالا لفى منك مطعون

هوشَك ابعينك والرّمك صافنات»

أجاب (نمر) بكل هدوء: «ماذا تريد مني أو ماذا تريد أن تقول يا ولد العم؟ أجاب: «أريد أن أقول، إنك من اليوم اللي طلّقْت بيه بارودتك (إمغيظة) اللي مثل بارودنا، وصرت ما تحمل غير بارودة القنصلة، صار الفعل لبارودة القنصلة، ما هو لك! قال (نمر): «زين، ما وصلنا إلى الغرض اللي تريده مني!.. قال: تأخذ بارودة من بواريدنا، وتصيد لنا بها أي صيد، وهذه بارودتي، أعيرك إياها. قال (نمر): ما أنا في حاجة إلى بارودتك، احضر (إمغيظة)، بعد ما طلقتها، كما تقول، وأذهب معك إلى حيث تريد، وأصيد لك ما يسر الله.

ذهبا، وكمنا بالقرب من ماء، كانت الظباء ترده، وكل منهما معه بندقية، بعيدا عن الآخر - كانت الظباء كثيرة في ديارنا، قبل أن تعمر الديار بالسكان الكثيرين، وقبل أن يشيع استعمال البنادق الحديثة، التي جعلت الظباء، تفر من البادية - وفيما (نمر) ينتظر صيدا، برز (نمر)، فصوب البندقية القديمة (إمغيظة) إليه، وإذا أفعى تسعى إليه. فلم يخل مكانه، فوضع ركبته على رأسها، وأطلق العيار الناري على النمر، فسقط، يتخبط بدمه. فالتفت إلى الأفعى، فوجدها بلا حركة، فدق رأسها، وذهب إلى النمر، فأجهز عليه بعبوة ثانية، لأن بندقيته (إمغيظة) كانت من النوع القديم، الذي يحشى باليد بوساطة ما يسمونه (المقشط)[٢٢٣] - قضيب من حديد دقيق، يوضع في

---

(٢٢٣) يا الله إنا قد قلطناك، يا رب إنا قدمنا ذكرك على كل ذكر والكلمة من (السريانية) لكن لها معنى آخر فبالسريانية غير هذا المعنى وفي لسان العرب (القليط) من أبناء الجن! وفي السريانية تعني كلمة القليط الرجل الخبيث فكيف حول العامة معنى الفعل إلى التقديم وجعلوا منها قاضي القلطة - أي الذي يبتكر مبدأ قانونيا ويتحمل نتائجه على ضميره!

جانب البندقية - وبعد كل طلقة يجب أن يعاد إعداد الطلقة الثانية باليد بمقدار من ملح البارود، ورصاصة مكورة، وقطعة من القماش يسمونها العقدة، تدك بوساطة (المقشط)، وعند إطلاقها بضغط على زناد يقدح شرارا من ظرانه هناك، وقد تخيب الطلقة، إذا كان ملح البارود نديا رطبا. لكن الحظ كان جيدا، فتجاوبت البندقية مع (نمر) في المرتين، وأجهز على النمر في الطلقة الثانية، والتفت إلى متحديه، وقال له: «أرأيت، إن الله أعاننا في أحرج موقفين، من غير أن نستعمل بارودة القنصلة الشاهانية. خجل المتحدي، وسلخ (نمر) جلد النمر، وعاد مع رفيقه إلى الشق، فأنشأ قصيدته المشهورة، التي سماها المستشرق (سبور) (قصيدة النمر والبندقية).

القصيدة

مديت أنا ع الصيد ابكل الكلايف،

حسبت جال الصيد ما بيه ريبه،[٢٢٤]

لديت واني لارقط الجلد شايف،

واللي ايعدي بالصيد ما ينعدي به[٢٢٥]

بارودتي يا اللي عليها الوصايف،

يا ساق ربدا كن بلتني امصيبه[٢٢٦]

---

(٢٢٤) توجهت إلى الصيد بكل ما احتاج إليه الصيد من معدات، معتقدا أن جهة الصيد ليس فيها ما يريب.

(٢٢٥) لديت. تلفت يمينا وشمالا، فإذا أنا أشاهد النمر ذا الجلد الأرقط، وغاب عني، أن الذي يهجم على الصيد، لا يهاجم ليصاد. ونلاحظ دقة الأرادنة، عندما يستعملون فعل لدّ، بمعنى نظر، فهم يستعملونها، لما يستعمل له فعل (تلدد) في الفصحى، أي تفحص المكان بالتلفت يمينا وشمالا.

(٢٢٦) خاطبت بندقيتي الموصوفة - المغيظة - التي تغيظ الأعداء، وترهبهم. وقلت لها: إني وقعت في مصيبة لمواجهتي النمر المفترس. والأفعى القاتلة.

ملحك يغوسنه إكفوفا نظايف،

إو بزرك امقطع من سبايك قضيبه[٢٢٧]

والله إن ما خليت اعظامه سنايف،

يحرم علي نقلك ما اعتني به[٢٢٨]

هنا ينطق نمر بندقيته، وهو لون من انطاق مالا ينطق، وهو تجديد في شعر البادية وقليل في الشعر المؤتم.

تخاطبه بندقيته التي هجرها (إمغيظة):

إن كِنْت مرعوباً امنَ الموتِ خايفْ،

سوق النّظر وافرق شِبايا جِذيبْه[٢٢٩]

وبعد أن جعل البندقية، تدعوه إلى السيطرة على أعصابه لخوفه من مواجهة النمر، كما توهمت بندقيته، أو بمعنى أدق من مواجهة الموت، أما عن طريق لدغة الأفعى، وأما أن يفترسه النمر، توكل على الله وقال: «يارب أنا قلطناك!» فأطلق الرصاصة التي صرعت النمر، فهتف (إطبرس أنا كبير البخت» فواصل قصيدته قائلا:

ثار الدّفقْ من عندنا بالجوايف،

طبَّ الطَّرب بالراس قِمت انتخي بَه،[٢٣٠]

---

(٢٢٧) فملح البارود الذي يوضع فيك، تصنعه أيد نظيفة، ورصاصك مقطع بعناية من سبائك وقضبان متقنة الصنع.

(٢٢٨) أقسم بالله، إن لم تجعلي عظام هذا النمر شظايا رقيقة، لأحرمن على نفسي، أن أعتني بك أقل عناية، كالتنظيف، والتزيين وحملك للمباهاة، أو لمواجهة الأعداء. جعل البندقية تجيبه:

(٢٢٩) إن كنت خائفا مذعورا من الموت، فدقق النظر بثبات، وركز بصرك ما بين الشبايا. وتعني الكلمة الحديدتين الملتصقتين على أعلى فوهة السبطانة لحصر النظر، عندما يريد الرامي، أن يصيب الهدف بدقة، والجذيب. فوهة السبطانة. أو فوهة البندقية.

(٢٣٠) انطلق الرصاص من عندي مصوبا إلى قلب النمر، استولى علي الفرح فأضحيت أفاخر، بأنني اصطدت النمر وقلت «إطبرس!».

لَعين (وضحا) الكاملة بالوصايف،

الموتِ نرده حوفٍ ورد القليبة[٢٣١]

لَعين (وضحا) ما نهاب المخاوف،

ما انهبْ غزوانَ الملاً تنتخي بَهْ[٢٣٢]

طويت جلده معرقَة للعسايف،

ثارَ البخت يارب قِدْرة عجيبة[٢٣٣]

إطبرس لن ثارَ البخت مَن يخالِف

لَثار بختك يرتقي امن النَّصيبة[٢٣٤]

❁ ❁ ❁

وهاك رواية ثانية، اعتمدها الأستاذ (عبداللطيف البرغوثي)، نوردها من أجل الأمانة العلمية، مع اعتقادنا أن الرواية الأولى أدق. كما نبرهن بملاحظاتنا.

طلّيت أنا للصيد بأرض الكشايف

والشمس عَ بعض المطارح تِغيبه،

لديت وأني لارقط اللون شايف،

واللي أيعدي بالصيد ما ينعدي به،

---

(٢٣١) يعني (وضحا) ذات الصفات المحمودة الكاملة، فأنا عند ذكر (وضحا)، أرِدُ الموت بلا خوف، كأنني أرِدُ بئرا لاستقاء الماء منها.

(٢٣٢) ويعني (وضحا)، لا أهاب كل ما يخيف، ولا أخاف الغزاة مهما يكثر عددهم، أثير حماستي وشجاعتي بذكر (وضحا).

(٢٣٣) طويت جلد النمر، لأصنع منه سرجا للمهار التي أروضها. حظي أقبل يا إلهي ما أعجب ما تقدر.

(٢٣٤) أنا أورد هذا الاصطلاح (إطبرس)، الذي يردد في حالات الفوز. وهو منحوت: (طب الطرب. بالرأس). فمعنى كلمة طب في اللهجة الأردنية حل السرور، وله في غير هذا المكان معنى سقط. فيقولون: «طب على وجهه» ولها معنى قبيح إذا قالوا: «طب على فلانة أو على فلان مثلا».

هذا النمر لجملة الصيد خايف،

وهذا عنق ربدا بلتنا امصيبه،

يا بندقي ياللي عليك الوصايف،

حتفي دنا أو هذي المنايا قريبه،

ملحك يدقنّه كفوف نظايف،

وبزرك امدحرج من قضايب سكيبه

والله ان ما خليت اعظامه سنايف،

حارم علي نقلك ما اعتني به،

وترد عليه بندقيته قائلة:

إن كنت مرعوب من الموت خايف

حق النظر وافرق شذايع امسيبه

وقع الفهد من بعد ما كان واقف

يا عرض كفه يا اربوعي عجيبه

وقع الفهد من بعدما كان واقف

طب السكر بالراس قمت انتخي به

يا زين جلده فوق حمر الصنايف

أو فوق أحمر ما تكامل اسبيبه

ملاحظاتنا على هذه الرواية هي التالية:

أ - طليت أنا للصيد، وهذا لا يقوله شاعر مثل نمر - يقول البدو طليت عليَّ. أي نظرت من مكان عال- وقوله: مديت. أي توجهت وذهبت. هو الصواب.

ب - وقال واللي اتعدى بالصيد - والصواب اللي أيعدي، أي يصطاد الصيد.

جـ - وقوله، مرعوب، وحق النظر، وافرق شذايع امسبيه، غير مقبول. إذ يقول: إن كنت مرعوبا، سوق النظر - دقق واحصر بصرك بين الشبيا، لا الشذايع، لأن الشذايع لا معنى لها. بل هي شبايا، والأردنة يجعلون المثنى جمعا، وهو معروف في اللغة. قال الإمام السيوطي في كتابه الجليل (المزهر في علوم اللغة): المثنى أول مراتب الجمع!». والشبايا. هما حديدتان بارزتان على فوهة سبطانة البندقية، يعين على الهدف بضبط النظر بينهما، الجذبيه. فوهة البندقية أو فوهة السبطانة لا يقال لها امسبيبة، بل سببية.

د - وقال وقع الفهد، والحقيقة أنه نمر لا فهد، وقد كرر الوهم مرتين.

هـ - وقال حمر الصنايف - والمراد العسايف. وهي المهار التي تروض حديثا، والسبيب والعسيب. هو شعر ذيل الفرس.

لذلك آثرت الرواية الأولى، لما فيها من الدقة التي تناسب شعر نمر، وعلى الله الاتكال والتوفيق في كل حال!

❁ ❁ ❁

تجربة ينتصر عليها (نمر):

كان (نمر) عائدا إلى الحي من ميجال[٢٣٥]، لحل مشكلة بين أصدقاء له، وكانت الشمس قد غربت، فالتقى انثى غريبة، تسير متجهة نحو عرب

---

[٢٣٥] ميجال - اجتماع عام لحل مشكلة كبرى، أو مطالبة صعبة بين أفراد القبيلة، أو بين قبيلتين.

العدوان وحدها، فلما رآها تعجب من أمرها، وخاف أن يلقاها من يسيء إليها، فسألها: «ما بك يا أخت، تسيرين وحدك في وجه الليل؟»

بكت قبل أن ترد عليه، ثم قالت: «أقصد عرب العدوان، ناصية (نمر العدوان) لأستجير به - دخيلة عليه - هل تعرفين (نمر العدوان)؟ أجابت: «أنا لا أعرفه شخصيا، لكن الناس كلهم يثنون عليه، وأنا أسمع بصيته. قال لها: «لكن يا بنت عرب العدوان بعيدة من هنا، والدنيا وجه ليل، وأنت بنت وحدك مطموع فيك». أجابت: «الدنيا ما خلت من الطيبين!» هذا صحيح، قال (نمر): ولكنها ما خلت من الرديين أيضا! امشي معي، وأنا أدلك على عرب العدوان، وعلى بيت (نمر)، لكن الدرب طويلة أردفي وراي!» أجابت: «كثر الله خيرك، أردِفُ، أن عاطيتني بالله أنك ماتدور عندي الفاينة[٢٣٦].

قال نمر:

«لك الله والبيت اللي بناه الله إني ما أخونك، أنا يابنت ما أداني الحرام[٢٣٧]. إحك هرجتك، ما الذي أخرجك من عند أهلك في هذا الوقت؟

قالت: «أنا خرجت من الصبح من عند أهلي: «أنا قطيعة مالي أخوة ولا أخوات، مات والدي، فاستولى أبناء عمي على كل ما خلف والدي، وهم يريدون أن يزوجوني بشيخ من لِدات أبي، لكي يقتسموا سياقي، فغافلت العرب وهربت كما ترى».

* * *

(٢٣٦) الفانية - الأعمال الرديئة، وأكثر ما ينصرف معنى الكلمة إلى العلاقات الجنسية المحرمة.
(٢٣٧) ما أداني الحرام، لا أقترب من الأمور التي حرمها الله.

قال لها - متأثرا: «توكلي على الله». فلما ركبت خلفه، وسارت الفرس بهما مسافة كيلين تقريبا، شعر بأنها أخذت تلتصق به، ثم أخذت تبدي بعض الحركات. فالتفت إليها قائلا: «ما دامت هذه هي نيتك، لماذا أرغمتني على تلك اليمين المغلظة؟ والله لولا الخوف من الله، لألقيتك من على ظهر الفرس. ولولا أن النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال رفقا بالقوارير، لكان لي معك شأن آخر. على كل حال، فأنا (نمر العدوان)، وقد أجرتك، وأنا عند وعدي، تبيتين الليلة عندي وفي الصباح، سأرى ما يجب عمله، وصل (نمر) والمستجيرة به، فاستقبلته (وضحا) - على عادتها من الترحيب، وتقبيل غرة فرسه - وأوصى (وضحا) بالفتاة قائلا، إنها فتاة حزينة، وسأروي لك قصتها صباحا، أفردت لها بعد العشاء، مناما في إحدى صهوات البيت، وفي الصباح ذكر (نمر) لـ (وضحا) قصة تلك البنت، فحزنت (وضحا) لوضعها حزنا شديداً، وطلبت من (نمر) أن يرعاها، لعل الله يكتب لها زواجا موفقا، فضمها إلى البيت كأنها فرد من أفراد الأسرة، وخصص بها بيتا صغيرا تستقل به. أما (وضحا)، فإنها أخذت تعاملها معاملة الأخت الأصيلة، إلى أن قسم الله لها ابن حلال تزوج بها، فأعطتها وضحا كل ما تحتاج إليه العروس.

الفصل الحادي عشر
(نمر) الفارس العجيب الإنسان الرقيق، الشاعر المبدع

كان (نمر) يتمتع بكل أخلاق الفروسية، وكان إنساناً رقيق العاطفة كريما مضيافاً، وكان شاعراً متفوقاً! كان يعطي المحتاجين من غير أن يُعلم أحدا، وكان له أسلوب خاص في الكرم، إذ كان يكرم الذين لا يتوقع من إكرامهم منفعة، وكان يؤمن بما يقوله العامة: «طعْمة الناس اقريضات، وكل شيء قُرضه أو دين، حتى ادموع العين!» كان يؤمن بأن الله لما وهب لنا الخير، أخذ علينا عهدا، أن نشارك المحتاجين من عباده فيه، لأن الناس عنده أبناء الله، وأن أحب الناس إلى الله أبرُّهم بعباده. وكان في أقصى مضارب الحي - الفريق - خربوش[٢٣٨]، تقيم فيه عجوز تكاد تكون كفيفة البصر، وكان (نمر) و(وضحا) يتعهدانها دائما، ولا يغفلان عن برها من قرى الضيفان. والشق الذي هو بيت (نمر) لا يكاد يخلو من الضيوف، لذا كانت هذه العجوز في بحبوحة من العيش!.. في المأكل والملبس، خصص بها ثلاث من الماعز، يصل إليها حليبها كل يوم، أما السمن والزبد واللبن فتخصها به (وضحا) بيدها!

❁ ❁ ❁

---

(٢٣٨) خربوش: اصطلاح أردني يسمى به بيت الشعر الحقير، ويكون غالبا من الخيش غير منسوج من الشعر، والجمع خرابيش، وقد كانت هذه الخرابيش مساكن للنور. قال شاعر الأردن (عرار) الذي يسمونه وهما منهم (عرار) بالفتح:

«بين الخرابيش لا كذب ولا ملق،
ولا وشاة، ولا رواة أخبار
بين الخرابيش لا حبر ولا ورق،
ولا براع ولا تدوين أسفار»

اتفق مرة أن الضيوف الذين نزلوا بالشق. كانوا من علية القوم، وأن المعازيب[٢٣٩] الذين جاؤوا لتكريمهم والاحتفاء بهم كانوا كثيرين، فذهل (نمر) و(وضحا) عن العجوز، فلما انتهت السهرة، ودخل (نمر) إلى المحرم،- عند (وضحا) - قدمت له أم عقاب عشاءه - لأنه ليس من عادة (نمر) أن يأكل من قرى الضيوف، عملا بالقول المأثور عن البدو:- «ضبع الرجال يشبع ليلة أنه مضيوف، وينام ليلة أنه محيوف..»[٢٤٠] وكان عشاؤه عادة ديكا مشويا وعجة[٢٤١] وعسلا بريا. فقبل أن يمد يده الى عشائه، سأل (وضحا) قائلا: «عساك ما نسيت العجيز قصيرتنا؟» صفقت (وضحا) كفا بكف وقالت: «خطيّة والله يا (أبو عقاب)، أني نسيتها من كثرة الذهلة[٢٤٢]. تهنَّ أنت، وتعشَّ وأنا أوصل إليها عشاها» لم يلتفت (نمر) إلى قولها، بل حمل عشاءه، وتوجه به نحو خربوش العجوز، فوجدها ما تزال تنتظر العشاء، فناداها «يا خالة، فردّت عليه بلهفة يا عونك يا (أبو عقاب!» قال لها: «لا تعتبي علينا، الضيوف شغلونا» فرحت، وأخذت تدعو له بالخير، وبطول العمر، ورفعت يدها إلى السماء قائلة: «الله يحميك منَ كيد أعداك!».

* * *

عاد (نمر) من عند العجوز، بعد أن مزّق الديك المشوي والعجة، وأطعمها بيده، وهو يشعر بغبطة وسرور عظيمين، لأنه فرَّحَ قلبا حزينا. عاد إلى المحرم، فوجد (وضحا) قد أعدت له عشاء، تناوله ونام هادي

---

(٢٣٩) المعازيب - جمع معزب وهو المضيف، والمعزب هو الذي يكرم الضيف، ومعزبة الرجل هي زوجته. ولها معان غير ذلك. منها الذي خرج مع مواشيه إلى مكان بعيد.

(٢٤٠) أحط الرجال منزلة هو الذي يشبع عندما يكون عنده ضيوف، وينام في الليلة التي يراقب اللصوص منه غرة، ليسطوا على ما يملك.

(٢٤١) العجة وفي اللغة العجة بضم الجيم طعام من بيض وطحين يقلى بالسمن غالبا، أو بالزيت.

(٢٤٢) الذهلة - الارتباك لكثرة العمل أو المسؤوليات!

البال، فرأى في الحلم أفعى أضخم من التي قتلها بركبته، قبل أن يصرع النمر، رآها تسعى نحوه، فذعر منها، وكانت كلما حاولت أن تلدغه، صدها عنه الإناء الذي حمل فيه العشاء للعجوز، نهض، تعوّذ بالله من الشيطان الرجيم، ولم يعد إلى الفراش لذعره من الحلم. صحيح أن من عادته أن ينام بعد كل أهل الحي، وينهض قبلهم جميعا، وبعد أن يسرح الرعاة بأغنامهم ويفطر، ويستلقي على فراشه قليلا، عملا بالحكمة البدوية القائلة: «نوم الضحى ايزيد الرجال افنون![٢٤٣]» وهو رد على قول القائل:

«النَّومُ أساس اللَّومِ إنْ خالطَ الفتى
ربيعَ العذارى والرجالَ الهلايم![٢٤٤]»

بعد أن أفاق (نمر) من إغفاءته تلك، سمع صرخة خارج الشق، فأسرع يرى من المستغيث، فرأى سيدة تكاد تتجمد من الذعر، بالقرب من أفعى ضخمة قتلتها قطط الحي، فشكر الله وحمده، فلما نهضت (وضحا)، لتعد الفطور والقهوة لـ (نمر) على عادتها، لأنها لا تسمح لأحد غيرها أن يصنع له ذلك، أو يقدمه إليه سواها، تناول الطعام وشرب القهوة، وذكر لها حلمه، وأراها الأفعى، فشكرت الله وشرقت بدموع الفرح.

* * *

دجال يزور العرب، ويحل في شق الزعيم (ذياب)

رأى الشيخ ذياب في الشق رجلا يعتمر عمامة، ادعى أنه شيخ وخطيب[٢٤٥]، وأنه يريد أن يعلم أطفال العرب الخطبة، يخطبهم[٢٤٦] -

---

(٢٤٣) استراحة الرجل بعد تصريف أعماله، تكسبه راحة بال، وتساعده على هدوء الأعصاب، واتزان الفكر.
(٢٤٤) الذي يستسلم إلى النوم، ويهمل واجباته، يعرض نفسه للملامة. والنوم يكسب الفتيات نضرة، ويكسب تافهي الرجال ترهلا في الأجسام.
(٢٤٥) خطيب يحسن القراءة والكتابة، عالم.
(٢٤٦) يخطبهم، يعلمهم القراءة والكتابة.

أي يعلمهم القراءة والكتابة، فرحب به الشيخ وأفرد له قطبة[٢٤٧]، وأمره أن لا يخجل من طلب كل ما يحتاج إليه. يأكل في الشق، وينام في القطبة التي خصصت به.

لم تمض أيام، حتى أخذ يتسلل إلى المضارب البعيدة عن الشق، مدعيا أنه يكتب حجبا - طلسمات - على أنواع مختلفة منها مايلي:

أ - يشيع المحبة بين الأزواج.

ب- يزيل العقم من عُقر النساء.

جـ- ويصنع حجبا تدخل الجنة.

د - وحجبا تحمي الرجال من سيوف الأعداء ورماحهم ورصاص بنادقهم.

الخلاصة أن عنايا جدوده[٢٤٨] أكسبته سلطة على الجن، حتى لو أراد للبحر أن يجمد، فإنه يتجمد!.

شاع الأمر بين النساء، وطلب منهن، أن يكتمن القضية عن الرجال. وصارت النساء يقصدنه. كل واحدة لها غرض بنوع من هذه الحجب.

* * *

افتضاح الدجال: ليس مكتومٌ لن يستعلنَ، ولا خفيٌ لن يعرفَ[٢٤٩]

أجل، إنها حقيقة خالدة. كان (نمر) غائبا عن الحي. فساق الدجال سوء حظه إلى شق (نمر)، فعرض خدماته على (وضحا)، وأوصاها أن تكتم خبره عن زوجها، وقال لها أن نساء الحي - تقريبا - طلبن إليه أن يكتب

---

(٢٤٧) بيت قطبة، مضرب يقوم على واسط واحد، أي عمود واحد في وسطه.

(٢٤٨) العنايا - الكرامات عنايا جدوده - كرامات أجداده و٢٥٣.

(٢٤٩) انجيل في الفصل العاشر. الأية ٣٦.

لهن حجبا منوعة. كانت إحدى النساء قد كتبت عنده حجابا، يضمن لها ولزوجها دخول الجنة، فلما لم تجد مكافأة الحجاب الريالين، رهنت عنده إسورتين من الفضة من صنف يسمونه إمكوبج[٢٥٠]. في المساء لاحظ زوجها أن معصميها عاطلان من الإسورتين، فسألها عنهما فتلعثمت، ثم اعترفت له، بأنها رهنتهما عند الخطيب، إلى أن تدفع ريالين مكافأة لحجاب كتبه لها، يضمن دخولها ودخول زوجها الجنة! فثارت ثائرته - وعلى خلاف عادته - وأوسعها ضربا، بخيزرانة كانت ترافقه دائما! وفيما هو يضربها ضربا موجعا، قالت: «اضرب اضرب أستاهل أنا اللي ما لاقت لي الجنة بلاك!». كف عن الضرب، وأعطاها ريالين، واستردت إسورتيها، ولم يرد أن يعلن ما قامت به زوجته!.

* * *

نعود إلى شيخنا وخطيبنا و(وضحا)، التي وعدته، بأن تستدعيه في إحدى المناسبات، وقالت له: أريد أن تكتب لي حجابا يضمن لي دوام محبة زوجي، فوعدها أن يفعل ذلك، ويضمنه لمدى الحياة. حضر (نمر) من رحلته ولعلها كانت للصيد، لأنه عاد وفي خرج فرسه ظبيتان وبعض الحمام والحجل. وما كاد يستريح، ويشرب القهوة، حتى كشفت له ما كان من أمر الخطيب. وقالت له: إن النساء أقبلن عليه إقبالا عجيبا جدا، وإن فلانة قد كتبت عنده حجابا، يضمن لها ولزوجها الجنة. ضحك (نمر) لقد صدق والله من قال: «إن شر البلية ما يضحك»، يجب أن أزور خليفة (رضوان) الوصي على الجنة وخازنها الجديد.

في النهار التالي تدروش[٢٥١] (نمر) - والخطيب لا يعرفه أصلا - وذهب إلى قطبة الخطيب، ولمح إحدى النساء تنسل من تحت الرواق

---

(٢٥٠) إمكوبج - كلمة أعجمية تعني أن فيه نتوءات.

(٢٥١) تدروش، غير ملابسه ولبس ملابس رثة كملابس الدراويش.

وتهرب، خوفا من أن يقع بصر (نمر) عليها. سلم على الخطيب كأن شيئا لم يكن، وسأله قائلا: - «ما أدري يا خطيب، إن كان في خطبتك كتابة حجاب؟

أجاب الخطيب: «حلت البركة، لكن أي نوع أنت تريد؟».

قال (نمر): هل هناك أنواع؟

قال الخطيب: «معلوم يوجد»!

أ - من أجل المحبة والقبول.
ب- من أجل الجنة،
جـ - من أجل العيال،
د - من أجل الحماية من السلاح في الحرب،
هـ - من أجل الرزق.

قال (نمر) وهو يسيطر على أعصابه: بارك الله بهذه القدرة العجيبة. ما مكافأة كل نوع من هذه الحجب؟

الحجاب نفسه يا شيخ ماله مكافأة، ولا أجرة لأن هذا علم، والعلم حرام أخذ الأجرة عنه. لكن المكافأة عن فتح الكتب، لكي أعرف برجك، فلا بد لكل حجاب من ريالين!

(نمر) بارك الله بسيدي الشيخ. أنا أريد من كل نوع من أنواع الحجب حجابا، وأنا أنطيك فتح الكتاب سلفا. أم بعد أن تكتب الحجب.

الخطيب: لو كانت الريالات مكافأة أو أجرة لكان يجب أن يكون الدفع بعد التسليم، أما القضية فتح كتاب، فأرجو أن يكون الدفع سلفا!

(نمر) لا بأس، خذ هذه عشرة ريالات، فمتى أحضر لتسلم تلك الحجب؟

الخطيب: أولا أرجو أن تجيب عن هذه الأسئلة، وبعد ذلك أعين لك يوما أسلمك فيه الحجب إمخيطة كلها فما اسمك؟ واسم والدك ووالدتك؟

(نمر): اسمي (محمد) ولد (علي) ابن حسن - الفلاح - والوالدة (اسمها كريمة بنت ارحيل) القلوح ابن دعاس.

لم يكتب الخطيب شيئا مما قاله (نمر)، فسأله (نمر): لماذا لم تكتب الأسماء التي ذكرتها لك؟

الخطيب: «كل هذا صار معلوما عندي، وبعد خمسة أيام تحضر، تجد الحجب كلها، قد خيطت، وأعدت، لكن أرجوك أن لا تلعب بأي حجاب، أي لا تفرط خياطته[٢٥٢].

(نمر) ماذا يحدث لو فعلت؟ الخطيب، إن قراءة الحجب تفسدها، فأرجو، أن تأخذ الحجب بقبول، لكي تظل فائدتها تامة إن شاء الله! هذا ما قرَّرَته عنايا جدودي، قال الخطيب بإصرار.

(نمر) ألا يجوز أن أقرأها قبل أن تخيطها؟

الخطيب - والله يا شيخ إن هذا يفسد عملنا. وهذا علم من عند الله ولا يعرفه إلا الله وملائكته، وصاحب العنايا الذي كرمه الله بها!

(نمر) لا بأس افعل ما يأمرك به الله والملائكة وعنايا جدودك!

* * *

(٢٥٢) فرط الخياطة، قطع خيوطها، والكلمة من الآرامية يقال فرط العنب والزيتون.

يخرج (نمر)، وهو يفكر في أمر هذا الدجال، إنه ضيف للشيخ (ذياب)، ولا يجوز أن يساء إليه بكلمة إلا بعد الاتفاق مع الشيخ، عند افتضاح أمره. قبل أن يبتعد (نمر) عن قطبة الشيخ، سمعه ينادي بأعلى صوته: «يا شيخ (محمد ولد علي) يا شيخ (محمد)، ففطن (نمر) إلى أنه هو المحمد المعني بالنداء، فالتفت خير يا (خطيب)!

الخطيب - أرجو أن تعذرني، لقد تسرعت، ووعدتك بأن أسلمك الحجب بعد خمسة أيام، والحقيقة أن هذه الحجب تحتاج إلى عشر ليال، لأني أصوم أولا خمس ليال، بعدها أكتب في كل ليلة حجابا واحدا، وأسأل الله أن يفتح علي - وأسأله أن لا يحصل ما يعيق ذلك.

(نمر) لا بأس. قال في نفسه: «إلحق العيار إلى باب الدار!».

* * *

مضت الأيام والليالي المضروبة، فذهب (نمر)، لتسلم كنوز أسرار الغيب، الحجب الخمسة، ضحك (نمر) من نفسه، قائلا: «اذهب يا محمد ولد علي ابن حسن الفلاح ابن كريمة بنت ارحيل الفلوح ابن دعاس، وتسلم هذه الكنوز الربانية».

وصل، فسلم، فرحب به الخطيب أجمل ترحيب، ثم سلمه الحجب قائلا: يا شيخ (محمد)، أرجو أن تعلم أن الحجب، لا تكتب إلا بخط يشبه خط القرآن الحكيم، لأن شيوخنا قالوا: أن للحجب خطا خاصا بها.

(نمر): «لا بأس، فهذا شيء خاص بك وبأمثالك من أصحاب العنايا، ونحن لا نتدخل بينك وبين عناياك[٢٥٣] وعنايا أجدادك! فما دام لا يجوز

(٢٥٣) عناياك، كراماتك.

فتح الحجاب، أمرنا لله. لكن أريد منك، أن تفسر لي اختصاص كل حجاب من شكله. قال الخطيب:

أ - المثلث هذا للمحبة.

ب- والمربع للحماية من السلاح.

جـ- والمستطيل لدخول الجنة.

د - المستدير للحماية من كل مكروه ومن كل أنواع السلاح ومن لدغة الحية، ولسعة العقرب، ومن الوحوش المفترسة!

هـ - والمدوبل للرزق،

قال: «ماذا تعني بالمدوبل؟».

أعني به المؤلف من طبقتين.

* * *

(نمر) الذي يحمي من كل أنواع السلاح، لو وضعناه على جدي، وحاولنا أن نذبح الجدي، هل يكلّ السلاح عن ذبحه؟

(الخطيب) يجب أن يكون الحجاب مع من يحارب في معركة، فما علاقة الجدي بالمعركة؟

(نمر) أحسنت أيها الخطيب، والحجاب الذي للرزق، أتدري متى يكون نافعا.

الخطيب: «الرزق عندالله، مثل الغيث، ما ندري متى يكون. وأنت لو أن الله فتح عليك، وتعلمت أن تقرأ القرآن الكريم، لكان تفكيرك يكون، غير تفكيرك هذا.

(نمر): طيب وحجاب المحبة متى تكون فايدته؟

الخطيب: «المحبة من الله، يمكن إذا كان الحجب فيه اسم المحبوب، تجيء فايدته لشهر ممكن في سنة، ممكن تتأخر، كله من عند الله والحجاب واسطة!

عاد نمر إلى الشق، وفك حجاب العيال، فإذا هو مجموعة مثلثات متعاكسة، ليس فيه أية كلمة، فك حجاب المحبة، فلم يجد فيه أي اختلاف عن السابق، عاد إليه وفك الحجب الباقية، والخطيب ينظر إليه، فصرخ: «يا شيخ اتق الله، أفسدت الحجب، وأغضبت جدي علي!..»

قال (نمر) لعن الله اجدودك إلى أن تصل اللعنة إلى عتبة سيدنا آدم عليه السلام، وتقصر عنه. لك زمان على هذا الدجل؟ والله لولا أنك ضيف الشيخ ذياب، إن قتلك حلال. ولو أن دمك ما ينجس السيف، لأجعل السيف يخوض في بطنك. إخسأ يا الكذوب الشخاتي! اجمع كل ريال أخذته من العرب، وإلا والرحمان والقرآن ما تشم الحياة. يا خاين العيش والملح!

بعد أن دفع كل ما احتال به على النساء، وكان يزيد على مائة ريال، وهي في ذلك الزمن ثروة، أخذها (نمر)، وساقه إلى الشيخ (ذياب)، وأخبره بقصته، فغضب الشيخ (ذياب) أشد الغضب، وقال: «والله لولا مخافة الله وأنك أكلت من زادنا، إني لأقطعك طعاما للكلاب! يا خاين مؤمنة، خاين العيش والملح، ما الذي منعك عن أن تقول أنك محتاج؟ كنا نجمع لك في كل سنة كفايتك، أما اليوم والله لو أدري أنك قطعت الشريعة، وإن يدي تطولك لأجدع رأسك، يا بايق!..

سمعت النساء بذلك، فتوجهن بالدعاء على نمر، وتوقعن أن ينتقم الله من (أبو عقاب)، لأنه فضح الخطيب المسكين.

* * *

الفصل الثاني عشر

فرس ممتازة تذكر لـ (نمر) عند بني حميدة

(نمر) ضيف في ديار بني حميدة، جنوبي مادبا

ذكرت لـ (نمر) فرس صقلاوية قدرانية، بالغوا في الثناء الطيب عليها، فصحب صديقا له اسمه (ضافي) كثير المزاح، وعلى الرغم من أن مزاحه يكون ثقيل الظل أحيانا، (فنمر) يحبه، توجها معا إلى (بني حميدة). وبنو حميدة قبيلة مشهورة باحترام الجار، فيقولون: (بني حميدة عزّ الطنيب). ويقولون: «بني حميدة ذبّاحة الدول».

استقبل (نمر) استقبالا حافلا، وصار كل وجيه أو شيخ يريد أن يكون الأول في تكريم (نمر)، إلى درجة أن المغالطين[٢٥٣] على تكريمه ذهبوا إلى القاضي، ليحكم بينهم من الأحق بتكريم ضيف الجلالة (ابن عدوان)، كان الذي خصه القاضي بتكريم (نمر) شديد الافتخار بهذا الشرف، فدعا كل من كان في الشق إلى الوليمة.

بعد العشاء سأل (نمر) عن الفرس، وكان صاحبها في عداد المعازيب الذين دُعوا لتكريم الضيف، فأجاب صاحبها أن الفرس صقلاوية قدرانية، لم يسأل (نمر) عن الثمن، لأنه مستعد لدفع أي ثمن لفرس ممتازة. مع هذا فقد سأل عن ثمنها بعد أن رآها، فقال صاحبها: «ثمنها ثمانون نيرة بينتو!» قال (نمر): تسمح أن نشورها، أنت تركبها، وأنا أركب المخلدية، فقبل الشاب، لكن أباه غضب، وقال: «ياضيف الرحمن، يا (ابن عدوان) الصقلاوية ما تنشار!». فأهمل (نمر) موضوع الفرس، ولم يعد يفكر في أية مراجعة.

---

(٢٥٣) المغالطين - اصطلاح أردني، يطلقونه على الذين يحاول كل منهم، أن ينفرد بتكريم الضيوف، وسمي هذا النقاش مغالطة، لأن كل واحد من المغالطين ينسب إلى منافسه الغلط، لأنه يحاول أن يتقدم على منافسه في الكرم والتكريم.

وحاول (نمر) أن ينهي الضيافة، فلم يتمكن، لأنهم كانوا يذبحون الذبائح من غير استشارة، وإذا اختلف المعازيب، لجؤوا إلى القاضي، وهذا ما جعل (النمر) يتخلف - على غير عادته - عن موعده الذي حدده لـ (وضحا)، فذعرت، وأكلتها الوساوس، خاصة بعد أن رأت في الحلم أن (نمرا) يطارد مجموعة من اللصوص، فلما عاد هو ورفيقه (ضافي)، وجد (وضحا) مضطربة جدا، فلما رأت (نمرا) بكت من الفرح، أسرعت في إعداد الغداء فما كادا يتناولان غذائهما، حتى جاء (ضافي) بقصة كاذبة، اخترعها اختراعا ولشدة إحكام القصة أثرت في (وضحا)، إذ قال موجها كلامه إلى (وضحا): «إن سمح لي (أبو عقاب) أنا أقول لك السبب اللي أخرنا عن الميعاد»، أجاب أبو عقاب: «هات يا (ضافي) لكن إياك وأن تكذب!».

(ضافي) أنا أقول الصحيح (يا أم عقاب). أنا أمزح بعض الأحيان، لكن هذه المرة، أنا أقول الصحيح ورزقي على الله!».

(نمر): وش هو صحيحك، التفت إلى (وضحا)، وقال لها: لا تردي عليه.

(ضافي): أنا أمزح مع كل الناس، لكن (أم عقاب) أقول لها الصحيح. ما أقول لك غير أن (أبو عقاب) شاف عند أحد شيخان بني حميدة نشمية تحل عن المشنقة[254]، وشفته يحكي مع والدها كلاما مقصورا[255]، أظن أنه يريد يجيب رفيقة لك من بني حميدة، وش قولك؟

* * *

---

(٢٥٤) تحل عن المشنقة، أي أن جمالها يحول دون تنفيذ حكم الإعدام، وأصل هذا الاصطلاح. أن فارسا أردنيا حكم عليه بالسجن المؤبد، واسم الفارس (متعب القنج)، وقد تدخل أكثر زعماء البدو لدى والي دمشق، فأخفقوا، إلى أن تدخلت شقيقة متعب، وقد كانت آية في الجمال، وقد لبست خير ما عندها من الملابس قبل أن تواجه الوالي، فلما سمح لها الوالي أن تواجهه، عفا عن شقيقها، فقال الشاعر: قانون (قطنة) مبدلا كل قانون - ويروى ملغيا كل قانون.

(٢٥٥) كلام مقصور، أي كلام سري، يجري بصوت خافت.

أجابت: «أبو عقاب ما وسمته عبدا لي، واللي يريده (أبو عقاب)، يسعدني، أنا أبيع الدنيا وكل ما فيها بشيء يرضي (أبو عقاب) ولو ساعة واحدة، حياتي فداء لأي رغبة من رغبات (أبو عقاب).

نظر (نمر) إلى (ضافي) نظرة فيها كثير من المعاني، فخرج شاعرا بالخطأ. لم تغير (وضحا) شيئا من سلوكها مع (نمر)، لكنها قررت أن تفتعل مغاضبة.

* * *

(وضحا) تفتعل مغاضبة وتذهب إلى أهلها:

نهض (نمر) مبكرا - على عادته - فألقى نظرة على فراش (وضحا) و(عقاب)، فلم ير (وضحا)، ولا أبصر (عقابا)، ذعر، نادى عبد (وضحا) (إدهمان)، فلم يجده، تفقد المكان، فلم يجد لا (وضحا) ولا (عقابا)، فأدرك أن (وضحا) تحركت نحو أهلها، فاستدعى صديقه، وهو مضطرب، وطلب أن يرافقه إلى حيث يقيم (أبو وضحا)، - فلاح السبيلة القضاة-.

سأل (ضافي) عن سبب اضطراب (نمر)، وسبب الذهاب الى عربان (بني صخر)، فأجابه: «لا شك في أن مزحتك هي السبب في ذهاب (وضحا) إلى أهلها. الله يستر: «مجنون رمى حجر في البير، ألف عاقل ما أطلعوه، أرأيت ماذا صنع مزاحك؟ إياك وأن تثير غيرة المرأة».

ضافي: «أين منازل بني صخر، وأهل (وضحا) نفسها؟ (نمر) نذهب إلى (زيزا)، فإن لم نجدهم، نذهب إلى (ضبعة)، فإن لم نجدهم، نذهب إلى (أم الرصاص). (ضافي) والله ما هم في الديرة، مشوارنا ما هو قريب، توكلنا على الله.

عساها ماهي زعلانة[٢٥٦] منك؟ لا وحياتك، ما جرى شيء غير الذي أثرته أنت من غيرتها! (ضافي) نيتي والله أنها ما تزعل. (نمر): اللي صار صار، كل شيء ممكن أن تقبله المرأة إلا الغيرة، سامحك الله بهذه المزحة الثقيلة!

وصول (وضحا) إلى بيت أبيها:

لما وصلت (وضحا) إلى بيت أبيها في (زيزا)، فرحت بها أمها وفرح بها أبوها وفرح أهل الحي، لما أشاعت لبنات (بني صخر) من سمعة حسنة، ولم تظهر لأحد أنها جاءت (زعلانة)[٢٥٧].

أما (نمر)، و (ضافي)، فقبل أن يصلا إلى (زيزا)، التقاهم ثلاثة فرسان، فناداهما أحدهم قائلا: «وش هالزول؟[٢٥٨]»، أجاب (ضافي) صاحب. قال

---

(٢٥٦) زعلانة- اصطلاح أردني، مخالف لمعنى زعل في اللغة، فالفعل يعني في اللغة النشاط في حين أن الكلمة في اللهجة الأردنية، تعني الغضب المشوب بالعتب والحزن، لأن الزعلان عاجز عن إلحاق الأذى بمن أزعله، لذلك آثرت هذه الكلمة على أية كلمة سواها.

قال الشاعر البدوي:

إن كان (الحامد) زعلانين، (سلامة) زيداني زعلان.

وإن كان (الحامد) ممرورين (سلامة) زيداني ممرور

الحامد عقروا البغلة (سلامة) عقر البعرور

أي إذا كان (الحامد)، عشيرة من بني صخر. كان بينهم وبين المجالية، زعماء الكرك، خصومة. فيقول: إذا كان الحامد غاضبين، فسلامة زعيم الكرك غاضب أكثر. وإذا كان الحامد عصبي المزاج، فإن سلامة لا يقل عنهم عصبية مزاج، بل أشد منهم عصبية. فالحامد قطعوا قوائم بغلة لأهل الكرك، في حين أن سلامة المجالية قد قطع بسيفه قوائم جمال لهم، وصنع من لحمها وليمة عامة فقال شاعرهم:

« فنتك (سلامة) بالملا عاد ما صار،

سوى عل ذود المناعير ديوان! »

أي جريمة سلامة لا مثيل لها في العالم، صنع من إبل الزعماء الكبار وليمة عامة. وجمع الفتك فتائك.

(٢٥٧) زعلانة، مرّ تفسير زعلان وزعل.

(٢٥٨) وش هالزول - ما هذا التحرك المريب، فإذا قال صاحب اطمأنوا إليه، وإن حرب أو هاجم هاجموه.

الرجل: لغوتكم ماهي[٢٥٩] لغوة الصاحب، حولوا عن الخيل واهجروهن بأرسانهن، وارموا البواريد واسلموا.

لم يتكلم (نمر)، حوَّل بندقيته، وأطلق رصاصة على فرس هذا المتفرعن[٢٦٠]، فأرداها قتيلة، وسقط معها صاحبها. وقال كفوا عنا شركم، وإلا من المرة والمروّة[٢٦١] ما أبقي منكم من يعلّم العلم. إلى هذا الحد وصلنا، أنا أبوك يا (عقاب)! عرفوا أنه (نمر العدوان)، فقال أكبرهم سنا: «توهمنا يا ابن عدوان، الفرس تفداك الحمد لله الذي ستر، وكان أحدهم قد أطلق طلقة من بندقيته القديمة على (نمر)، قطعت عقاله، ولم تؤذه!

* * *

نمر زائراً لأهل (وضحا)

لما أبصر (فلاح السبيلة) ابن عدوان، فرح به، وأكثر من الترحيب. وأمر الفداوي أن يجدد الفراش والقهوة، أم (وضحا) فرحت، الحي كله أسرع رجاله للاحتفاء (بنمر)، دعا فلاح وجهاء الحي إلى وليمة عشاء كبرى، جاء شاعر يجر الربابة، وأخذ القوم يغالطون على ولائم للأيام المقبلة، وبألف جهد يتمكن (نمر) من إقناع القوم أنه مشغول، ولا بد له من أن يسافر إلى القدس ونابلس، وأن هذا السفر طرأ بعد ما زارت (أم عقاب) أهلها. ولا يجوز أن أغيب عن الحي، وتكون (أم عقاب) غائبة. قبل القوم عذره، وفي الصباح بعد الفطور، طلب (نمر) أن تعود (وضحا) معه، لأنه لا يجوز

---

(٢٥٩) اللغوة - هي اللهجة في عرف الأرادنة - لاغاه، حادثه ليعرف من أي قوم هو. لغاة باغتياب غيبة، وإذا قالوا: (فلان لغاة)، أي أنه لا يتورع عن التعرض لأعراض الناس بالباطل، وإذا قالوا: فلان ملغي أي أن سيرته سيئة ومثله المرأة الملغية.

(٢٦٠) المتفرعن - الذي يتشبه بالفراعنة - الظالم.

(٢٦١) من المرة والمروة - أي أقسم بأن زوجتي تحرم علي، وبأني لا مروءة لي، إن سكت عن هذا التحدي.

أن يكونا غائبين عن الحي. لكن (وضحا) أسرَّتْ إلى أمها أنها زعلانة، ولا تريد أن تعود إلى الحي. فعجب أبوها. ولم يدر ماذا يقول لـ(نمر)، فلما عاد إليها ليقنعها بالعودة مع زوجها. قالت له: «إنها طامح[٢٦٢]!»، صعق «فلاح» لتصريحها هذا، وقال لها غاضبا: «(أبو عقاب) من الرجال اللي تطمح عنهم الحريم؟ أبو اعقاب تطمح الحريم يمّه[٢٦٣]». عاد فلاح وقد علت وجهه سحابة من الكآبة والحزن، وسأل (نمرا) أحدث بينكما ما يوجب الغيظ؟ قال (نمر): والله يا عم نمنا أحباب وأصحاب، وما أدري ماذا جد. انسحب (ضافي) من الشق ليدع لـ (نمر) و(وضحا) مجالا للتفاهم، قال (نمر): يا (أم عقاب)، لا تشمتي الناس بنا، والله ما أعرف لي من ذنب. لأول مرة في حياتها الزوجية التي دامت عشرين عاما، تواجهه (وضحا) بوجه غاضب، وتقابله بكلمة نابية: «أبو عقاب الحياة قسمة ونصيب، واللقمة المقسومة لي عندك كليتها[٢٦٣] وانتهى كل شيء بيننا. (نمر): أفهم من هذا أنك طامح قولي وغيري. لعل مزحة (ضافي) هي سبب كل الذي حدث. (وضحا): غير الذي قاله (ضافي)، جارة لي قالت لي: «إنك تفكر في امرأة عدوانية، مباركة عليك، أنا أعود إلى أهلي، وأبقي الطريق مفتوحا لك، وليس بي من حاجة إلى إذلال نفسي بمقارعة ضراير، ضرة تدخل في البيت وأنا فيه، أذكر قولتك لي في البرزة: «إنك ما تعرف الحريم وأنا حية». (نمر): أقسم بالله الذي لا إله إلا هو أنه لم يخطر ببالي شيء من هذا». أجابت: «الناس ما قالوا قولا إلا عن تجربة وخبرة: «ما فيه طق إلا من حق»[٢٦٤] بارك الله لك في من تحب، موتي في شيء

---

(٢٦٢) الطامح - وصف خاص بالمرأة، كقولنا (حامل)، هي المرأة الزاهدة في زوجها، والجمع طمح.

(٢٦٣) تطمح الحريم يمه. أي النساء يزهدن في أزواجهن من أجله، ويمه معناها نحوه.

(٢٦٣) مكرر الرقم كليتها، أي أكلتها.

(٢٦٤) ما فيه طق إلا من حق. أي ليس دخان بلا نار، والطق هو الحديث المكبوت. ومن حق أي حقيقي.

يرضيك ماهو خسارة. (نمر): «(وضحا)، أقسم بالله أنك تتجنين علي!».

(نمر) ما دام هذا هو رأيك، إعطيني (اعقاب)! (اعقاب) يظل معي إلى أن يكبر، يصل إليك. هذا عدواني شيخ ابن شيخ. مادام هو يبكي يريد أمه، خله مع أمه»[٢٦٥].

(نمر): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم! يوجه كلامه إلى (فلاح) السبيلة، قائلا: «يا عم هذا لا يجوز أن تفعله سيدة مثل (وضحا)، صيتها الطيب عم (الزرقا) و(البلقا). مرة تقول أن جارة قالت لها، إني أريد أن أتزوج بعدوانية، ومرة تقول أن (ضافي) قال، إني أريد أن أتزوّج بحميدية. وحينا تقول أني عاشق، وأنها تريد أن تطمح. لقد أصبحت أؤمن بالخرافات والأساطير، وأعتقد أن عينا شريرة، لم تذكر ربها، دمّرت سعادتنا، أجاب (فلاح) يا (نمر) والله إنك تسوى - عندي - مية (وضحا)، وأنا أتاجر بالرجال، فإن ظلت راكبة رأسها طلقها، فذنبها على جنبها، والحريم أكثر من الهم على القلب».

(نمر) أنا لا أرى في النساء من تحل في قلبي محل (وضحا)، لكن إذا كانت طامحا عني، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فكل شيء ممكن إلا الإكراه على الحب. أجاب (فلاح): أنا لا ألومك إذا طلقتها، لأنها سودت وجهي!».

قال (نمر) أعوذ بالله، أنا أطلق (وضحا)، قطع لساني ولا هذا، لكن وداعتكم اعقاب، وخرج، وهو لا يرى الشمس من الغضب!

***

(٢٦٥) خله مع أمه. أي ابقه مع أمه.

نمر مريض!

عاد (نمر)، وقد ضاقت به الأرض، بما رحبت، فلزم الفراش خمسة عشر يوما، لا يأكل، وليس له إلا القهوة والدخان والربابة[٢٦٧]، واحتجب عن الناس، لا يتردد عليه سوى (ضافي). سأل عنه (ذياب) ووجهاء العشيرة، فقيل لهم إنه مريض، عاده (ذياب)، وعاتبه على ما صار إليه، ومما قال له: «يا حيفك يا أبا اعقاب من الصبح تريد أربع حريم، يصلن لك والسياق عليّ. أحضروا له حكيما من العرب، فطرده. وأحضروا خطيبا يفتح له، فطرده، لكنه كتب له حجابا، وضعوه تحت وسادة (نمر) خفية، فلما وجده فتحه فوجد فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذي الحمى امنَ الحميم، وهذي النار امن الجحيم، وبعد هذا أشكال هندسية. مثلثات، ومربعات، ودوائر. فلما زاره الشيخ ذياب، أطلعه على الدجل الجديد، فمزق الحجاب وطردوا الخطيب!

* * *

وضحا تزور (أبا عقاب) ليلاً

علمت (وضحا) أن (نمراً) مريض، فشعرت بأن قلبها، يذوب بين ضلوعها، فأخذت تبكي بحرقة، فرآها أبوها. فقال لها: «أنت لا تخافين من الله. (أبو عقاب) مريض من اليوم الذي فارقنا به، وجاءت أمها (قطنة) تلومها. فأجابت: «أنا قلت في نفسي أجرب، هو يحبني وإلا يريد يتزوج بغيري، ثم أعود له. وما كنت أتصور أنه يمرض من فراقي! قالت أمها:

---

(٢٦٧) الربابة - آثرت الكلمة الأردنية على الرباب - فالربابة شائعة ولا يعرف الأرادنة غيرها! وهي فصيحة أيضا.

«لقد جاء هو نفسه يرضيك، فأهنته، وهو رجل عظيم، قلَّ من يشبهه في الرجال». أوصت أمها بـ (عقاب)، وقالت لعبدها: «سر بي إلى عرب العدوان، وتجنب الطرق المطروقة، لكي نصل من غير أن نلتقي أحدا يعرفنا. . سار العبد و(وضحا)، وبعد منتصف الليل وصلا إلى مكان قريب من الحي. فأبقت العبد مع قعودها وقعوده، ودخلت البيت، فلم تنبحها الكلاب. وجدت (نمر) نائما فأيقظته، فاستنشق رائحة العطر الذي تستعمله (وضحا)، فشعر بانتعاش كأنه لم يشكُ شيئا من قبل، وبلهفة قال لها: «هذا حلم ولا علم؟ أجابت: لا بل علم، وبكت وقالت: «أرجو أن تصفح عن زلتي الكبرى» أجاب: «المحبوب ماله ذنوب!» أجابت: «الصباح رباح، نتعاتب كما تشاء!.

نمر: «لقد ذبحتني يا (وضحا) شفَّيْتِ فيَّ كلَّ مبغض وحاسد. قال هذا وسكت، وقبيل الفجر! أغفى على ردنها الذي بسطته على الوسادة، فلكي لا توقظه، فتقت ردنها من الكتف، وانسلت إلى حيث العبد، وركبت قعودها، وعادت إلى أهلها، وفي الصباح نهض (نمر)، يبحث عن (وضحا)، ثم أخذ ينادي بأعلى صوته، فأقبل عليه أهل الحي، مذعورين، يظنون أنه أصيب بمس، وأخذ ضافي يدعو له بالشفاء، وأحس هو نفسه، بأن قلبه يتمزق، لأن مزاحه سبب لأعز أصدقائه هذه النكبة التي سلبته سعادته، ودمَّرت عقله!

كلما لج (نمر) في السؤال عن (وضحا)، زاد اعتقاد الناس أنه فقد عقله، فاضطر أن يسكت. متمثلا بقول القائل: «إذا قال الناس لك أقرع، تلمس رأسك، ولو وصل فرعك إلى الأرض!».

رسول من عند فلاح السبيلة:

مضت أيام، فإذا رسول من قبل (فلاح) والد (وضحا)، يخبره أن أسرة (وضحا) تنتظر حضوره، لتعود معه (وضحا) و(عقاب)، ففرح، وصحب جاهة كبرى، أعادت (وضحا). وفي اليوم التالي أقام (نمر) وليمة جامعة احتفاء بعودة (وضحا)، وقبل أن يتقدم أول وفد لتناول الطعام، قال لـ(وضحا): استحلفك بحياتي وبحياة اعقاب، وبالله هل كانت زيارتك لي حقيقة أو حلما؟ أجابت: «والله الذي لا إله إلا هو، أني زرتك حقا، وسهرت معك، ولما أردت الانصراف، فتقت ردني من الكتف، لئلا أوقظك، وأبقيته، وعدت إلى الأهل، قال لها: لم يصدقوني، وسمعتهم، يتهامسون، ويقولون: «خسارة على (نمر) يصير مجنونا، وسكت على غلبي، وقد عرضت الردن عليهم، فقالوا: مجنون، صار يقطعُ ملابس (وضحا)، ليوهم أنه عاقل.

لقد أشرفت حقا على الجنون. لكن الحمد لله على كل الذي جرى، لأنه أظهر لي العدو من الصديق!..

لقد سمعت الشامتين، وهم يتظاهرون بالحزن، سمعتهم يقولون: يستحق هذه النكبة، ويستحق الجنون، كأن الله لم يخلق في دنياه غير (نمر) و(وضحا).

سمعتهم يقولون: «الله لا يرده، ترك كل العدوانيات، وراح للطير الغريب حواه، إلى أن انتهى، إنها جعلته مجنوناً! أجل سمعت ذلك، واتكأت على جرحي إلى أن منّ الله علي بالفرج فالحمد لله!

وقد ذكر لنا، أن (نمراً) نظم يوم غاضبته (وضحا) قصائد، لكنه خجل من أن يذيعها بين الناس، وكل ما حصلنا عليه من القصائد أربعة أبيات،

نثبتها عملا بوصية الإمام علي كرم الله وجهه، القائل: «لا تخجل من عطاء القليل، لأن الحرمان أقل منه!». فهذه هي الأبيات:

يا (عقاب) أبوك ألظلمة الليل دوّاس،

من طَلعتَه يأخذ على الخيل مشوار[(٢٦٨)]

االـلـه مـن قـلـب بـلاتـي ابـو سْـواس

العقلْ من كثر الهواجيس كن طار[(٢٦٩)]

مـن عـقـب كـسـبي كـل يـومِ الـنـومـاسْ

صارت اعلومي مهزَره الكلّ قَشّار[(٢٧٠)]

(وضـحـا) لـفـت زوارة عـقـبَ الأدَمـاسْ،

مـا صـدقـوني كـلـهـم قـال مِـهـذار[(٢٧١)]

ويروى بدل (وضحا). أمك لفت.

* * *

(نمر) يسافر إلى القدس، ونابلس، والخليل:

اطمأن (نمر) بعد عودة (وضحا) و(عقاب)، فبعد نحو شهر أحب أن يبدّل الجو الذي أرهقه، فأخبر (وضحا)، أنه مسافر إلى (القدس) و(نابلس) و(الخليل)، فما كاد ينهي كلامه، حتى لاحظ أن دموعها تتدفق على خديها، سألها: «ما بك يا (ام عقاب)؟ أجابت: «لست أعلم لذلك سببا، سوى أني بكيت. قال (نمر): أهذه هي المرة الأولى التي أسافر فيها؟ لماذا

---

(٢٦٨) يا (اعقاب) أبوك فارس مشهور، لا يخاف ظلام الليل، من صغره يهزم الفرسان.

(٢٦٩) أشكو إلى الله قلبي الذي ابتلاني بالوساوس والأوهام، لكثرة همومي وهواجسي عقلي طار - أي فقدته.

(٢٧٠) بعد أن كنت كل يوم أجدد ثناء طيبا، اليوم أصبحت حكاياتي هزءا لكل كاذب، كثير الهذيان.

(٢٧١) (وضحا) جاءت زائرة في سواد الليل، لم يصدقوني، كلهم قالوا: إني ثرثار.

كل هذه الدموع؟. لست أدري يا عين أبوي، فنحن نبكي أحيانا من الفرح، نعم إن دموعي هذه ليست دموع فرح، لكنها انسكبت برغم إرادتي، فقد نفرح أحيانا بلا سبب، ونحزن في بعض الأوقات من غير داع، إن هذا ليس برضانا، فقد نهضت اليوم من فراشي والدمعة في عيني، أسأل الله الستر!

يضحك (نمر) فيقول: «أراك اليوم على رأي البدو تفقرين![٢٧٢]

أجابت: «ما هو تفقير، ولا هو تبصير، إنها حالة غريبة سيطرت علي اليوم». يا ليتك يا عين أبوي، ما تسافر هذه السفرة!

نمر: «لا تخافي، قال الشاعر:

تــعــلّــم إنــه لا طــيــرَ إلا   على مُتطيّر، وهو الثبور،
بلى! شيءٌ يوافق بعض شيءٍ،   أحـايـيـنـا، وبـاطـلـه كـثـيـر،

وقال عزّ وجل: ﴿**وكلّ إنسانٍ ألزمناه طائره في عُنقه**﴾ وليس في الإسلام عدوى ولا طِيرة ولا هامة... لسان العرب مادة (ط ي ر) ص٦٣٤. وقال لها: «وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، يتفاءل، ولا يتطيّر!

فقد أثبت النبي عليه السلام الفأل، واستحسنه، وأبطل الطيرة، ونهى عنها، وقد قلت لك: أن النبي كان يحب الفأل، ويكره الطِّيرة، فكفي عن هذا الخاطر السيء الذي عرض لك، وقال في كتابه العزيز: ﴿**فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾. آل عمران الآيه ١٥٩.

انصرفت عنه، لئلا يراها تبكي، كفكفتِ دموعها، وغسلت وجهها وهيأت ما يحتاج إليه في رحلته، إن الغيبة لن تطول بإذن الله. أجابت مع جيرة الله!

---

(٢٧٢) تفقرين - تتكهنين - اشتقوا لها فعلا من الاسم، الفقير. ذو الكرامة عندهم.

ما كاد يغيب عن عينيها، حتى ارتمت على فرشة كانت في المحرم، وأطلقت لنفسها عنان البكاء، ثم أخذت تلوم نفسها قائلة: «مالي أتشاءم اليوم، وكل ما حولي يدعو إلى السرور والسعادة. ألم يقل الأولون: «إياكم والتشاؤم لأنه جالب للشؤم!».

* * *

الخطاطة!

أعدت (وضحا)[٢٧٤] القهوة لزائراتها من الجارات، فإذا امرأة شرارية، تمر من باب الشق بملابسها البالية، فنادتها (وضحا)، وسألتها: «خطاطة أنت يا خالة؟»، أجابت: «آي والله أخط، والصادق ربنا!».

قالت لها: الحقي[٢٧٥]، خطي لنا.

الخطاطة: «أريد افراشا للخط.

(وضحا): «وش هو فراش الخط؟

الخطاطه: «مالك على الأجواد ضربة لازم، اللي يطلع من نفسك.

(وضحا) أعطتها (ريالا أبو شوشة) بياضاً للخط، وهو شيء لم تره في حياتها، وأعطتها ثوبا جديدا لم تلبسه سوى مرة واحدة.

الخطاطة: أخذت الريال، ورفضت الثوب. قائلة: «مالي بخت إن لبست ثوب (أم عقاب)، لأنها خافت أن يظن الناس أنها سرقته. الريال

---

(٢٧٤) الخطاطة - عند الأرادنة، هي ضاربة الحصى، الجمع خطاطات.

(٢٧٥) الحقي - في اللهجة الأردنية، تعني تعالي أسرعي. CH هذه الإشارة تعني أن الكاف تلفظ كما يلفظ هذان الحرفان في اللغة الإنجليزية، أي تلفظها جيما تركية أو فارسية بثلاث نقاط، كثير - جثير.

كثير. رمت الخطاطة بالحصى، وتأملت مليا، ثم رفعت رأسها وقالت: «بوجهك الرجل النشمي اللي ما مثله بالرجال، لو يهم له، ما يخليك تغيبين عن عينه لوهي ساعة. وازينه الله يخزي العين عنه!»(٢٧٦).

لملمت الحصى، ورمت تلك الحصيات، وتأملت فصرخت: «شيب وقع اعن الفرس، الله يستره من هالوقعة!.

(وضحا) بصوت فيه رنة حزن: شيب وإلا ولد؟(٢٧٧) أجابت الخطاطة: لا والله شايب حشيم. ما كادت الشرارية تجمع الحصيات، حتى وصل أحد عبيد فلاح السبيلة، ينعي أباها، فصفقت كفا بكف، ومن غير أن ترفع صوتها بالبكاء، قالت: «واويللي يا أبوي يا خسارة عليك ياندي الكف. سألت العبد: «في غزوة اذبح؟ أجاب كان يطرد الصيد، وتقنطرت به الفرس، والدايم الله!

(وضحا) دفن؟

العبد - من ثلاث ليال.

وضحا - يا حيف عليك يا والدي، تمنيت لو أنك مت بأتلي جماعتك!

التفتت إلى الشرارية وقالت لها: «كفي خطك ما أخطأ ولا أبطأ! كفكفت دموعها قائلة: لا يجوز البكا وأبو عقاب غايب. عند حضوره نزور أمي إن شاء الله!.

علمت نساء الحي. فأخذن يتوافدن عليها، فطلبت منهن، أن لا يبكين

---

(٢٧٦) الله يخزي العين عنه، أي حماه الله من العين الشريرة.
(٢٧٧) ولد قرم. تقال في المدح، ولو كان الرجل متقدما في السن، وإذا قالوا عيل، عنوا بها أنه قليل القيمة. أما إذا قالوا: اعيال نشامى، فإنهم يريدون بها المدح.

ما دام أبو عقاب غائبا، فلا معيد، ولا نواح، وكانت النساء يقول بعضهن لبعض: «ما أقوى جباير هالمرة[٢٧٨] أبوها ميت وما تبكي عليه خوفا على (نمر).

* * *

دهمان عبد وضحا يبشر بمقدم سيده:

وصل (نمر) إلى الحي، فأقبل (دهمان) عبد (وضحا) يبشرها بمقدم سيده، نهضت لاستقباله فرحة، قبلت غرة فرسه - على عادتها - فرأى آثار الدمع في عينيها، فبادرها «كفى الله الشر! علامك؟» ما هو الك الشر، أبوي غدا الله يرحمه!

(نمر) الدنيا فانية، الله يخونها، رحمات الله عليك يا عم، وصل إلى الشق، فدفق القهوة - كما هي العادة، عند نعي شيخ أو صديق - وأمر بنحر ناقة عشاء قبر لعمه، بعد هذا وصل من يبشرهم أن (فلاح السبيلة)، عاش، بعد أن دفنوه في مغارة، فعاد إليهم يجر كفنه، فرحوا أشد الفرح. التفتت (وضحا) فرأت في جبهة (نمر) جرحا، فسألته: ما هذا الجرح؟ (نمر) الله حماني، جفلت الفرس، فسقطت على صخرة ولطف الله بي، وبقيت في أريحا إلى أن جف الجرح، وحضرت كما تشاهدين بخير أحمد الله.

بعد أيام، لا بد من زيارة العم «فلاح»، ويوم أعود، أزور أحبابي في (القدس) و(نابلس) و(الخليل). الظاهر أن تشاؤمك كان في محله، على كل حال: «يا هاربا من قضاي مالك رب سواي!» الحمد لله حنا عبيده، والأمر في ايده!». باتا ليلتهما، وفي الصباح حيته قائلة: «عساك ما كنت

---

(٢٧٨) ما أقوى جبايرها! ما أجرأها على المكاره!

تشكو شيئا، لأني لاحظت أنك البارحة لم تنم، أجاب: «أنا بخير، لكن اعتقادي أن الحوف[٢٧٩] كانوا كل الليل بالعرب، وأنا ما نمت، وبارودتي كانت كل الليل بايدي. والذي أراه، أنه من المناسب أن ندعو والدك والوالدة لزيارتنا. فالعرب كلها مشتاقة إلى الوالد والوالدة، خاصة بعد أن منّ الله على الوالد بالحياة، بعدما دُفن. (وضحا): الذي تراه هو الصواب. نادى العبد (دهمان)، وأمره أن يذهب إلى عرب القضاة، ويدعو (فلاح) و(قطنة) والدي (وضحا)، فسار حالا، وفي اليوم التالي كان (فلاح) السبيلة وقطنة في شق (نمر)، فاستقبلا أكرم استقبال. ودعا (نمر) أهل الحي كلهم لوليمة فخمة احتفاء بختنه الذي قام من بين الأموات، وقد أثارت وليمته هذه موجة من الانتقادات، منها ما هو ناجم عن الغيرة والحسد، إذ قال أحد منتقديه: «هذا الكرم الأهوج، فضيحة للعرب!» فقال أحد السامعين: ما تسمع بالقول المعروف: «كل عايلةٍ ردّها غير عايلة الكرم والبقر!»[٢٨٠].

❀ ❀ ❀

حفلة الطهور - الختان - والصابية

ذكر أنّ مطهّراً وصل إلى العرب، فجمع الأطفال الذين يراد ختانهم، وبعد الختان أقيمت صابية، تبارت فيها الخيل في ميدان مخصص بهذه الغاية. وقد تفوقت (المخلدية) على كل الخيل المشاركة. فسقط في الحلبة شاب فنارت[٢٨١] فرسه، وصدمت المخلدية، فسقطت الفرسان، وسقط (نمر العدوان)، فظلت المخلدية واقفة عنده، لكنه أوذي من السقطة، نقل إلى شقه بمساعدة بعض الحاضرين. وفي اليوم التالي لم يستطع (نمر) أن

---

(٢٧٩) الحوف، الواحد حايف، هو الذي يراقب الحي، لعله يجد منه غرة للسرقة.

(٢٨٠) كل زيادة تتحول إلى مكرهة، ويجب إصلاحها، إلا زيادة الكرم أو التعدي على أرض الغير، فإذا ثبت أن الأرض ليست لك ذهب تعبك وبذارك هدرا وصار لصاحب الأرض، وإلا فإنه يبقى لك.

(٢٨١) نارت الفرس فهي نايرة، بلا همز، انطلقت بلا فارس بأقصى جهدها.

ينهض، حضرت إحدى الحكيمات اللواتي في الحي، و(نمر) نائم، وأقنعت (وضحا) أن ترش المكان الذي سقط فيه (نمر)، فأخذت معها:

أ ـ ماءً مدوفاً به دقيق، ولبن، وملح.

ب ـ أخذت شعيرا، وعدسا.

جـ ـ أخذت بخورا وطيباً وحِناء.

كل هذا أخذته استرضاء لملك الجن الذي يملك الأرض كلها في اعتقادهم. وأنه يغضب هو وأعوانه من الجن لأية حركة غير عادية، من أجل هذا، يفتدون من يسقط بهذه المواد، التي ترمز إلى سطوة الجن وإلى الاعتراف بسلطة الجن على الأرض.

تذهب المرأة التي بلغت سن اليأس، إلى المكان من غير أن تكلم أحدا، ولا يجوز لها أن ترد السلام على من يحييها لا في ذهابها إلى مكان الرش، ولا في عودتها من المكان.

فإذا وصلت إلى المكان. تنصب قطعة من القماش على عيدان تقليداً لبيت الشعر، وتشعل سبع ذبالات مغموسة بزيت الزيتون، وتقول بصوت عالٍ إذا كانت بدوية - وبصوت خافت إذا كانت حضرية:

«يا سامعين الصوت صلوا على النبي:

أ ـ أولكو (محمّد)، وثانيكو (علي)، وثالثكو (فاطمة)، بنت النبي.

ب ـ يا هند الاهنود، ويا سمر الأجلود، الغايب حضروه، والنايم اقعدوه.

جـ ـ دخيل عَ المال، والاعيال،

د ـ خذو هديتكم، إوفِكّوا شكيتنا[٢٨٢] (نمر) ابن (نوقة).

هـ ـ خذوا عليق لخيلكم، ومنهن من تقول: خيلكو، بقلب الميم واواً.

---

(٢٨٢) شكيتنا - مريضنا، الذي يشكو الألم.

و - خذوا ملح لزادكو.

ز - خذوا حِناء لاولادكو.

ح - خذوا بخور لعجامكو.

ط - أنا دخيل عَ المال والاعيال، الحاضر يعلّم الغايب.

تقول البدويات هذه الآبده بصوت عال، كما ذكرنا، أما الحضريات فيرددنها بصوت خافت.

ولا فرق بين المسلمات والمسيحيات في ترديد كلمات هذه الآبدة، غير أن البدويات يزغردن بعد الرش ثلاثا، ويقمن بالرش ثلاثة أيام متواليات. لاحظ تكريم رقم (٣) عند المسلمات وعند المسيحيات، ولاحظ تكريم النبي وعلي وفاطمة عند المسيحيات، مثلما هو عند المسلمات.

غير أن بعض الحضريات، مسلمات ومسيحيات - يهملن هذه الكلمات: «ياهند الاهنود يا سمر الاجلود الغايب حضروه، والنايم اقعدوه» وفي أمثالهم الرشاشة غلبت الفتاشة. أي أن التي تلجأ الى طريقة الرش، تأتي بمعجزات، دونها معجزات السحر والطلاسم - الحجب - لأن الفتش، معناه الالتجاء إلى السحرة والعرافين لمعرفة أسرار الغيب، أما الرش فهو مخاطبة الجن رأسا. قاموس العادت واللهجات والأوابد الأردنية للعزيزي ط١، ٢ ص٣٤٩، ٣٥٠.

* * *

سفر فلاح السبيلة وزوجته (قطنة) إلى عربان بني صخر، وشفاء نمر

بعد ثلاثة أيام نهض (نمر) معافى، لكن آثار السقطة ظلت ملازمة له. فرحت الرشاشة، فأجزلت (وضحا) مكافأتها. سر فلاح وقطنة بشفاء (نمر)، وودعا وسافرا، وبعد سفرهما ذكر (نمر) لـ (وضحا) أنه مصمم على السفر إلى (القدس)، فلم تبدي ممانعة، لكنها بينها وبين نفسها كانت غير راضية، لأنها تشعر بشيء يضغط على قلبها، كلما قال أنه يريد أن يغادر الحي.

في الصباح التالي نهضت (وضحا) متثاقلة - على خلاف عادتها - لم تحضر القهوة لنمر، فسألها عما بها، فقالت: إنها تشعر بألم شديد، وبصداع، فأجاب: «إذا أنا ألغيت الرحلة إلى (القدس)، مع أني وعدت أن أكون عند عملائي[٢٨٣] في أقرب وقت». أجابت: «لا يا عين أبوي لا تخلف ميعادك. لا يجوز أن أسافر وأنت مريضة. يقولون أن عند الشيخ (ذياب) مع السياح حكيم، نحضره ومعه ترجمان، الله سخره لنا، النية طيبة والحمد لله، (وضحا) حكيم يكشف علي، تريد تفضحني بالعرب! ماذا تقول النساء عليّ؟ يا فضيحة الفضيحة، أصير معيار، يا عين أبوي!

(نمر) ما لنا وللحريم، وما تقول الحريم؟ الله خلق الداء، وخلق الطب والدواء. قالت (وضحا): هذا صحيح، لكن أنا متعودة أغلي الأعشاب وأشربها، وكل شيء يزول بعون الله، بالله لا تجعلني حكاية بين حريم العدوان. أنا صوفتي حمراء من غير هذا. العدوانيات يقلن إني مطعمتك طعمة محبة. واليوم تحضر لي الطبيب خواجا، ما تدري أي سولافة أصير أنا الهدف لها. كل عمرنا نمرض، والله يشفينا، أجوهك بالله لا تفضحنا بالعرب. يضحك (نمر)، ويقول: إن عشنا مثل ما يريدون، لا خير فينا، هم يتعلمون منا. أنا ما تعلمت بالقدس وبالأزهر، حتى أظل أخاف من الذي يقوله الناس. (وضحا)، أفضل أن أموت، ولا أصير مضغة في أفواه النساء، كلهن يردن أن أصبح حكاية لهن. أنا أدري أنك تحبني، فأرجو أن لا تجعلني هدفا، فأقل كلمة تقال غدا: «وضحا تلمسها الخواجا وش يهمها!!».

ضحك (نمر)، وصرف النظر عن إحضار الطبيب، لأنه لم يرد أن يحزن (وضحا). لقد عالجت (وضحا) نفسها بالأعشاب التي تعودت، فشفيت.

* * *

---

(٢٨٣) عملائي في اللهجة الأردنية، هم الذين أتعامل معهم بالبيع والشراء، وفي اللغة، الحريف. هو معاملك في حرفتك.

الفصل الثالث عشر
شاعر مسترزق - سهرة في شق (نمر) والزعيم (ذياب) حاضر

ضيوف جلالة نزلوا بشق (نمر)، وتكريما لهم حضر وليمة العشاء الزعيم (ذياب)، وقد جرى ذكر الربابة، فقال (ذياب): الربابة تفطّن بالعز وبمعاني الرجال. وبعض الشيوخ يوم أنه يغلب شيخا، ويأخذ الشيخة منه، يحرّم عليه جرة الربابة. وجه الزعيم (ذياب) الحديث إلى الشاعر المترزق قائلا: «يا شاعرنا، تعرف شيئنا من شعر (ابن عزّاز)؟ قال الشاعر: «والله يا أبو علي هذا ما هو من ديرتنا»، ضحك الشيخ (ذياب) من إجابته، وقال: «القصيد ما له ديرة، مثل الهوا يهب في كل ديرة، وهذا القصيد ناموس للرجال. والنوميس تذكر في كل ديوان».

قال (نمر): «أنا أعللكم بشيء من قصيد (ابن عزاز). قال الشيخ (ذياب): مدّ وافلح يا (ابو عقاب).

قال (نمر): «ابن عزاز شيخ، وعقيد محرم، عليم، وشاعر، لكن جماعته هذاريم[٢٨٤] رجال، تفسخوا إوبدخوا[٢٨٥] بايده!

يقول «ابن عزاز»:

لا خير بفتى لنه وقع بمحتمال النّوايب[٢٨٦]
لنه وقع بمحتمال إو حيلة إو مكر إو شدات إو مخطي إو صايب[٢٨٦]

---

(٢٨٤) هذاريم. تعني في اللهجة الأردنية، الأسمال البالية. وهنا استعارها لرجال لا قيمة لهم.
(٢٨٥) بدخوا. في اللهجة الأردنية، تطلق على السيف أو الخنجر إذا كل ولم يقطع. وفي اللغة. بدخوا، تراخوا.
(٢٨٦) يقول (ابن عزاز) لا خير في رجل لا فائدة منه، إذا وقع في مشكلات وشدات ومكر الأعداء، لا خير فيه إن لم يحتل للتخلص من كل ذلك.

ألـبـوق بـيـنَ الـقـوم يـشـمـت الـعـدا
إو يجعل حريمَ القوم فرع نوادب[287]

الـحـبـد بـالـشـدات مـا يـكـثـر الـرّغـا
إو ما يجعل الهفوات تَغدي حرايب[288]

ويروى، «ما يجعل الزلات تغدي حرايب»

أوصيكم يا النشمي (ابديرا) إو (قـايـد)
عسى يطلع منكم إرجالا أطايب[289]

أوصـيـكـم عـزوا الـجـار مـع ولـد عـمـكـم
واغدو لهم روضا كثير العشايب[290]

إن ضربوا كلبكم، لا تضربوا كلبهم،
إو لا تدِخلوا بيتَ الجار لن كان غايب،[291]

أوصـيـكـم خـلـوا حـرزَ الـبـيـوت مـنـازل،
لا تِـدرَّق لـصـار عَ الـنّـزل صـايـبْ[292]

أوصـيـكْ لا تـنـقـلْ اسـلاحـا يَـغِـرّ بَـك،
لا بدّ يوما ما تصيبك عتايب[293]

---

(٢٨٧) نقض العهود بين القوم، يشمت أعداءهم بهم، وتضحى نساؤهم نادبات لابسات ثياب الحداد.

(٢٨٨) الرجل الكامل الرجولة شبهه بالجمل القادر على الحمل، ولا يحول الهفوات من أقربائه عداوات، أي يجب أن تكون متسامحا.

(٢٨٩) أوصيكم، يا ولدي النشميين - والنشمي هو المتحلي بكل محامد الرجولة من كرم وعفة وشجاعة ولطف وتسامح - (بدير) و(قايد)، وبعضهم يسميه قايد، لعله يكون فيكم رجال طيبون. أي منكم ومن نسلكم.

(٢٩٠) أوصيكم، باحترام الجار وابن العم، وكونوا لهم في منتهى سماحة الأخلاق، كالروضة الطية النبات.

(٢٩١) إن اعتدوا عليكم، لا تقابلوا اعتداءهم بمثله، ولا تدخلوا بيوت جيرانكم، وهم غائبون.

(٢٩٢) أوصيكم، بأن تجعلوا بيوتكم محجة، وساكنوها كرام الناس، ولا تتهربوا من المسؤولية، إذا حل بالعشيرة مصيبة.

(٢٩٣) أوصيكم، لا تتحلوا بسلاح غير موثوق به، وإن فعلتم فإنكم ستلقون لوما.

أوصيكم، بنتَ النّذل لا تأخذونها،

يجي ولدها من تلا الخالْ خايب[٢٩٤]

بجي عريضَ الصدر ثلبا هلويجي،

ما يعرف المعروف لو كان شايب[٢٩٥]

أوصيكم، لا تقعدوا بشجرة ما آبها ذرى،

تضُردْ آليا هبّت عليكُم هَبايب[٢٩٦]

الشيخ (ذياب) وازين هذا القاف[٢٩٧]

(نمر) ولابن عزاز بيوتات شكوى آمن العشيرة!

الشيخ (ذياب): جرهن على الربابة يا (ابو عقاب)

حباً وكرامة يا شيخنا (أبو علي).

لا يا اعبادَ الله ليّ رفاقَةْ،

نقّالةِ البغضة على غير طايب![٢٩٨]

أعلّمهم بالليل علما يسرّهمْ

والصّبح أيبادون الاعدا بالعتايبْ[٢٩٩]

ألكهكهَة بمجلس يقعدون به،

هُم بيلَمة عند اختلاف الطلايبْ،[٣٠٠]

---

(٢٩٤) أوصيكم، لا تتزوجوا بنت النذل، لأن وراثة الأعراق تلد لكم أبناء فاسدين، فابن بنت النذل يشبه خاله الفاسد الخائب.

(٢٩٥) بنت النذل يلد ابنها ضخم الجثة أكولا غير متزن في تصرفاته، لا يعرف مكارم الأخلاق ولو كان شيخا.

(٢٩٦) أوصيكم، لا تحتموا بإنسان حقير، يشبه شجرة لا أغصان ولا أوراق لها ولا فيء لها، لأن ذاك الإنسان لا يفيدك إذا حزبتك الأمور. فإن النذل كالشجرة الخبيثة، لا تحمي من حر ولا من برد.

(٢٩٧) وازين هالقاف، ما أجمل هذه القصيدة، وقد كنى عن القصيدة بالقافية.

(٢٩٨) يا عباد الله لي عصبة، ينقل بعضهم الحقد على بعض بلا سبب.

(٢٩٩) اعلمهم في الليل علوما، تفيدهم لو اتبعوها، لكنهم بدلا من النكاية في الأعداء، يعاتبونهم عتابا في النهار التالي.

(٣٠٠) مجالسهم كلها ضحك واستهزاء، تهب الأعداء حقوقهم، وضيموها، إذا حصل مطالبات ضاعت حقوقهم.

إن قـابـلـوا سُـودَ الـلّـحـى بـاطـلابـة،
غـدا حـقـهُـمْ بـيـنَ أعـادي نـهـايـب[٣٠١]

أرانـب آلـيـا صـالـوا عـلـيـنـا اعـدانـا،
عَـسمين على جيرانهم، والطّنايب[٣٠٢]

شرّابة الحاجات بالسّوق للنسا، دَهّانة بالذّبدِ روسَ الشوارب[٣٠٣]
بعتْ لهم درعي إو سيفي إو سابقي، أهفيتهن من يوم شَحّت جلايب[٣٠٤]

يـقـول (ابـنْ عـزّاز) مـاشـي امـهـمّـلْ،
أكـيـد الاعـداء لـولا ارجـالـي هـلايـب[٣٠٥]

الشيخ ذياب: الله يعين الرجل اللي يبلاه الله بعزوةٍ هلايم!

يلتفت (نمر) إلى الشاعر المسترزق، ويسأله عن حاجته، قائلا: «يا ضيف الرحمن إذكر حاجتك، لعل الله يقضيها لك على يدنا، فأنا غدا مسافر إن شاء الله.

الشاعر المسترزق: «والله يا ابن عدوان الشوفة شوفتك[٣٠٥]» «إن شفت حاله لا اتساله!» لاحظ (نمر) أن عباءة الشاعر ممزقة، فأهدى له عباءة

---

(٣٠١) إذا قابلوا الأعداء في مطالبة - وكنى عن الرجال بقوله سواد اللحية - أصبح حقهم بين الأعداء نهبا مقسما.
(٣٠٢) شبههم بالأرانب في الحرب، وجعل شرهم على أقربائهم وعلى جيرانهم شديدا. إذا هاجمَنا الأعداء، جبنوا وكانوا كالأرانب، وهم قساة على جيرانهم وأقربائهم.
(٣٠٣) وآخر ما فيهم، أنهم يشترون الحاجات للنساء، ويدهنون رؤوس شواربهم بالزباد. نوع من الطيوب اللزجة.
(٣٠٤) بعت عدتي الحربية بثمن بخس لأقوم بواجبات العشيرة.
(٣٠٥) يقول ابن عزاز: لا يوجد شيء في الدنيا بلا حساب، لو كان رجالي رجالا، لكنت أكيد أعدائي، لكن رجالي هلايب كالبراذين المصابة بالهلب. وهو مرض يتساقط منه شعر الخيل. ويروى هلايم جمع هليمة. وتعني الكلمة في اللهجة الأردنية، الرجل التافه الساقط. والبدو يقلبون الميم باء فيقولون جهنب بدلا من جهنم!

جديدة، ونفحه عشرة ريالات، وقال له: «عند عودتي من رحلتي، تمر بنا وتأخذ، من مال الله ما يقسم لك. شكره، وأراد أن يقول شعرا في مدحه، فأشار إليه بيده أن يكف!

الشيخ (ذياب) - موجها كلامه إلى (نمر) - حواليك يا (ابو عقاب) غير حكاية (ابن عزاز) شيء؟.

عندي بيوتات لشيخ (معروف)، ما نريد نذكر اسمه حيث هو ما يريد ذلك.

بلاه الله إوحب له بنت شيخ، طلبها من والدها، أبو البنت استشار بنته، أجابت البنت والدها بما حرفه: «الرجل شيخ وزعيم لكن هو أكبر منك، وما يصلح زوجا لي! ما أريده.

والد البنت اعتذر، الشيخ فهم أن شيبته هي سبب الرفض، فتوجه إلى قلبه يعاتبه:

«يا قلبِ ياآللّي بَهدلتني محاكيك، هذا الهوى يا شين كِلّه رزايا[٣٠٥]

عِقبَ الوجاهة صرت حوّف الصعاليك

أرْزمْ مع الديان حوفَ الرّذايا[٣٠٦]

أدوّرك يا قلب ما أنا أملاقيك بينَ الضلّوع أتلمّسك بحشايا[٣٠٧]

ما أحذا خيال التّرف هاللّي غدا بيك ما اشوف غير التّرف ما اشنعْ عمايا[٣٠٨]

---

(٣٠٥) أيها القلب الذي أهانتني حكاياتك، هذا الحب كله مصاعب ومصائب.

(٣٠٦) بعد الجاه العريض أصبحت مثل الصعاليك، ألزم الأرض في البراري كالبعير العاجز عن السير.

(٣٠٧) أبحث عنك يا قلبي فلا أجدك بين ضلوعي، فأتلمسك فلا أجدك في مكان.

(٣٠٨) لا أجد إلا خيال الجميلة الذي استبد بك، ولا أشاهد إلا تلك اللطيفة، ما أشنع العمى الذي حل بي.

خلّيت لما الشيب غطّى الصوانيك واطلقتْ رمحك يرتشف من ادمايا[٣٠٩]

والله لولا العيبِ لاقطع مراشيك وادعي ألحومَكْ ناثراتٍ شوايا[٣١٠]

يرد عليه قلبه قائلا:

لا اتعاتْبن يا شيخ الله يجازيكْ،
إنتَ السِّبب في كلِّ هذي الدّهايا[٣١١]

ما اتخبَرْ يومِ ان شفتها إوْ هي تِباريكْ،
يومَ الظعن ينخاكْ وانته معايا؟[٣١٢]

من يومها دِنيّاك تِبَدلت بيك،
سيفك بدخ طَلّقتني وابلايا[٣١٣]

من عقبها تِلُوم وأنا أساديكْ
إمساداة خشف الصيد بين الرعايا[٣١٤]

والله لولا الخوف أن يشمتوا بيكْ،
لافضح توالي هِرجتك والحكايا![٣١٥]

إمن أوشامها ميتين حبّة ما تِرْضيك
وش جرمتي صبّحت تَنقِرْ ورايا؟[٣١٦]

---

(٣٠٩) كنت غافلا عن الحب إلى أن جلل الشيب صابري، فأطلقت رمحك يلغ في دماء قلبي.
(٣١٠) أقسم بالله لولا العار من الانتحار لأمزقنك أيها القلب، وأحول قطعك للشواء.
(٣١١) لا تعاتبني أيها الشيخ، شدد الله عقابك، فأنت السبب في كل تلك البلايا.
(٣١٢) ألا تذكر يوم رأيتك وهي تسير إلى جانبك والظعن يستجير بك من الأعداء المهاجمين.
(٣١٣) من ذلك اليوم تبدلت دنياك، سيفك كلّ، وهجرتني، وأخذت تسير كما يحلو لك. وامضي.
(٣١٤) وأخذت تلومني، وأنا ألاطفك، كأنك الغزال المولود حديثا مع جماعة الظباء.
(٣١٥) أقسم بالله، لولا خوفي من شماتة الأعداء بك، لفضحت قصتك، وماوراءها من حكايات.
(٣١٦) من وشام شفتيها قطفت مائتي قبلة، ولم تكتف، فما جريمتي التي تلومني، وتقرعني عليها؟

ألشيب لون الثلج يوم أن يكازيك،

يوقَد النيران بين الحنايا،[٣١٧]

الشيب ما اظُنُّه شفيعا شفع بيك،

لن ابتليتْ ابصافيات الثنايا،[٣١٨]

اللّي يخلّن صاحي العقل يشديكْ،

يلوبْ بينَ المِدن وآيا القرايا[٣١٩]

ألشيب ما بُه عيب لا عاش شانيكْ،

هذا الهوى زينهْ إو ما به تهايا[٣٢٠]

الأنبيا حَبّون الله يهديك،

يحميك من قومِ إهروجه هذايا![٣٢١]

❀ ❀ ❀

---

(٣١٧) الشيب يشبه الثلج لا يقتل الحب، بل يزيده التهابا، كما يفعل الناس عند تساقط الثلج.

(٣١٨) الشيب ليس شفيعا لك، يوم أصبحت تحب جميلات الثنايا.

(٣١٩) اللواتي يجعلن متزن العقل سائحا بين المدن والقرى، كالذي أنت فيه!

(٣٢٠) الشيب ليس فيه عار إذا أحب صاحبه، لا عاش الذي يعيبك.

(٣٢١) فالأنبياء أحبوا هداك الله، وحماك من قوم كلامهم كله هذيان.

الباب الثاني

الفصل الأول : نمر يسافر إلى القدس ونابلس والخليل

الفصل الثاني : ابن هذال يعزي نمر.

الفصل الثالث : زواج (نمر) الثالث.

الفصل الرابع : إغارة تستولي على كل ما عند (نمر) ويسترد كل ما نهب.

الفصل الأول
نمر يسافر إلى (القدس) و(نابلس) و(الخليل)

قد سالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر!

صولة الأقدار!

بعد تلك السهرة الماتعة، التي تجلى فيها كرم (نمر)، وروايته الشعر، ومحبة الزعيم (ذياب)، وتقديره له، تناول عشاءه متأخرا، نام هانئ البال، وفي الصباح قدمت له (وضحا) القهوة والفطور، فذكر لها أنه مسافر إلى (القدس) و(نابلس) و(الخليل). أحست أن قلبها يضطرب، لكنها لم ترد أن تبدي له تشاؤما أو تطيرا، لأنه لا يؤمن بذلك، فقد أورد لها في المرة الأولى من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والأدب، ما جعلها تكف عن مصارحته بإحساساتها القلبية! كل ما قالت: «أرجو أن لا تطول الغيبة يا عين ابوي!»

أجاب: «أسأل الله أن لا يعرض لنا من الأمر ما يؤخر العودة! سافر، ودفع ما عليه من مطالبات في (القدس)، وزار صديقه (موسى طوقان) في نابلس، وعاد إلى عرب العدوان بسرعة، أفرحت قلب (وضحا)، لكنه تذكر أن عليه مطالبة في (الخليل) قبل عيد الأضحى، فصمم على الذهاب إلى (الخليل)، فتعلقت به (وضحا) ليؤجل سفره إلى ما بعد العيد، فقال لها: إنه لا يليق به أن يؤجل ذلك، ووعدها بأن يعود قبل العيد، ليقضي أيام العيد معها، سافر فعلا إلى الخليل، ودفع ما عليه من مطالبة، وقرر العودة، لكن أصدقاءه تعلقوا به ليقضي العيد بينهم، فصلاة العيد في المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي لا تفوّتان! ولكي ينفذ القدر تجاهل وعده لوضحا. لعلها لأول مرة.

موت وضحا

في أثناء غيابه هاجم العرب مرض يسمونه (ألوزْوارْ)، وهو مرض (الهواء الأصفر) الكوليرا - فكانت (وضحا) تسعف المصابين بما عندها من سكر وبعض الأشياء التي لا وجود لها عند العربان، فوقعت ضحية إنسانيتها. إذ لم يمهلها المرض، فلقيت ربها، وهي تردد اسم (نمر). علم الشيخ (ذياب) بموتها، فحزن عليها، مع أن العادات والتقاليد لا تسمح بالحزن على المرأة، فأرسل إلى (السلط) من يحضر لها جهاز الميت - الذي يُسميه البدو (زهبة الميّت). وبسبب بكاء (عقاب) على أمه تأخر الدفن. ويروى أنها نطقت ببيت شعر، وهي تلفظ أنفاسها:

وضحا غدت في غيبتك يا ابن عدوان[٣٢٢]
اعقاب او سارة اوادعنك يا حبيبي

المعنى. وديعتي عندك (عقاب، وسارة)، وضحا ماتت، وأنت غائب عنها يا ابن عدوان.

في مأثورات البدو: «كرامة الميّت دفنه»، ولما كفنت، وحاول نقالة النعش حملها، بكى (عقاب) بحرارة، وبكت الطفلة (سارة) التي يخاطبها (نمر) في إحدى قصائده. أخذت النادبات يندبنها، ومما قالت فيها إحداهن:

يـا فـاخـرة لا يـا نـقـيّـة ... ما اتعـللـوا فـيك عَـشِيّة[٣٢٣]
مـا طـوقـت مِـنـك حـرمـك! ... مرحومة يا (أم اعقاب) مرحومة[٣٢٤]

۩ ۩ ۩

---

(٣٢٢) وديعتي عندك (عقاب) و(سارة)، لا تفرط بهما يا حبيبي، أما وضحا فقد لقيت ربها، وأنت غائب!

(٣٢٣) و

(٣٢٤) أيتها الفقيدة التي يفتخر بك جنس النساء، أيتها النقية الأخلاق، البعيدة عن كل شبهة، لم تكن سيرتك مجالا لأحاديث الرجال الذين يكشفون عورات النساء المتبذلات، ولم تكوني سببا، في أن تخفض قريباتك رؤوسهن، وتغض أبصارهن خجلا من سلوكك، رحمك الله يا أم عقاب.

الشيخ (ذياب) قال: «ننتظر إلى الظهر، عسى (نمر) يلفي[٣٢٥]. وإن ما وصل، ندفنها. الله يرحمها كانت زينة للحي ما مثلها في الحريم!».

عند الظهر حُمل نعشها على جمل، وفيما الجنازة سائرة، وصل نمر، فشاهد النعش يميل على البعير، فأدرك أن إحساسه بالحزن وهو قادم من الخليل، وتوقف فرسه في الطريق. وتدفق دموعه بلا سبب، كان إنذاراً له بالحاسة السادسة، أجل أدرك أن بكاءه الذي لم يعرف له سببا، كان شعوراً بهول الفاجعة. تابع النعش، فلما ووريت في التراب، لم يقبل أن يعود إلى البيت، وأنشد أول قصيدة في رثاء (وضحا). قال لنا الشيخ الموقر (خلف الفهد النمر العدوان) في الشونة سنة ١٩٧٥م: أن (نمرا) شاهد نعش (وضحا)، وهو مقبل على العرب، وحضر دفنها، ورثاها بهذه القصيدة، التي هي أول مراثيه، التي خلدتها وخلدته[٣٢٦]:

سِرْ يا قَلم في كاغدٍ لي واسرع،	واكتبْ على ما اريد أن أفهمْ واسمع[٣٢٧]
إكتب تساليم أو تحايا واشْتِكِ	شكوى لليث لن نَخيْتَهْ يفزَع[٣٢٨]
نب السّلامْ سلام هايمْ مِغرم	غايبْ زمانا بالحبيب امولَع[٣٢٩]
هذي تحيّة امْفضّضة وامذهّبة وامعطّرة	بالدرّ والياقوت لَوْلو امْرَصّع[٣٣٠]

---

(٣٢٥) يلفي - في اللهجة الأردنية، يحضر. أما في اللغة فالفعل واوي، إذ يقال: لفا يلفو. ومعناها في اللغة قشر. أو يقولون: لفا اللحم عن العظم قشره، أما في اللهجة الأردنية فالفعل يائي لازم وهو يعني حضر يحضر. وفي اللغة لفا فلانا حقه، بخسه حقه، واللفا التراب والخسيس، الحقير - يقال: رضي فلان عن الوفاء باللفاء، أي رضي من حقه الوافر بالقليل.

(٣٢٦) سر يا قلم أولى مراثي (نمر)، بإجماع ثقات الرواة، ولا سيما الشيخ (خلف الفهد النمر العدوان).

(٣٢٧) أيها القلم سر في الكاغد - الكلمة فارسية عربها الأجداد، ومعناها الورق - اكتب مسرعا، كل ما أريد أن أفهمه وأسمعه.

(٣٢٨) أكتب تحيات وسلامات وشكوى، أبثها لمن هو في شمم الأسد، إذا استجرت به أو طلبت مساعدته، ينبري لمساعدتي بسرعة. وفي اللغة من معانيها الإغاثة والنصرة. يقال: فزع للرجل، أغاثه.

(٣٢٩) سلم سلاما خاصا بصوت مرتفع، سلام محب هائم مولع بالحبيب، غائب عنه زمنا طويلا.

(٣٣٠) تحية مزينة بالفضة، ومذهبة، ومضمخة بالعطر، مرصعة بالدر والياقوت واللؤلؤ.

تهدى المنْ بالّلطف زانَه خالْقَهْ بارياح هَنْديّة سريعا تسرع[٣٣١]
تهدى المن بسمى سمي (امحمّد) إلمصطفى فرْخ الجزيل اللّوذعي[٣٣٢]
يا مصطفى لنك ترى الّلي جرى ضاق الفلا يا صاحبي كيف اصنع[٣٣٣]
ودي امن اللهِ الكريم بحكمِته بَلْكي تمْحيل - لي ابشيٌ ينفع[٣٣٤]

* * *

يا زارع البستان هانا دمنةٍ دونك على مجرى ادموعي وازرع[٣٣٥]
إزرع لنا دِفلى إو حنظَل عَلقم حَرْمل على الأيام أذوْب واجرع[٣٣٦]
يا رب يا رحمان وآني قاصدك مِتوجْهك يا رَبّنا بالأربع[٣٣٧]
(عيسى) اوْ (موسى) والخليل مع النبي أربع ملوكِ اكرامْ فيهم - أدعي[٣٣٨]
تَجعلْ منازلْ صاحبي في جَنتك، بجنة الفردوس لينا تجمع[٣٣٩]
أعلّمُه واخبّره باللّي جرى، يانوجدي وانرجْفي، وانروّعي[٣٤٠]

---

(٣٣١) تهدى تحيتي هذه إلى من زانه الله باللطف، ولتوصلها إليه بسرعة عجيبة الرياح الهندية - يعني الرياح الجنوبية، لأنها في رأيهم تحمل معها الغيث.
(٣٣٢) أهديها إلى الصديق، الذي يدعى بأحد أسماء (محمد) عليه السلام. (مصطفى) ابن الرجل العظيم اللامع الذكاء.
(٣٣٣) يا (مصطفى)، لو أنك تشاهد الذي أصابني، فقد ضاقت بي الدنيا على رحبها، ولست أدري ماذا أصنع وكيف أتصرف؟
(٣٣٤) أريد من الباري الكريم، وأتضرع إليه، لعله بحكمته السامية يدبر لي شيئا يفيدني!
(٣٣٥) يا زارع البستان، هنا مكان خصب يصلح للزراعة، وهو مجرى دموعي، فأنا أقدمه لك. الدمنة في اللهجة الأردنية تعني المكان الخصب، وهي في اللغة آثار الدار، بقية الماء في الحوض، المزبلة، وما اختلط من البعر والطين عند الحوض.
(٣٣٦) ازرع من هذه الأصناف المرة: أ- الدفلى، ب- الحنظل، جـ- العلقم، د- الحرمل. اتخذ منها شرابي مدى الحياة، أذيب منها مزيجا، وأتجرعه.
(٣٣٧) يا إلهي الرحيم، ألوذ بك، وأطلب منك بشفاعة هؤلاء الأربعة.
(٣٣٨) المسيح، عيسى وموسى وإبراهيم الخليل، مع النبي الكريم (محمد)، إنهم أربعة ملوك عظماء أطلب شفاعتهم وكرامتهم عندك.
(٣٣٩) تجعل منازل حبيبي في سمائك، وتجمعنا معا في جنة الفردوس.
(٣٤٠) أخبر هذا الحبيب بما أصابني بعده. أخبره بحزني - وجدي - بالرعدة التي لازمتني، بكائي سوء حالي وانكساري.

لا سهر وأناجي حارسا لي بالدجى، ... نوّاخْ في برد النعيم النعنع[٣٤١]

عدي ابدجداج يموجْ أوْ يلتطمْ، ... والا ابداجْ امطلسمْ وامبرقع[٣٤٢]

الصبر لا تطريه لي لا ينعرضْ، ... ما أزولْ شوقي نايْمةْ بالمضجع[٣٤٣]

متخفضة، متحفّظة، مِتورِّعه، ... يظلّ دمعي دايما هُوْ ينبع[٣٤٤]

خودِ جِرَّة وكن نبهتها مِتلطّفا، ... سكرانة سهْبانة هي غافية عبث تَعي[٣٤٥]

يا اسفتي يا حسفتي عَ ونستي، ... أبهى دليلي خانته - ما يسمع[٣٤٦]

إمعيف أنا الدّنيا إوْ شوفي لأهلها، ... مِنْ مِلك ربّي زاهد مِتزعزع[٣٤٧]

لما عرضت رواية الشيخ (خلف الفهد النمر العدوان)، وجدتها مطابقة لما عندي من أوراق، ورثتها عن شقيقي المرحوم (عبد الأحد) المتوفى سنة ١٩١٧م في (مادبا).

نمر يجاور قبر وضحا

أجمع الرواة على أن (نمرا)، جاور عند قبر (وضحا) مُضربا عن الطعام، ليس له إلا القهوة والغليون، حتى خشيت عليه القبيلة أن يصاب بلوثة. فذهب إليه نخبة من الوجهاء من رجالات العشيرة، وأقنعوه أن الاحتجاج على قضاء الله وقدره، لا يليق برجل عاقل مثله، يقرأ القرآن الحكيم.

---

(٣٤١) لأسهر وأناجي حارسي في السماء، (الحبيبة) التي هي من ملائكة الله، تنعم في رفاهية النعيم السمائي المقيم.

(٣٤٢) كأنني في ظلام يشبه البحر، تتلاطم أمواجه، أو في طلاسم داجية محجبة بالبراقع.

(٣٤٣) إياك وأن تذكر لي الصبر أو تعرضه علي، ما دامت الحبيبة راقدة في ضريحها!

(٣٤٤) متواضعة، مصونة في كل أمر من أمورها، شديدة الورع، إذا ذكرتها ظل دمعي يتدفق.

(٣٤٥) حزني عميق على شابة لطيفة، نبهتهابلطف، فوجدتها سكرى من لطفها، ساهية عن كل شيء، في إغفاءة عميقة لم تقبل أن تستيقظ.

(٣٤٦) يا أسفي، يا لوعتي على مؤنستي، لقد خذلني دليلي، قاتله الله، لا يسمع. استعمل كلمة (أبهى)، بمعنى خذلني، وهي في اللغة تعني الهجر، يقال أبهى الرجل البيت - أي تركه غيرمسكون.

(٣٤٧) زاهد أنا في الدنيا كاره لرؤية أهلها، منصرفة نفسي عن كل ملك إلهي، لا قرار لي.

فتذكر الآية ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ سورة الزمر الآية ٣٠ وكأنه لأول مرة يسمع هذه الآية الكريمة. لقد قالوا له: «إنه لا يليق به أن يستقبل الذين يعزونه على القبر، وإن عليه أن يستقبلهم في شقّه، فاقتنع على مضض، وعاد إلى البيت، ونظم أبياتا ينعى بها (وضحا) إلى صديقه (إجديع بن هذال). وبعض إخواننا من الباحثين السعوديين يسمونه (إجديع بن قبلان)، وسمعنا من يسميه (إجديع بن محسن) ولعل (نمرا) كان له صديقان:

١ - إجديع بن هذال.

٢ - واجديع بن قبلان

وقرأت في مخطوطة أن له صديقا اسمه إجديع بن محسن. لكن الذي ثبت عندي، أن صديقه (إجديع بن هذال) هو الذي عزاه واستفتاه.

* * *

لما عزاه الشيخ (ذياب العدوان)، قال له: «الله يعوض عليك!».

أجاب: «لو ودّه يعوض، ما خذا (وضحا)، من وين وده يعوض يا ابو علي، (وضحا) ما مثلها في الحريم».

قال هذا لـ (ذياب)، وتوجه إلى (رضوان) يناجيه بقصيدة، وصل إلينا منها هذه الأبيات:

(رضوان) ما عينت (وضحا) بالسما؟
لصار ما هي بالدّيار او لا تعي![348]

---

(٣٤٨) يا (رضوان) يا بواب الجنة، أما شاهدت (وضحا) في السماء، ما دامت ليست في الديار، ولا تسمع الصوت عندما أصرخ وأناديها.

(رضوان) (وضحا) زينى، بين الملا،

بمثلها يوم القيامة يشفع[٣٤٩]

ويروى بين النسا:

(رضوان) أبغي نظرة من وجهها

من عقبها مامن حسايف لوفقدت العين وأيّ المسمع[٣٥٠]

يهنيك يا (رضوان) (وضحا) زايرة،

يَسّر لها باللّه القَصر الابدع[٣٥١]

واعل مراتبها اوهل إيوجهها إذكر لها حزني اوْ فايض مدمعي[٣٥٢]

اذكر لها اهمومي بعدها،

ما اشوف بالدنيا شيا ينفع[٣٥٣]

* * *

ثم كتب هذه الأبيات، وبعث بها إلى صديقه (إجديع ابن هذال) في الديار السورية.

يا (اجديع) يا مشكاي القلب حارا لا اتلومني وأتقُول إن الابكا عارْ[٣٥٤]

وسط الحشا يا (اجديع) كن شَبَّ نارا،

والموت عدّه طالبا عندنا ثار![٣٥٥]

---

(٣٤٩) (رضوان) إن (وضحا) زينة للبشرية، بمثلها تطلب الشفاعة يوم القيامة.

(٣٥٠) يا (رضوان) أرغب في لمحة من وجهها، وبعدها لا آسف على شيء، لو فقدت السمع والبصر.

(٣٥١) هنيئا لك يا (رضوان)، (وضحا) زائرة لك، بالله عليك هيّء لها أبدع القصور.

(٣٥٢) وارفع قدرها ورحب بها، واذكر لها حزني وتدفق مدامعي.

(٣٥٣) اذكر لها همومي بعد رحيلها، لم أعد أرى في الدنيا شيئا نافعا ذا قيمة.

(٣٥٤) يا (اجديع) الذي إليه أشكو همومي، لا تلمني، ولا تقل لي أن البكاء عار.

(٣٥٥) يا (اجديع) التهبت في قلبي نيران، والموت - قاتله الله - كأنه يطلب ثأرا له عندي.

مـن دمـع عـيـنـي كـن غـديـنـا سـكـارى،

الله يجازِي طارشَ الموت غدّار[٣٥٦]

(وضـحـا) تـمـيـز بـيـن كـل الـعـذارى

يا حيف (أم عقاب) تقفي اعن الدار![٣٥٧]

وأتبع أبياته تلك هذه القصيدة:

سـار الـقـلـم مـن عـبّـة الـحـبـر شـرب

كـن خـالـطـه دمـعـي فـوق الاكـتـاب[٣٥٨]

أكـتـب سـلامـا مـع بـلـى كـن طـفـر بـي،

سـلام مـثـل الـشـهـد بـالـشـمـع ذاب[٣٥٩]

أوصـيـك يـا راس الـقـلـم لا تـغـر بـي،

أشـكـي أنـا لاجـديـع شـبـا جـرى بـي[٣٦٠]

يا (اجديع) يا مشكاي باق الدهر بي،

أشـكـي أنـا لاجـديـع شـبـا جـرى بـي[٣٦١]

ويروى أشكي أنا لاجديع شدة عذابي.

ويروى باقت لياليها مع أيامها بي!

---

(٣٥٦) من دموع عيني، قد أضحيت عادم الفكر لأني سكران، قاتل الله رسول الموت، إنه غدار.

(٣٥٧) (وضحا) تمتاز عن كل النساء، يا للخسارة أم عقاب تغادر الدار.

(٣٥٨) سار القلم شاربا من المحبرة، وقد خالط دمعي الحبر فوق الرسالة.

(٣٥٩) اكتب سلاما مع لوعة وكآبة قفزتا بي - يريد استبدتا بي - سلامي مثل الشهد الذي أذيب به شمعه.

(٣٦٠) أوصيك أيها القلم لا تخدعني، فأنا أشكو إلى (اجديع) أمرا أصابني.

(٣٦١) يا اجديع، يا من إليه أبث شكواي، لقد خدعني الدهر والأيام والليالي، كلها غدرتني.

سود الليالي مجهدات أبحَر بي، افراق الغضي يا نور عيني عذابي[٣٦٢]

دلى علي ابمخلبُه واستطر بي، بين الثريا والكواكب رمى بي،[٣٦٣]

بمثل خيط العنكبوت انحدر بي، يا اجديع بغابة حضوضي رمى بي![٣٦٤]

بليلة البلوى ما أحدّ شرقا إو غرب،

ثم اعتمت دنياي والنور غاب،[٣٦٥]

حام الديار او ثم رد انحدر بي،

ما ادري يودني على آيات باب[٣٦٦]

رماني بين الموج إو طاف البحر بي

بين الرزايا السود لا يا عذابي![٣٦٧]

من عقب ذا يا راكب اللي تهرب،

تليعة تقطعُ بعيد الروابي![٣٦٨]

ناضت أمن (البلقا) تجعل البعد قرب

دربه علي (الزرقا) أو (سايح اذياب)[٣٦٩]

(حوران) ع اليمنى إو دع (الشام) غرب

بـ(بحمص) إو (حماة) تذكر منازل احبابي[٣٧٠]

---

(٣٦٢) الليالي السود، تبذل الجهد في محاربتي، وفراق حبيبي نور عيني، هو عذابي.

(٣٦٣) دلى علي البين مخالبه، فانتشاني، وطار بي، ورماني بين الكواكب والثريا.

(٣٦٤) انحدر بي وأنا معلق بمثل خيط العنكبوت، والقاني في غابة حضوضي.

(٣٦٥) في ليلة المصيبة، لم أكن أفرق بين مشرق ومغرب، ثم أظلمت دنياي وغاب النور.

(٣٦٦) حام الديار كلها، ثم عاد، وانحدر بي، لست أدري إلى أية جهة، يرسلني.

(٣٦٧) ألقاني بين الأمواج، وطاف البحر بي بين المصائب السود بالعذابي.

(٣٦٨) بعد هذا كله، يا راكب الراحلة التي ليس هناك راحلة تلحقها، ضخمة تقطع المرتفعات البعيدة.

(٣٦٩) نهضت الراحلة من البلقاء، تقرب البعيد لسرعتها، وطريقها على الزرقاء وسايح ذياب.

(٣٧٠) حوران على يمينها، ودع دمشق غربا، ففي (حمص) وفي (حماة) يذكرون منازل أحبابي.

جابوا طبيبا جسني وافتكر بي،

قلّب إيدَيهْ إو ما عطاني جواب[٣٧١]

متين جرح يا وديدي ذكر بيْ،

ما هقوتي أبرا اليوم الإحساب[٣٧٢]

إمن الضيم أنا عضّيت يا اخوي نابي،

لما غرس بشفتي واعذابي[٣٧٣]

طفلا صغيراً يا وليفي شبط بي،

يصيح باتلى الليل يا (نمر) يا بي![٣٧٤]

من لامني يبلاه إيجن أو حرب

بفتح عليه الشّر ألفين باب،[٣٧٥]

نلاحظ أن ما اختاره الأستاذ (سعد غزاي الشمري) - من جدة - المملكة العربية السعودية - من هذه القصيدة، ونشره في مجلة الحرس الوطني الشهيرة، عددها البارز في جمادي الآخرة ١٤١٠هـ يناير ١٩٩٠م. ونشر في الصفحة الـ ٧٨ و ٧٩، يختلف عما في يدنا، وكل ما أثبتنا هو رواية رواة أرادنة إثبات. فإليك ما اختاره صديقنا:

---

(٣٧١) احضروا طبيبا، جس نبضي، وفكر في مرضي، ونفض يديه مني، ولم يعطني جوابا.
(٣٧٢) ذكر فيّ مرضا، ما أعتقد أنني أبرأ منه إلى يوم القيامة إنه ماثنا جرح.
(٣٧٣) عضضت شفتي بسبب الضيم الذي حل بي، إلى أن غرست أسناني بشفتي، يا لشدة عذابي
(٣٧٤) مشكلتي يا صديقي هذا الطفل الصغير، الذي لف يديه على عنقي، يبكي كل الليل، ويصرخ يا نمر يا أبي.
(٣٧٥) الذي يلومني على شكواي، أسأل الله، أن يبتليه بأن يفتح عليه ألفي باب من الشر.

يا (اجديع) ابن (قبلان خان الدهر بي)

إو خانت لياليها مع أيامها بي[٣٧٦]

شوكٍ وعاقولٍ وقطب بدر بي،

تطلمست ظلماه، والنور غابي[٣٧٧]

ركبت فوق الموج، فطاف البحر بي

من امصافق الامواج لا واعذابي[٣٧٨]

ركبت أنا فوق الرقعي إو هزم بي،

وتمنيت أنقل قربتي والزهابي،[٣٧٩]

ورد عليه الشيخ (اجديع ابن قبلان)، يرحمه الله، بقصيدة طويلة منها:

يا (نمر) من (ظبم) - كذا - الولي ما أنت - مظيوم - كذا

اصبر أو عالج ضامرك، يا أبو سلطان![٣٨٠]

الصبر زين أو ينفرج كلّ مكتوم،

كم واحدٍ مثلك توطته الازمان![٣٨١]

الحلم يجعل صاحب العقل مهموم،

طيفَ الليالي ما بها غير نقصان![٣٨٢]

لا عاد-لعاد- عند الناس يا نمر محشوم،

دور عوضها عند حضر أويدْوان[٣٨٣]

(٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩) سبق تفسير هذه الأبيات لا حاجة بنا إلى إعادة تفسيرها.

(٣٨٠) يا «نمر»، إن الذي أصابك من قضاء الله ليس جورا، فعالج أحزان قلبك بالصبر، يا أبا سلطان.

(٣٨١) الصبر جميل، ويفرج هم وحزن كل قلب، فما أكثر الذين وطأهم الدهر مثلك.

(٣٨٢) التجلد يجعل العاقل مهموما. ومصائب الدهر تصغر على الأيام.

(٣٨٣) ما دمت محترما عند الناس، فاطلب عوضا عن وضحا عند الحضر والبدو.

وقد نشرنا ردا على مقال الأستاذ الشمري في العدد التالي من المجلة نفسها. صححنا ما وقع في المقال من أوهام، ولا سيما قوله: «إن (نمر العدوان تزوج بعد موت (وضحا) بتسعين امرأة، كل واحدة منهن اسمها (وضحا)، لكنه لم يحمد سيرة أية واحدة منهن!

***

الفصـل الثـاني
ابن هـذال يعـزّي نـمرّ

ﷺ وقد رد عليه معزيًا - جديع ابن هذال - وسمي في السعودية جديع ابن قبلان، وسماه بعض الرواة جديع ابن محسن.

يا (نمر) ابن عدوان حامي الديارا،

علما لفانا ضعضع العقل وافكار[٣٨٤]

يا (نمر) خان الله ذاك النهارا

اللّي دعاك امجاورَ القبر واحجار[٣٨٥]

علما لفانا كن قدح له شرارا

باقصى ضميري صرت حاير إو محتار[٣٨٦]

ما ألوم دمعك لو تدفق أنهارا،

ما ألوم قلبك تالي الليل لو طار[٣٨٧]

إصبر على تصريف والي الاقدارا،

ما دام حكم الله والي الملا صار[٣٨٨]

يحكم اسلام الله هود او نصارى،

ألا نبيا ماتوا سواليف واخبار[٣٨٩]

وصلت أبيات (جديع) إلى (نمر)، جرها على الربابة، وردد البيتين الأخيرين مرارا:

---

(٣٨٤) يا نمر يا ابن عدوان الذي يحمي الديار. إن النعي الذي وصل إلينا، جعل عقلنا وأفكارنا مضطربة.
(٣٨٥) قاتل الله ذاك النهار الذي جعلك مجاورا للقبر وناصبه.
(٣٨٦) النعي الذي وصل إلي، ألهب قلبي، فأضحيت حائرا.
(٣٨٧) لا ألوم دموعك لو تدفقت أنهارا، ولا ألوم قلبك لو طار حزنا.
(٣٨٨) اصبر على أقدار الله ما دام حكم القدر قد نفذ.
(٣٨٩) فحكم الله جار على الناس جميعا، حتى الأنبياء أضحت أخبارهم، تروى بعد موتهم.

إصبر على تصريف والي الأقدارا،

ما دام حكم الله، والي الملا صار!

يحكم اسلام الله (هُود) أو نصارى

ألا نبيا صاروا سواليف واخبار!

ويروى: يحكم اعباد الله ما به اخيارا

الانبيا صاروا سواليف واخبار!

نهض، غسل وجهه، من دموع بللت لحيته، توضأ، وصلى، طلب طعاما بعد صيام أيام، فأخذ جماعته يسهرون معه، وفي إحدى السهرات أقنعوه وهم يرون ذهوله، اقنعوه أن يتزوج ب (وطفا) شقيقة (وضحا) لعلها تعالج جرح قلبه العميق، بعد أيام سارت الجاهة إلى عرب القضاة - من بني صخر - إلى بيت الشيخ (فلاح السبيلة)، احتفى الشيخ (فلاح) بالجاهة، ولم يحتج الأمر إلى أكثر من إبداء الرغبة في أن تحل (وطفا) مكان المرحومة (وضحا)، لترعى أمور (نمر). استشار الشيخ (فلاح) أم (وضحا) و(وطفا)، فلم يجد إلا السرور في وجه كل منهما. لم تمض أيام إلا والقطار يزف (وطفا) إلى (نمر). فوجد فيها أول الأمر شيئا من التعزية، لكن كما يقول الأرادنة: «مساطب العرس ملس[*] - أي مصاطب العرس ممهدة وبعد الأيام الأول تأتي المتاعب. وبعد بضعة أشهر، أخذ يلاحظ أن (وطفا) على الرغم من أنها أجمل من (وضحا) جسما، لكنها من ناحية السلوك تختلف اختلافا كليا، فأخذ يوازن بينهما، فيخرج دائما بنتائج سلبية.

* المصاطب جمع مصطبة - وهي مكان عال في الدار للخلوة، وفي اللغة مكان ممهد مرتفع قليلا، يقعد فيه الفقراء والسائلون - خان الغرباء - ومكان سندان الحداد. مجمل المثل، إن أيام العرس الأولى هنيئة وبعدها تجيء المتاعب.

صفات وضحا

أ - (وضحا) لم تعبس منذ أن عرفها، إلى أن لقيت ربها.

ب - لم يكن لها هم سوى إسعاد (نمر)، أو على الأصح كان (نمر) هو عالمها الذي تعيش من أجله.

جـ - لم يجد (وضحا) - مهما تطل سهرته - نائمة، فهي تستقبله بابتسامة مشرقة، تنم على حب متجدد.

د - كانت تنهض قبله - من غير أن يشعر - مع أنه هو مشهور بأنه ينام بعد الجميع، وينهض قبل الجميع، فقد كانت تنهض تعد له فطوره وقهوته.

هـ - (وضحا) كانت بعيدة عن الثرثرة، لا تتدخل في أمور الناس!!

و - هادئة خفيضة الصوت تحسن الإصغاء.

ز - إذا قدم من سفر كانت أول مستقبليه، وتقبل غرة فرسه إجلالا له.

ح - تناديه بأحب الأسماء إليه وإليها (يا ابو عقاب) - حتى قبل أن يولد عقاب، وإذا خاطبته قالت: «يا عين ابوي».

ط - لم توله ظهرها لدى انصرافها عنه إجلالا له.

ك - ميزات امتازت بها من كل نساء العشيرة.

من أجل هذا ميزها في المعاملة، وثار من أجلها على العادات والتقاليد. التي ما كانت تسمح للزوجة بأن تسمي زوجها باسمه أو بكنيته أو لقبه، فقد أدركنا الزمن الذي ما كان يسمح فيه - حتى عند الحضر من مسلمين ونصارى -أن تنادي زوجها، حتى وهي واقفة أمامه بغير قولها:

أ - يا هاضا، ياهذا، يا هضاك، يا ذاك، يا إنته، يا انت! ياهوه، ياهو!

أما (نمر) فإنه أعفاها من كل ذلك، وكان إذا ذكر (وضحا)، ذكرها بكل احترام، على نقيض ما كان مألوفا من احتقار المرأة، فقد كان الرجل إذا ذكر زوجته كنى عنها بقوله:

١ - إمرتي، الله يكرمك من هالطاري.

٢ - الحرمة، الله لا يحرمك لذة الدنيا.

٣ - المرة، حيشاك، الله لا يمرمر لك ريق.

٤ - العورة، الله لا يعور لك عين.

٥ - أم الاعيال، الله لا يعيل لك أمر.

٦ - الأنثى، الله لا ينثي لك بخت.

٧ - المستورة، الله يستر ولاياك.

٨ - الولية، الله لا يولي عليك ظالم.

كل هذا بعد أن تضحي زوجة. أما الأم فهي مقدسة ما دونها دون ولا شيا يكون، وإذا كانت أختا فهي مجال فخر، فإذا ضيم الأردني تذكر أخته قائلا لحد[٤٨٨] أنا أخو فلانة.

ليس هذا عند البدو والفلاحين، بل عند أهل مدن محترمة، كان الأمر أشد، حيث ذكر الأستاذ (محمد جميل بيهم)، في كتابه النفيس جدا (المرأة في حضارة العرب، والعرب في تاريخ المرأة) ما يلي: إنه لم يكن يسمح، بأن ينقش اسم امرأة على ضريحها، وأن التعزية في الزوجة كانت بهذا اللفظ (فراش جديد)، ولم يكن يُهْتَمُّ بمرض المرأة أو بعلاجها. وأذكر أني واجهت نقدا في (مادبا) سنة ١٩٢٣م، يوم خرجت مع عروسي -يرحمها الله- للنزهة وكان تعليق أهل الحي، يوم حملت ابني وعمره شهران ما حرفه: «المعلم روكس تمدّن، لبس بذلة، إو وده يركب النسوان على اظهورنا!».

نظرتهم إلى المرأة و(وطفا) نمر!

ذكر الأستاذ (بيهم): أنه لما أرد المغفور له الملك (فيصل الأول)، أن يعني بتعليم الإناث، سارت في بغداد تظاهرة شعارها: «الموت ولا المدرسة»، ولما أرادت أخت الشاعر المشهور «الزهاوي» أن تنشئ ناديا للمرأة، حطم المتظاهرون اللافتة، قائلين: «متى سمح للمرأة أن تظهر!» راجع المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة ص٣١٣، ص٣١٤، ص٣١٥.

نعود إلى نمر بعد أن أبعدنا أسلوب الجاحظ عنه، فنقول: »إن (نمر) لم يجد في (وطفا) الصفات التي كانت في (وضحا)، وأشد ما كان يثيره، أنه كان عندما يعود من السهرة في الشق، يجدها نائمة. بخلاف (وضحا)، وتذكر كتابا جاء من صديق، فأجابه بهذه القصيدة التي خطر بباله أن يجر بعض أبياتها على الربابة:

حي الاكتاب إو حي من بيه ناجين،

تحبه ألفين وافي عددها![٣٩٠]

حيه قدر ما لاح برق أو بدا غين،

حيه عدد ما لاح برق أو مطرها[٣٩١]

حي الصديق اللي حديثه يسلين

والله ما تلقى عندي فردها[٣٩٢]

والله ثم والله دينا بأثر دين،

حياة من هو بالشيابر لكدها[٣٩٣]

---

(٣٩٠) تحية للرسالة التي يناجي بها صديقي، أحييه ألفي تحية كاملة العدد.

(٣٩١) حيه مقدار لمعان البرق والغيوم، والغيوم التي يصحبها البرق والغيث.

(٣٩٢) تحية للصديق الذي يسليني كلامه، أقسم يا صديقي أن (وضحا) فريدة بين النساء.

(٣٩٣) أقسم بالله مرارا وأقسم بحياة كل بطل، يهمز فرسه بالمهماز.

لو من (حلب) و(الشام) و(الهند) و(الصين)

لا بلاد (مصر) والصعيد إو بلدها[٣٩٤]

توقف انساها بالزخارف مزايين

يا حاج (وضحا) بَسّ توقف وحدها[٣٩٥]

ما ناخذ إلا مهجة الروح والعين

لو غطغطت إعيونها برمدها[٣٩٦]

بيها وصايف نايفات على الزّين،

بيها خصايل ما حصبنا عددها[٣٩٧]

يا (اعقاب) يا ابوي أمك غدت وين

غطروفة يا ابوي ترضع نهدها![٣٩٨]

حظي دفنته في (زيارات نمْرين)

حد السهل متعلقا بسندها![٣٩٩]

❖ ❖ ❖

لا ناطقت يا حاج أقصى ولا ادنين،

إو لا وسوس الشيطان جوى جسدها[٤٠٠]

---

(٣٩٤) لو أنهم جمعوا لي النساء من (حلب) ومن (دمشق) ومن (الهند) و(الصين) ومن ديار مصر والصعيد، نساء كل هذه الديار.

(٣٩٥) لو وقفت نساء جميع هذه الديار مزينات بكل الزخارف والحلي، ووقفت (وضحا) وحدها يا سيد الحاج.

(٣٩٦) لم أختر سوى (وضحا) دم الروح والعين، لو أنها رمداء تكاد تكون كفيفة البصر.

(٣٩٧) لها أوصاف، تتفوق على الجمال، لها فضائل وخصال، لا يمكن عدها أو إخفاؤها.

(٣٩٨) يا عقاب يا ولدي، أمك ماتت، تلك اللطيفة التي كنت ترضع ثديها.

(٣٩٩) حظي دفنته في مرتفعات (نمرين)، حيث يتصل السهل بالوعر.

(٤٠٠) يا حاج لم تترخص مع الأقارب ولامع الأباعد، ولا وسوس الشيطان في قلبها.

جتني عطا، ما سقت بيبها مثامين،

إو ما يوم على الاجناب غنت ابيدها[٤٠١]

إو لا ناطقت غطريف عن منطق العين

أولا يوم ع الجيران يظهر نكدها[٤٠٢]

يروى- الجارات:

من روس قوم بالمواقف سدودين

من وسط سرَبة كلّ من جا حمدها[٤٠٣]

لن شافتن زعلان والله تسليّن

مثل الشفوق اللي تهله ولَدها[٤٠٤]

يروى:

---

(٤٠١) جاءتني هبة، لم أفاصل على سياقها - كما هي العادة - لكرامتها، والمكافأة التي قدمتها عنها هي خمس وثمانون ناقة، منها الأبكار التي لم تلد، ومنها الحلايب التي تتبعها حيرانها، وهناك رواية تقول:

ما سقت بيبها غير مية أو تسعين   معهن اعبية او عبد يرعى جلدها

أي ما دفعت سياقا لها سوى مائة وتسعين نعجة، ومعهن فرس مسماة من سلالة العبيات، وعبد يرعى الَجلَدْ (ألف ولام ساكنة وجيم مفتوحة ولام مفتوحة ودال ساكنة) ومعناها إناث النعاج التي لم تلد، أما الحلائب فيقال لها الرغث.. كل الذين عرضوا لحياة المرحوم نمر العدوان، لم يعرفوا تفسير هذين البيتين، لأنهم يجهلون العادات والتقاليد، لأن ديارنا يوم تديرتها (كندة)، غالت في مهور بناتها، إذ لم تزوج كندية بأقل من مائة من الإبل، وقد يصل مهر بنت الزعيم إلى الألف، صار الزعماء عندنا يوم يزوجون بناتهم يقولون: «تراها جتك عطية ما من وراها جزية» فيعلم العريس أنه يجب أن يقدم مهرا كريما. وهذا معنى قول (نمر) جتني عطا، فقدم هو مقابل هذا التكريم خمسا وثمانين ناقة. وفي رواية قدم مائة وتسعين نعجة (رغثا) حلايب غير الجلد وفرسا من سلالة العبيات وعبدا.

(٤٠٣) من ذؤابة قوم لهم وزنهم في المواقف الحرجة، من صفوة الصفوة وكل من جاء مدحها.

(٤٠٤) إذا رأتني متألما، تسليني، كأنها الأم الشفيقة التي تلاطف طفلها الرضيع.

إن شافتن زعلان قامت ترضين ما

مثلها لو درت بالهند والصين، الحظ الأنثر سَطْ (نمر) أو فقدها

ما مثلها بـ(الهند) و(السند) و(الصين)

يا بلاد جوى كل مِن جا حمدها[٤٠٥]

يا حيف ع أمّ اعقاب ياسين ياسين،

يا حيف وان الدود يأكل جسدها[٤٠٦]

ويروى:

يا للخسارة الدود يأكل جسدها!

* * *

سمعت (وطفا) القصيدة، فأحست بأن الأرض ضاقت بها، وتمنت لو أنها ماتت، قبل أن تسمع مثل هذا التعرض السافر بها. فنهضت من فراشها غضبى، لكنها سيطرت على أعصابها، وتوجهت نحو (نمر) تعاتبه: «أبو عقاب وش اللي تقول؟ أم عقاب - يرحمها الله - نادرة بالحريم، هذا صحيح، إو هي إختي، لكن أنا أزين منها، وأصبى منها، لكن الله ما خلقني مثلها، ما أعرف أداري ولا أماري[٤٠٧]، ما أريد أن أسمع كل يوم سولافة جديدة، إن كنت تحس أنك مغلوب شرع الله وسيع، طلقني إو لا تظل كل يوم تنقر ابراسي، والبدو يقولون.

---

(٤٠٥) ليس هناك شبيهة بها، لو أنك طوفت في الهند وفي الصين، الحظ البائس ضرب نمرا على أم رأسه، فاغتالها.

(٤٠٦) يا للخسارة لفقد أم عقاب يا للحزن أن الدود يأكل جسدها.

● ويروى هذا البيت على هذا الوجه:

جتني عطا ما سقت بيها مثامين بنت الحمولة كل من جا حمدها

ما سقت بها غير خمس أو ثمانين بعضه ابكار إو بعض يدرج ولدها

(٤٠٧) لا أعرف ألاطف، ولا أتملق.

باعـون مـا بـاعـون، شـرون مـا شـروا

مـا غـلـب إلا غـلـبـهـم بـالـحـلايـل[408]

يا (أبو عقاب) اذكر الله، أنا ما خطبتك إو لا طلبتك، ولا تعللت معك، إو يوم الجاهة لفت، شاورني أبوي وشاورتني أمي. قلت: «هذا شيخ مشهور ما مثله في الرجال، دلل (وضحا) لا بد أنه يدللني، إن كان ما هو مشاني مشان ذكر (وضحا). واليوم أشوف (نمر) تبدل، يريد كل الحريم (وضحا). أو هو يدري إن الله ما خلق بالدنيا اثنين يشبه الواحد الثاني، أصابعك بايدك كل واحد له شكل، طلق يا (ابو عقاب)، لا تجعل حياتك مرة، ولا تجعل حياتي مرة، ترى ما في الحياة شيء يضيم المرة مثل حميد حرمة عندها، بالأخص حميد الحرمة الاولة عند الثانية - وبكت بحرارة، طلق يا ابو عقاب، ترى النفس طابت من عشرتك، أقول هذا، وأنا أدري إنك كام كل شوفات الرجال الزينة ومعانيهم الطيبة!»

تنبه (نمر) وشعر بشيء من الانسحاق فقال: «لكن أنا حمدت أختك، لم أمدح إمرأة أجنبيه، أنا مدحت أختك (وضحا). أجابت (وطفا): «أنا ما اكل التبن يا ابو عقاب، ولا أعلف العلف، أنت مدحت أختي، وهذا ذم

---

(٤٠٨) باع الناس واشتروا كثيرا، وغلب بعضهم، لكن أشنع غلب، هو الغلب في اختيار الزوجات اختيارا مخففا.

أ - أثبت هذا الحديث باللهجة البدوية للأمانة العلمية.

ب - لفت - جاءت، الماضي لفى المضارع يلفي - الأمر إلف.

ج - مشاني - من أجلي، والأصل من أجل شأني.

د - يضيم، يقهر، يذل المرأة إلى درك الإنسحاق.

هـ - حميد - مديح - قالوا: «اللي ما يحمد ولد، ما يحمد لو غدا شايب»! أي الذي لا يمدح شابا، لا يمدح عندما يضحي شيخا.

و - النفس طابت من عشرتك: أي أن النفس اكتفت من معاشرتك.

ز - كم يكم فهو كام، جمع يجمع وهو جامع في نفسه كل محامد الرجال.

ح - محامد الرجال.

ط - معاني الرجال كل ما يفتخر به الرجال.

أ - الفريق مجموعة من المضارب.

ب - أعوذ بالله أعوذ بالله.

لي، السعيد في يومه، ما يحزن على نهار أمس، هداك الله، ردني إلى أهلي. وحيّاك الله، نفسي طابت من عشرتك، كل شيء يمكن أن يجبر، إلا القلب إذا انكسر! لأن جرحه لا يبرى، ولا يشفى!».

* * *

التصميم على تسريح وطفا

أخذ يتدبر الأمر، ويردد كلامها في نفسه، فصمم على أن يردها إلى أهلها بأسلوب لا يجرح كرامتها، ولا يجرح كرامة أهلها بين أبناء العشيرة إن لم تغير رأيها، وفي الليلة التالية سهر في شق الشيخ (ذياب) سهرة طويلة، وعاد متأخرا، ولما وصل إلى بيته وجدها نائمة، لم تعد له عشاء، ففي الصباح قال لها: «اركبي قعودك، وخذي عبد أختك (دهمان) معك، وإذا سألك أبوك أو أمك، قولي لهما: «إنك طامح». وأنا سأبعث جاهات. وأنت ارفضي أن تعودي، وهكذا يعلم الناس، أنك أنت ترفضين أن تعيشي معي، إلى أن تفرضي علي الطلاق.

وصلت (وطفا) إلى أهلها، من غير أن يدري أحد، أنها مغاضبة لنمر، وأنها في سبيلها إلى الطلاق، مر أسبوع وإذا جاهة ترضية، تزور (فلاح السبيلة) لكي تعود (وطفا) إلى زوجها (نمر)، ذهل فلاح، لأنه لا يعلم شيئا عن زيارة (وطفا)، وظن أنها زائرة زيارة بريئة، لأن (وطفا) كتمت عن أبيها الأمر، وأعلمت أمها بكل ما جرى، وطلبت إلى أمها أن تكتم السر. وقد فعلت ذلك، فبعد أن أولم فلاح للجاهة وليمة، سأل القوم عن غرضهم من تلك الزيارة، أجابوا أنهم جاؤوا تطييبا لخاطر (وطفا)، لكي تعود إلى زوجها، فلما دخل أبوها المحرم، سألها عن أسباب الخلاف بينها وبين زوجها، لم تجب بشيء سوى قولها أنها (طامح) عن (نمر)، وكل ما تريد أن يطلقها! صعق أبوها لما سمع منها هذا التصريح الخطير، فحاول أن

يستعين بأمها، فوجد الأم أشد إصرارا من ابنتها على ضرورة الطلاق، وأن الأم راضية كل الرضى عن طماح (وطفا)، ما دام الزوج لا يعرف لها مقامها. ذهل (فلاح) لهذه المفاجأة، وعاد إلى الجاهة كاسف البال، لم يخبر الجاهة بما قيل له، ولا بما سمع.

بل طلب من الجاهة، أن تمهله أسبوعا آخر لتلافي ما حدث، فلم يلحوا على الرجل، وعادوا، ليخبروا (نمرا) بما حصل، فأظهر لهم أنه مهتم للأمر، وقال: «لعل لها حاجة، أو لعلها مشتاقة إلى أهلها، لأنها لم تزرهم من يوم زواجنا، فلا بأس، سنعيد الجاهة، وسأكون معكم هذه المرة.

* * *

عادت الجاهة مرة ثانية، وكان والد (وطفا) كل تلك المدة، يحاول أن يزيل من نفس ابنته ما علق بها من زوجها - ذلك الرجل العظيم - حاول، فكانت تزداد إصرارا على الرفض، الأمر الذي أحرج الشيخ (فلاح) أشد الإحراج، إلى أن وضحت له زوجته الأسباب.

الجاهة الثانية:

عادت الجاهة ثانية، فلما افتتح كبير الجاهة الموضوع، أجاب (فلاح): «كل شيء بالدنيا قسمة ونصيب، وحظنا قصر في الاحتفاظ بمصاهرة الشيخ (نمر العدوان)، فالمطلوب من الشيخ أن يطلق (وطفا)، عادت الجاهة، وأبلغت (نمرا) الخبر، فأجاب: «ما دام هذا هو المطلوب؟ تكرم عين (وطفا)، اشهدوا يا اوجوه الربع، إن (وطفا)، بنت (فلاح) السبيلة طالق بالثلاث حسب طلبها وكل ما حلت لي تحرم علي. ومتأخرها يصل إليها مائة رباعية نعاج والعبد والراعي!

* * *

الشيخ (اجديع) يستفتي (نمر) شعرا، و (نمر) يبعث له بفتواه شعراً

كان (نمر) - في ضحى يوم - يستقبل ضيوفاً من ضيوف الجلالة، فإذا رجل غريب يسأل عن بيت (نمر العدوان)، فرحب به، وسأله عن حاجته، فإذا هو يسلمه رسالة، فضها، فوجد فيها قصيدة موجهة إلى (نمر). القصيدة من الشيخ (اجديع ابن هذال)، يريد جوابا لها، ومناسبة القصيدة هي: أن الدولة العثمانية، كانت قد أرسلت دعاة إلى البادية، يفقهون البدو بالدين الإسلامي، ويفهمونهم أن للدين الإسلامي أركاناً، وليس هو مجرد الاقتصار على الشهادتين، واتفق أن أحد هؤلاء الدعاة، نزل ببيت الشيخ (إجديع) ابن (هذال)، وعلمه أركان الدين الحنيف، وعلمه أصول الوضوء والصلاة، وقد كان قبل ذلك لا يعرف من الإسلام سوى (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، فصمم على أن يصوم (رمضان)، ويصلي، فالتهى (إجديع)، بضيفه الشيخ الداعية وبالصلاة، عن حبيبة له اسمها (عليا)، تعرف إليها حديثا وتعلل معها، فأعجب بها، وطلب منها قبلة (حبة) فقالت له: «والله ما تذوق مني الحبة إلا على فراش الحلال». فزاد ولعه بها، لكن الضيف والصلاة - كما ذكرنا - صرفاه عن (عليا)، فخشيت أنه مريض، وفيما هي قلقة، التقت صدفة منافسةً لها على قلب (ابن هذال)، وتعرف قصتها، مع الشيخ (إجديع). فسألتها -عليا- عن أسباب انقطاع الشيخ (إجديع) عن التعليلة وعن زيارة الحي؟ وقالت: «يا فلانة! أخاف أن (إجديع) وجعان!» فتضاحكت المنافسة، وقالت لها: «غدت دارك لا هو وجعان إو لا به خلاف!.. (إجديع) خذته منك الصلاة!..» ذعرت (عليا)، فسألت بدهشة وانفعال: «من هي الصلاة، وبنت من هي، إو وين عربها!؟».

ضحكت المنافسة، وقالت: «غدت دارك مرة ثانية، هذي الصلاة ما هي أنثى». هذا بالعرب خطيب يعلم الناس كيف يصلّون مثل الاشوام، وهم عقب الصلاة يقولون: «يا ربّ تقبل صلاتنا مثل الاشوام وأكثر!!».

قالت (عليا): يا عرب هذا صحيح؟

أجابت المنافسة: «والله ما أقول لك إلا الصحيح.

(عليا) وش هي فايدة الصلاة؟

المنافسة: الصلاة - على ما يعدون - تكثر نويقات الرجل، إو توصله الجنة، والجنة يقول الخطيب: ما تتوصف من طيبها، إو ما اهنا شيء أطيب من الجنة، وباكر من الصبح إن رحت يم الفريق، تشوفين الشيخ (إجديع) يقوم إو يقعد من حاله!

قالت (عليا) - باضطراب - عوذا عوذا والله غير أشوفه، وادعيه يجوز اعن الصلاة إو دربها! في الصباح مرت (عليا) بالقرب من شق الشيخ (إجديع)، فرأته فارشا عباءته للصلاة، فسألته بذعر إجديع! وش هذا اللي إنت بيه؟.

أجاب الله هداني للصلاة يا (عليا).

قالت: «هو ربنا ما خلق بالدنيا غير أنت تصلي له؟ وش يستفيد ربنا من صلاتك؟.

قال (إجديع) اصطافر الله، حنّا اللي نستفيد امن الصلاة، ربنا سبحانه ما يستفيد من صلاتنا لاكثير ولا قليل، هو يرزقنا بالدنيا، ويوم نموت يورثنا الجنة، والجنة ما تتوصف مثل ما قال الخطيب، تصير عيشتنا بالجنة لون عيشة الأشوم وأحسن، هذا اللي قاله الخطيب، والخطيب ما يكذب!

❖ ❖ ❖

عليا تعرض على إجديع ما حجبت عنه:

قالت (عليا): تذكر إنك عقب أول تعليلة، طلبت مني حبة إو قلت لك: «والله ما تذوقها غير على افراش الحلال. أما اليوم، تراني أرخص لك بخمس حبّات، إن دشرت الصلاة إو جزت عنها إو عن الخطيب.

قال (إجديع) أنا أشاور صديقي (نمر العدوان)، إن أفتى لي بالبيع والشرا، بعت واشتريت، حيث أنه خطيب، وان ما ارخص لي، لا والله، لا أبيع ولا أشري، فلما سمعت ما قال، أنشأت هذه الأبيات تعاتبه:

يا حيف ع (اجديع ابن هذّال) ألسيف كن بدّله بابريق[409]

تقل عجوزا على منوال يتوضا قبل فكوك الريق[410]

يا (اجديع) ما ذي معاني ارجال

ما اتليق بك كنستك ما تليق[411]

إبريق الوضو حطّه على جال،

عباتك لا تفرده أمن الزيق[412]

قم حط (عليا) على عرزال وانهج بها اعن العرب تشريق[413]

الفيد حطه أو عباة الخال والفيد مهما غلا ما ايعيق[414]

قالت أبياتها ارتجالا، وانصرفت عنه، وهي في أبهى زينتها، التهب قلب الشيخ (إجديع) فأخذ يحاسب نفسه، فخطر على باله أن يبعث إلى (نمر)

---

(٤٠٩) يا للخسارة أن (اجديع) ابن هذل، استبدل بسيفه ابريقا.
(٤١٠) مثل عجوز على النول، يمارس الوضوء قبل الفطور.
(٤١١) يا اجديع ليست هذه هي مكارم الرجال، لا يليق بك الانزواء، لا يليق.
(٤١٢) ضع ابريق الوضوء ناحية، ولا تبسط عباءتك من أعلاها.
(٤١٣) انهض ضع عليا في هودج، وشرق بها بعيدا عن العرب.
(٤١٤) ادفع السياق وعباءة الخال. وغلاء المهر لا تهتم به. لا تجعله عائقا مهما ارتفع.

بقصيدة، يستفتيه بها عن هذه الصفقة التجارية الغريبة، فأرسل مع رسوله بهذه القصيدة[٤٩٨]:

قصيدة الاستفتاء

يا راكبا -حمرالها الكوردني عرما عرندس طارات (غيره) دفنه[٤١٥]

يا راكبَهْ كدّ، وأوصل العلم مني

ل(نمر) يا زبن الطريح أن وطنّه[٤١٥]

يا (نمر) يا مشكاي وإن سَلت عنّي،

تحتَ المسال إذْ حيلتي بَسّ وَنَه[٤١٦]

على الذي تتعب اوْصاف الامغنّي،

ما لَه شبيها كود حورا ابجنّه[٤١٧]

جتنني تِخطِّم بأحجول ترنّ،

العطرْ والرّيحان يفوح منّه[٤١٨]

نالتْ: «تِبيع ابخمس حبّات منّي؟

وإلا تقضب بافروض صومَك إو سنّهْ؟[٤١٩]

---

(٤٩٨) قصيدة الاستفتاء.

(٤١٥) أيها الراكب الذلول الحمراء الضخمة المرتفعة السنام قرب الشداد.

(٤١٥) يا راكب هذه الذلول الموصوفة، أسرع، وأوصل رسالتي إلى نمر العدوان. نمر ملجأ الذي سقط في المعركة، ووطأته خيل الأعداء.

(٤١٦) - يا نمر الذي إليه أشكو ما يتعبني، إذا سألت عني، فأنا في وضع أستحق من أجله، أن يسأل عني أحبائي. لأنه لم يعد لي حيلة ولا قوة إلا الأنين.

(٤١٧) هذا كله من التي أوصافها تتعب الشاعر، ولا شبيهة لها سوى حوريات الجنة.

(٤١٨) جاءت تمشي الهوينى، تسمع لحجولها رنينا، تفوح منها روائح العطر والريحان.

(٤١٩) سألتني: أتبيع فروضك بخمس قبلات مني، أو تتمسك بفروضك وسنتك.

قلت: «لمنّي أشاور صديقا بهن،

يا (نمر) يا زبن الطريح إن وطنّه»[٤٢٠]

* * *

لما اطلع (نمر) على قصيدة الشيخ (إجديع). رد عليها بهذه القصيدة:

حي الاكتاب اللي لفى من مضنّي،

حيّه عدد غيما بدا الغيث منّه[٤٢١]

حي صديق البعد مشتاق مني،

وأنا شهيد الله مشتاق منه[٤٢٢]

يا ليت قلبي فاضيا يا مضنى،

يا ليت زومات النبا ما غشنّه[٤٢٣]

خيال (وضحا) بضميري يعن

القلب شاب إو حيلتي بس ونه![٤٢٤]

إن كان تجد الصبر عن حبهنّ،

ارض الكريم واطلب الرّبّ عنّه[٤٢٥]

---

(٤٢٠) قلت لها: إلى أن أستشير صديقا لي بهذا الغرض. يا نمر يا ملجأ الجريح الذي وطأته خيل الأعداء في المعركة.

(٤٢١) تحية إلى صديقي الذي أحرص على صداقته كل الحرص، حيّه عدد الغيم الذي صحبه الغيث

(٤٢٢) تحية إلى صديقي البعيد المشتاق إلي، وأنا مشتاق إليه، والله.

(٤٢٣) ليت قلبي غير مشغول، يا ليت أمواج الشقاء وبعد الأحباب، لم تكتسحه!

(٤٢٤) طيف (وضحا) في قلبي ماثل، وقلبي شاب، ولا أستطيع شيئا إلا التأوّه.

(٤٢٥) إذا كنت تستطيع أن تصبر على الابتعاد عن حب النساء، أرضِ الباري، وتمسك بالله، فهو يغنيك عن الحب.

وإن كان شوقك بالضماير يعنّ،

البيع ما بين المخاليق سنّه[426]

إن كان خمس أوصاف بيها كملن،

حذْرك تردد يا وديدي إو دنه[427]

إن كان بيض الصدر ما كسّرن،

خط القلم ما بينهن حدّرنّه[428]

إن كانها نوطا طويلة معنّ

واقرونها تنشل امنَ البير شنّه،[429]

واعيونها اعيون المها يذهلنّ واسنونها لهوة برد وسط جنّة[430]

من عقب ما ترشف عسل ذوّبن بين البراطم والثنايا ادفقنه،[431]

إنس اهمومك لا تشاث - بهن إوصافها تغنيك عن كل هنه[432]

بيع الصلاة إو بيع فرضك أو سنّه واقبل على دنياك لا اتجوز عنه[433]

فوقي -صلاتك بيع فرضك او سنّه واعط الفرس واقبل وأنا أجزيك عنه[434]

---

(426) أما إذا كانت أشواقك إلى هذه الحسناء ملحة، لا تستطيع أن تتناساها، فالبيع بين خلق الله سنة متبعة.

(427) إذا كانت قد اكتملت فيها خمسة أوصاف، احذرك من التردد، قرّبها منك.

(428) ١- إذا كان ثدياها - كنى عنهما ببيض الصدر - ما ترهلتا بسبب اللمس أو التقدم في السن، والفارق بينهما كخط القلم.

(429) ٢ - أو إذا كانت طويلة وطويلة مارن الأنف، ٣- وفرعها يستطيع أن ينشل لك دلوا من البئر.
٤- أن يكون لطوله رشاء يخرج لك الدلو من البئر.

(430) كعيون المها، ٥- وأسنانها كلهوة البرد المتساقط في الروضة.

(431) بعد أن ترتشف رضابها، الذي هو كالشهد الذائب بين شفتيها وثناياها.

(432) إنس همومك، لا تتأخر لحظة، لأن أوصافها تغنيك عن كل ما في دنياك.

(433) بع الصلاة، وبع فروضك وسنتك، وأقبل على دنياك، لا تتجاهلها.

(434) زيادة على صلاتك وصومك، بع فروضك وسنتك، واعط فرسك زيادة، وتعال إلي وأنا أعوضك عن ذلك كله.

اصطافر المولى ع ما صار مني   مثلي أو مثلك يغفر الربّ عنه(٤٣٥)

وصلت قصيدة (نمر) إلى الشيخ (إجديع)، أو بالأحرى فتواه، أنشدها على الربابه لَتَطْرَبَ اذناه، ويفرح قلبُه، وصحب جاهة، خطبت له (عليا)، وتزوج بها على سنة الله وسنة رسوله، وأرسل إلى (نمر) بقصيدة. لم يرو لنا منها سوى هذه الأبيات:

«يا نمر ابن عدوان قافك وصلني
يا ريف خيلا منكفه إن نصتّه(٤٣٦)
هذا جوابك أبهج القلب مني،
حسيت وإني ابروضة وسط جنّه(٤٣٧)
اسياق (عليا) مية وضحا تحنّ
فدوى لها عربان كنده أو كنّه،(٤٣٨)

وهكذا تزوج بعليا، وظل يصوم ويصلي.

(٤٣٥) استغفر الله على ما بدر مني، فالشاعر الذي مثلي ومثلك، يغفر له الله.
(٤٣٦) (٤٣٧) جوابك هذا يا نمر أبهج قلبي بعد أن وصلت قصيدتك، شعرت أني في روضة في جنة النعيم.
(٤٣٨) سياق عليا مائة ناقة بيضاء أفديها أبقبيلة كندة وقبيلة كنّه.

الفصل الثالث
زواج (نمر) الثالث

صدفة خير من ألف ميعاد!

كان (نمر) قد غزا ترويحا عن النفس، لأن الديار كانت محكومة اسما، والفوضى تسودها فعلا، لأن القبائل كان بعضها يغير على بعض، بسبب وبغير سبب، فغنم (نمر) ومن غزا معه إبلا كثيرة، تبيّن أنها لعشائر غير معادية - صاحب - فجاء (المتحيسبون)[٤٣٩] من العشائر الصديقة، يطالبون باسترداد إبلهم، عملا بقول البدو: «دام الفود او دام ارداده!»[٤٤٠]. وكان في حصة (نمر) ناقة لأرملة من عربان (سليم اللحاوي) زعيم الشرارات[٤٤١]، والشرارات ينتمون إلى (بني كلب). والبدو يسمونهم (بني مكلب)، وقد كان لهذه القبيلة في ديارنا شأن، وهي التي سندت عرش بني أمية، ومنها (ميسون بنت بحدل بن أنيف) من سادة الكلبيين، وكان واليا على الأردن، وكان بنو كلب على النصرانية، تزوج (معاوية بن أبي سفيان ميسون هذه، وأنجبت له (يزيد)[٤٤٢].

فلما سألت الأرملة عن ناقتها، وجدتها عند (نمر)، فذهبت إلى (نمر)، وبكت بين يديه، فرق لها، وأشفق عليها، ومال قلبه إليها، لأنها كانت جميلة، سألها عن أوضاعها، فقالت: إنها تزوجت صغيرة وإن زوجها قتل بعد أن خلفت منه طفلا، لا تزيد سنه على سنة، وقالت: إنها أبقته عند جيران لها، وجاءت في

---

(٤٣٩) المتحيبون - الذين يسعون في استرداد ما يكسب الغزو من الصاحب.

(٤٤٠) الفود - الغنيمة.

(٤٤١) قبيلة مشهورة لـ (هتيم) من قبائل الحجاز.

(٤٤٢) الخليفة الأموي الثاني.

طلب ناقتها التي لا تملك سواها! فقال لها: «ناقتك أمانة عندنا، فاذهبي واحضري ابنك، أو يصير خير إن شاء الله!.

شاعر شراري يلوم (نمر) على شعره في رثاء (وضحا)

ترددت مراثي (نمر) في الديار الأردنية، إذ كان يندر أن تجد مضافة في الديار الأردنية - في ذلك الزمن - ليس لـ (نمر) ذكر فيها، وكان الناس يطربون لمراثي نمر)، ويقدرونها حق قدرها، سمع شاعر شراري بحزن (نمر)، فتعجب من تفجعه. في حين أنه هو فقد زوجته من سنين، وكان يحبها، لكنه لم يشعر بمثل فجيعة نمر، فبعث بقصيدة لنمر فيها شيء من اللوم أو العتب. ولم نحصل منها إلا على سبعة أبيات:

يا (نمر ابن عدوان) ازطامَ الدّبيلةْ،

يا فارسَ الفِرسان عَ ما يعدّون![443]

هذا جضيضك - مِن ثمانين ليلة،

الله بعين ألْلي له جملةِ اسنين مَغبونْ،[444]

قضا الله ما باليدْ والله حيلة،

حيشاك كِلّ الناس عَنك يهرجون[445]

ترعى بنا الدّنيا إو مابه جميلة،

إو ملايك الرّحمان بينا يحصدون[446]

قريت كتب الله ليلة ابليلةْ ما شِفتَ أن الانبياء هم يموتون؟[447]

---

(٤٤٣) يا نمر ابن عدوان، الذي يقهر قبيلة محاربة، يا فارس الفرسان، على ما يذكر الناس.

(٤٤٤) هذا ضجيجك وشكواك من فراقك لـ (وضحا) من ثمانين ليلة، الله يساعد الذي مر عليه ثماني سنوات حزينا.

(٤٤٥) هذا قضاء الله، وليس هناك حيلة لدفعه، حاشاك من الملامة، الناس كلهم يتكلمون عليك.

(٤٤٦) ترعى بنا الدنيا ولا حيلة لنا، وملائكة الله يحصدوننا حصدا.

(٤٤٧) لقد قرأت كتب الله توراة وانجيلا وقرآنا، أما رأيت أن أنبياء الله، يموتون؟

سلايل الشـيـخـان مـا هـي قـلـيـلـه
عـسـاك تـلـقـى بـيـنـهـن مـا تـريـدون! (٤٤٨)

يا (نمر بن عدوان) فخرَ القبيلة، الحزن ما بالحزن غيرهم واغبُون (٤٤٩)

ﮬ ﮬ ﮬ

فرد (نمر) بهذه القصيدة:

قلت: يالله عفوك مااهنا باليدّ حيله أضحيت عقبَ العقل ذايهْ إو مفتونْ (٤٥٠)

ويروى، عفوكَ إلهي ما اهنا باليد حيلة . .

ع الصّاحب اللي ما نلاقي بديله، عِقبهُ حياتي كلّها حزن واغبون (٤٥١)

قضيت أنا وإياه رفقه طويله زودا على العشرين واظنّهن دون (٤٥٢)

ويروى، قضيت أنا وإياه عشرة جليلة

أستغفر الله كنهن شبه ليلة، العفو كيف الناس للعمر أيحسبون (٤٥٣)

واكبر همّي من حياة ذليلة ألّلي تخلّي صاحب العقل مجنون (٤٥٤)

تقول ليّ اهموم قلبك ثقيلة على يتامى عند وجهك يبكون (٤٥٥)

---

(٤٤٨) إن نسل الشيوخ من النساء كثير، ليتك تجد بين أولئك النساء من تشتهي.

(٤٤٩) يا نمر ابن عدوان الذي تفتخر به قبيلته، احذر الحزن، إنه ليس في الحزن إلا الهم، والحزن الصامت الشديد. وكلمة غبن في اللهجة الأردنية لها معنى غير معناها في الفصحى، كما شاهدنا. فرد عليه (نمر) بقوله.

(٤٥٠) قلت يا إلهي، اغفر لي، لست قادرا على تحمل ما أقاسي، لقد أضحيت بعد اتزان العقل مضطرب العقل، حائرا. وكلمة ذاه يلفوه ذوهانا لا وجود لها بصحيح اللغة.

(٤٥١) على الصديق الذي لا أجد له بديلا، حياتي بعده كلها حزن وهموم.

(٤٥٢) قضيت أنا وضحا زمنا طويلا يزيد على عشرين سنة، وأظن أن المدة أطول. فكلمة دون في اللهجة الأردنة من الأضداد، تعني أكثر وأقل.

(٤٥٣) استغفر الباري، كأنهن شبه ليلة مضت، عفوك يا إلهي، كيف يحسب الناس أعمارهم؟

(٤٥٤) ما أكبر همومي من حياتي التي صارت ذليلة، إنها حياة تجعل العاقل مجنونا.

(٤٥٥) تقول لي، إن همومك ثقيلة على أيتام يبكون عندك.

مثل اليتيم اللي انكفا ع النفيله

(أبو اعقاب) الباتع اللّي تعرفون[٤٥٦]

يـاربّ لا تـكـتـب عـلـيّ خَـطـيّـه،

ملايكك عدلين لوهم يجورون[٤٥٧]

ويروى، يا رب لا تكتب عليّ رزيله.

عفوك إله العرش (ضايع) دليله — خليت حالي مهزرة لليشمتون[٤٥٨]

ويـــــــروى، — سويت حالي مهزرة لليشمتون

لوجهك اطعمتَ الأرملة واليتيمة — إو خليت بيتي مشرعاً لليضيفون[٤٥٩]

أعاتبك يا رب ما أنا هبيلةِ، — يهذي هذايا الناس هاللي بكفرون[٤٦٠]

يا ربّ (وضحا) ليه (وضحا) نزيله — قبراً جسدها بالترايب يغطون؟؟[٤٦١]

خليتني لا عقل إو لا لي دليلهُ — بين الخلايق هرجتي به يهذرون![٤٦٢]

* * *

---

(٤٥٦) كأنني يتيم ارتمى على وجهه، في المكان الذي ترمي العرب فيه ثفل القهوة. وكلمة انكفى ينكفي منكفي، تعني نوم الإنسان الحزين والمحتقر على وجهه. هذا هو وضع (أبو عقاب) الفاتك بالأعداء، الذي تعرفونه. ونرى أن فعل بتع في اللهجة الأردنية له ولمشتقاته من المعاني ما لا أثر له في اللغة.

(٤٥٧) يا إلهي لا تكتب علي معصية، إن ملائكتك عادلون، لو أن أحكامهم تجور أحيانا.

(٤٥٨) عرضت نفسي مهزأة للهازئين الشامتين.

(٤٥٩) إكراما لوجهك يا إلهي، أطعمت الأرامل والأيتام، وجعلت بيتي مشرعا للضيوف عابري السبيل.

(٤٦٠) أعاتبك يا إلهي، لست مجنونا ولست كافرا، لكن كلامي يشبه هذيان الكفرة.

(٤٦١) يا إلهي، لماذا تزول (وضحا) من الحياة، ينزلونها في قبر، ويدفنون جسدها في التراب.

(٤٦٢) جعلتني، يا إلهي، مسلوب العقل، لا دليل لي، الناس كلهم يثرثرون، لا حكاية لهم سوى حكايتي!

المفاجأة الكبرى!

زواج (نمر) بـ (صيتة الشرارية) التي كان يدللها، بقوله: (رهيفة)

عادت (صيتة) ومعها طفلها، فاستقبلها (نمر) استقبالاً أذهلها، فهي في أحسن الأحوال، لم تكن تتوقع من (نمر العدوان)، أن يلتفت إليها خادمة مع الإماء والعبيد، لأن الشرارات بعد أن زالت سلطتهم ذلوا، وهذا أمر طبيعي، لأن الإنسان إذا هوت منزلته، ينال من الاحتقار أضعاف ما نال من الاحترام، فالبدو عندنا، كانوا إذا أرادوا تحقير رجل، قالوا: «اخس بهالوجه الأصفر، اللي مثل وجه البرمكي!» في حين أن الناس، كانوا إذا أرادوا المبالغة في مدح إنسان، شبهوه بالبرامكة!

نعود إلى (صيتة)، فقد فاجأها (نمر)، بقوله: إنه قرر أن يتزوج بها! ذهلت للمفاجأة، وكادت تختنق بدموعها. وقالت: «يا ابو عقاب أنا ما أصلح خيالة لأمير مثلك. أنت ابن عدوان، وأنا أرملة شرارية. من يخلصني من العدوانيات؟ أجاب: أنا أعرف ما يقول البدو على الشرارات[٤٦٣]، وهذا لا يهمني، لأني أعرف من هم الشرارات، إنهم من قبيلة شريفة، وأنت ما تعرفين عن الشرارات غير الذي يقوله عليهم العربان، الذين يعيرون الشرارات بأن جدهم لم يدفع للرسول صلى الله عليه وسلم ما كان الرسول يطلبه منه، ما هو هذا؟ أجابت هذا هو. قال لها: «أنا أقول لهم أنت من بني صخر، ولا تهتمي، فكلنا لآدم وآدم من تراب. ذبّح عليها[٤٦٤]، وتزوج بها. وأعلن أنها من بني صخر، وأنها مقطوعة من الأهل. ووعدها بأن يعامل ابنها كما يعامل (عقابا) وشقيقه (سلطان) وشقيقتهما (سارة). عاشت معه بسعادة ما حلمت بها في حياتها. وأنجبت منه طفلين لم يعش كل منهما أكثر من سنة، فلما رأت مكانتها قد عظمت عنده، وأنه كان يناديها يا (رهيفة) تدليلا لها. خطر في بالها أن تمحو ذكر وضحا من قلبه، لأنه لم يكف عن ذكرها، ولا عن رثائها، ففي إحدى

الليالي، أفرغت كل جهدها في التزيين والتطيب. فلما عاد من السهرة وجدها في انتظاره، فبش في وجهها، وبعد أن قضيا سهرتهما الخاصة، وانصرف كل منهما إلى فراشه، قالت: «بالله عليك يا ابو عقاب ما أسد مسدّ (وضحا)؟ فما كاد يسمع قولها، حتى انتفض كمن أصابته صاعقة، نظر إليها نظرة، شعرت معها كأنها تهوي من قمة جبل عال إلى هاوية لا قرار لها. وقال لها بحدة، ما رأتها منه في كل السنين التي قضتها معه. (وضحا) ما لها مثيل في الحريم، ومن الليلة تأخذين البيت الذي نحن فيه، وتعيشين فيه مع ابنك، وكل ما تحتاجين إليه يصل إليك.

وأنشد يقول:

«تقول بنت العازمي يا حلالي،	لانسيك (وضحا) يوم توري خيالي[٤٦٥]
قلت: اسكتي يا بنت ابليا اهبال،	وش اللي جاب الزرب لأعلى العلالي[٤٦٦]
قلبي دفنته في مراقي الأجبال،	مال البخت من جور سود الليالي[٤٦٧]
ماله شبيها يشبهه بوصيفه	عقلي دفنته يوم تيحي ابيالي![٤٦٨]

بكت، لطمت، اعتذرت، فلم يلتفت إليها، ولا قبل لها عذرا، لكنه أبقاها على ذمته، وأفرد لها ولابنها - ربيبه - ذلك البيت الذي ذكرنا، وظل ينفق عليها كما لو كانت (وضحا) حية، والانفاق لها أو عليها.

* * *

فأخذ يبحث عن زوجة، يطمئن إليها، فسمع أن بعض العدوانيات، يقلن: «نمر العدوان» ما شاف أن العدوانيات يصلحن له، غير يوم أنه شاب؟» فاتجه إلى بني صخر، فوفق لفتاة اسمها (الجازية)، قضى معها ما

---

(٤٦٥) تقول العازمية: يا زوجي، سوف أنسيك (وضحا)، عندما تشاهدني.

(٤٦٦) قلت اسكتي بلا جنون، من الذي يشبه قن الدجاج بالقصور العالية.

(٤٦٧) لقد دفنت قلبي في المرتفعات، الليالي السود دمرت حظي.

(٤٦٨) ليس لـ (وضحا) شبيهة، أفقد عقلي، عندما تخطر ببالي.

بقي له من العمر، عيشة بدوية سمحة، واحترام متبادل، لكن ليس في حياته شيء من البهجة واللهفة، التي كانت (وضحا) توقظهما في قلبه وفي نفسه.

ذكر لنا، أن (وضحا) أنجبت في عشرين السنة ثلاث إناث وثمانية ذكور. أما الذكور، فمات منهم ستة وبقي (عقاب) و(سلطان). أما البنات، فبقيت منهن (سارة). و(وطفا) أنجبت منه طفلا مات عند أهلها، وصيته العازمية - التي كان يدللها، بأن يناديها أحيانا (رهيفة) - فأنجبت ثلاثة ذكور ماتوا. أما الجازية، فلم يعش من نسلها سوى واحد، من نسله رجل اسمه (مفلح)، ذكر لنا الشيخ (خلف الفهد النمر العدوان) سنة ١٩٧٥م في (الشونة)، أنه ما يزال حيا لكننا لم نره.

سارة الخرشان تظهر في حياة (نمر)

عثرنا، ونحن نتقصى أخبار المرحوم (نمر) على قصيدة ومقطوعة موجهتين إلى أنثى اسمها (سارة الخرشان)، لعله عرفها في أثناء إقامته جارا لـ(عواد الموح)، شيخ مشايخ (بني صخر). لكنه لم يوفق للزواج بها، بعد أن فقد (وضحا)، بسبب الخصومة القبلية بين (الخرشان) و(العدوان)، والخصومة الشخصية بينه وبين الشيخ (مطلق السلمان) الفارس المشهور، الذي تبادل معه الأشعار. والذي تبين لنا من لهجة القصيدة والمقطوعة، أنه كان معجبا بسارة، وأنه لو وفق للزواج بها، لاندمل الجرح الذي أبقته (وضحا) في قلبه، لكنها المقادير، أبت إلا أن يظل قلبه مشتعلا بنار الوجد، ففاضت قريحته بتلك المراثي، التي تشير إلى أن الرجل كان - في واقع الأمر - يرثي نفسه، في حين أنه يرثي تلك المرأة، التي سحرته بما وهب الله لها من مزايا.

وبسبب ما خص الله به هذا الشاعر من احترام للمرأة - في زمن لم تكن فيه الزوجة سوى وسيلة إنجاب، وخادمة أمينة أقرب إلى الإماء منها إلى

الأحرار من البشر - لهذا السبب عاش مع (الجازية) من بني صخر حياة هادئة، تتردد فيها أشعار نمر الحزينة. وقد فارقت (نمر) تلك اللهفة التي كان يحس بها و(وضحا) في الحياة أو حل محلها حزن، يتفجر في قصائد، خلدته وخلدت (وضحا).

* * *

الفصل الرابع
إغارة تستولي على كلّ ما عند (نمر) ويُستردّ كلّ ما نُهِبَ

كان يحلو لـ (نمر) - في بعض السنين - أن ينفرد عن العرب بعيدا، من غير أن يعرف لذلك سببا خاصا، ويقيم وحده في أراضي (حسبان) في شمالي (مأدبا) - في إحدى الليالي شعر باضطراب شديد، وكثر نباح الكلاب، أعد بندقيته المامونة، وجعلها معه في الفراش، وقبل الفجر فوجيء بإغارة، أخذت كل ما عنده من ثاغية، وراغية. فانسل من وراء مضربه، وكمن للمغيرين في مكان مشرف. وفيما الغزاة يسوقون ما غنموا، انتظرهم، إلى أن صاروا في متناول الصوت، فناداهم، قائلا ما يقوله البدو في مثل هذا الموقف: «يا سامعين الصوت صلوا على النبي، أسوق عليكم الله اللي لا ينهال، ولا ينكال، أفلحوا وتخْلوا عن حلال (نمر العدوان).

فرد عليه عقيدهم، قائلا: «نصيحة لوجه الله لـ (نمر العدوان) أن يسلم بروحه، لأن السلامة رأس المال». قال (نمر) للعقيد: «انظر إلى التيس اللي في جنبه (نبطة)، إن كانت رصاصتي لم تصب النبطة، فأنا أتخلى لكم عن كل ما سلبتم مني، أما إذا أصبتها، فإني أنصح لكم أن تتركوا مال (نمر)، وتسلموا، حيث السلامة هي رأس المال. وأطلق الرصاصة من بارودته الشاهانية، فأصابت التيس في المكان الذي عين. لكنهم لم يقتنعوا، فشاهد عبدا يكفكف أطرف المنهوبات، فقال للعقيد: «انظر إلى هذا العبد، فإني سأطلق عليه رصاصة، تصيب ركبته، فإذا رأيتم ما أقول، فإني أنصح لكم أن تتخلوا عن الذي نهبتم من غنمي وإبلي، فأنا لا أسمي غنائمكم هذه كسبا، لكني أسميها لصوصية ونهبا، قال ذلك في الحين الذي كان العبد يحاول أن يخفي نفسه، فأطلق عليه (نمر) رصاصة، أصابته، واستقرت في ركبته، فقال العقيد: «يا ابن عدوان»، دونك حلالك، فتخلى

الغزاة عما نهبوا، وأعاد نمر ما سلبوا، وأسرعوا إلى الفرار من الديار، سمع العدوان بالذي حدث، فجاؤوا، يهنئون (نمرا) بالسلامة، وطلبوا إليه أن يعود إلى منازلهم فأبى قائلا: «الذي يسقط من السماء تتلقاه الأرض!».

* * *

شريك (نمر) في المخلدية يزوره للحصول على المثاني:

كانت عرب العدوان في الغور، فوصل قبيل غروب الشمس شريك (نمر) في المخلدية، فاحتفى به (نمر) فوق الاحتفاء بالضيوف الأعزاء، لأنه شريك في الأصايل!

بعض سلالات الخيل في الأردن

والأرادنة يقولون: «الشراكة في الخيل نسب»، أولم (نمر) وليمة كبرى، دعا إليها وجهاء العشيرة، وفي هذه الأثناء، عرض (نمر) على المعازيب والضيف المهرة الأولى من المخلدية، التي يسمونها الأولة، لأن الخيل الأصيلة تباع على شرط أن يكون لبائعها حق بالمهرة الأولى والمهرة الثانية، فيقولون: «أولة، وثانية»، وعند تسليمها بعد أن ترضع من أمها مائة ليلة، يشهد الحضور على أن المهرة خالية من كل عيب، وقد فعل، ولما تسلمها الشريك السبعي، سامها منه الزعيم (ذياب)، ودفع له الثمن الذي طلب. وفي مثل هذه الجلسة يكون الحديث كله عن الخيل. وقد حضرت جلسة من هذا النوع، ذكروا فيها سلالات الخيل المعروفة في الأردن، ويسمون سلالات الخيل، أرسان الخيل، جمع رسن ومنها:

أ - الجلفات - الواحدة جلفة والحصان جلفان.

ب - الشويمات - الواحدة شويمة، والحصان شويمان.

ج - الصويتيات- الواحدة صويتية، والحصان الصويتي.

د - الحمدانيات - الواحدة الحمدانية والحصان الحمداني.
هـ - الصقلاويات، الواحدة الصقلاوية والحصان الصقلاوي.
و - العبيات - الواحدة العبية، والحصان عبيان.
ز - المعنقيات - الواحدة المعنقية، والحصان المعنقي.
ح - الكبيشات الواحدة الكبيشة، والحصان كبيشان.
ط - والطويسات الواحدة الطويسة والحصان طويسان.

وأحب الخيل إليهم الحمراء الصماء، التي يلقبونها بـ (إمطقعة السايس، أي التي لا يجد السايس فيها شية يتشاءم بها، أو منها).

وهم يتناقلون حديثاً ينسبونه إلى النبي - ﷺ - مفاده أن النبي - ﷺ - لما كان هو وصحبه في درب (تبوك)، شح عليهم الماء، فأرسل النبي - ﷺ - كوكبة من الفرسان للبحث عن الماء، فكان أول من أطل على الماء ثلاثة، أفراسهم كلهن شقر، ومن يومها يقولون أن النبي عليه السلام قال: «بارك الله بالشقر». فصار كثيرون، يفضلون الشقر من الخيل، والعرب تقول: «أكرم الخيل وذوات الخير منها شقرها. حكاه ابن الأعرابي، لسان العرب مادة (ش ق ر) ص ٥٢١ طبعة دار الفكر - مكتبة الحياة».

مرض (نمر) وموته وما نطق به

أجمع الرواة على أن المرحوم (نمر)، كان قبل أن يمرض المرض الذي لقي ربه به، كان يمتطي فرسه وثبا عن الأرض، من غير أن يستعين بالركاب، أو بمكان مرتفع - ويسمي الأرادنة هذا النوع من الركوب (الذب)، فيقولون: «ذب على الفرس»، أي ركب وثبا عن الأرض، وكان الآباء يحرصون على أن يعلموا أبناءهم هذا النوع من الركوب. وكان يشارك في كل صابية، ولم ينقطع عن الصيد والقنص، ولما اشترى فرسه

(المخلدية)، اغنته عن (الذب)، لأنها كانت عندما يمسح غرتها، تثني قوائمها إلى أن يكاد بطنها يلامس الأرض، يركب فارسها بلا عناء، فلقبت بـ النواخة، كأنها الناقة التي تناخ، وهذا لا تفعله لكل راكب، إلا لصاحبها.

فلما مرض وأخذ عواده يزورونه، جعل يتصفح حياته، وكانت الحوادث تمر في مخيلته، وكأنها مصوة تصور حبه الذي اغتاله القدر، تذكر ما ووجه به من ضغائن وأحقاد، تذكر حواره لـ (عواد الموح) ذلك الرجل النبيل، تذكر ائتمار القوم به، وهربه، وإبقاءه (وضحا) و(ابنه عقابا) وكل ما يملك، تذكر أبياتا قالها قبل ذلك الهرب الذي كان يحز في نفسه، كلما خطر بباله، تذكر أبياتا، قالها، طفرت على لسانه، وهو يحس، بأن القبر يدنو منه، وأنه يدنو من القبر، فقال:

«النفس طابت عن هوى الزبن واطراد
تبغى الجماعة جنة الظاهرية[٤٦٩]

إن أنشدك عني امن الناس حساد،
قل له: «شديد الحيل ع المخلدية»![٤٧٠]

وإن أنشدك عني من الناس وداد
قل له: كفيت الشر، حاله زرية[٤٧١]

فأحس بأن سحابة تغطي عينيه، فأوصى بأن تنقش على قبره هذه الأبيات:

تنقلك المنايا من ديارك، وتحطك بديار غير دارك[٤٧٢]

---

(٤٦٩) نفسي عافت صحبة عشيرة الزبن، وزعيمها طراد، تريد عشيرتي جنة الدنيا.
(٤٧٠) و(٤٧١) وإن سألك حاسد، فقل: شديد البأس فرسه المخلدية. وإذا سألك عني - أيها الصديق - أحد المحبين، فقل له: «كفاك الله شر ما هو فيه من حالة، لا يعد فيها من البشر، لما يلقى من امتهان وائتمار!.
(٤٧٢) ينقلك الموت من ديارك، ويضعك في دار غير دارك.

دود القبر يرعى بعيونك، واعيون الناس ترعى بديارك[٤٧٣]

ما تقدر ترد الدود عنك، إو لا تحرز تحامي عن ديارك[٤٧٤]

وبكى الرجل العظيم، أمير الشعر الشعبي الأردني، بكى الفارس المعلم، راعي المخلدية، وراعي (إمغيظة)! . . . . و(المأمونة).

كان عواده يظنون أن مرضته هذه، وعكة عابرة، وكان هو يقول بإصرار: «عني إنها السفرة الطويلة، وكان يردد - والناس يسمعون:

«كل غايب بالدنيا يعود إو إو ينثني،

غير غايب الصحرا يظل امقيم! . . . .»[٤٧٥]

وظل يذكر(وضحا) بحنين، مرددا قول الشاعر:

أعد ذكرى من أهوى، ولو بملام،

فإن أحاديث الحبيب مرامي!

وكانت التي ترعاه في مرضه، هي (امرأته الجازية)، في أحد الأيام رأت (صيتة) التي كان يسميها - أحيانا - (رهيفة)، فغضبت (الجازية) منها، وأرادت أن تطردها، فأشار إليها (نمر) أن دعيها، فلم تمانع، فكبرت منزلة (الجازية) عنده، لأنها من أجله - تسامت على ضعفها، ضعفها البشري، ومما زاد في قيمة (الجازية)، أنه ناداها مرة، وهو مريض، بقوله يا (وضحا) ناوليني القدح، فقالت: «الله يرحم (أم عقاب). بعض الناس الله يكتب

---

(٤٧٣) دود القبر يسمل عينك، وعيون البشر تقتحم منازلك، التي كانت عزيزة.

(٤٧٤) لا تستطيع أن تمنع الدود عن جسمك، وليس في قدرتك أو مكنتك، أن تحامي عن دارك التي كانت عزيزة في حياتك.

(٤٧٥) كل غائب في دنيا الناس، يعود إلى أهله، ما عدا الذي غيبته المقابر، ويسمي الأرادنة المقبرة. الصحراء - كما يقولون: «مقبرة، وجبانة» فهذا يظل مقيما حيث دفن.

لهم القبول بالدنيا والآخرة، و(وضحا) تستاهل الذكر الطيب دايما». فكأن هذه الكلمات قد زرعت (الجازية) في قلبه، زرعا. ولما عاده الشيخ (ذياب) أوصاه بـ (صيته) وبـ (الجازية)!

❁ ❁ ❁

ولما خرج (ذياب) من عنده أغفى إغفاءة، فهب من إغفاءته يقول: «وين هو مرسال (وضحا)؟ قالت (الجازية): الله يرحم روح (وضحا) اسم الله حولك، ما شفت غير الزوار من (العدوان). هذا حلم يا (أبو عقاب)، فأنشد:

«يا (نمر) (وضحا) أرسلت لك سلامين:-

واحد صباح الخير إو ذاك العوافي![475]

يـا مـن ذكـر لـي طـارشـه هـو غـدا ويـن؟

يا سامعين الصوت هو وين لافي؟[476]

لـو اذكـروه ابـديـرة الـهـنـد والـصـيـن،

لأصله على رجلي لو كنت حافي![477]

ثم أدركته غيبوبة لم تطل، فأفاق يقول للذين حوله: «حولوا الضيوف، حيا الله الضيوف والساعة اللي تجيب الضيوف، حولوهم بالشق، يم الشق، فأجابه الذين حوله: «هم حولوا في الشق!» فأدركته غيبوبة، أفاق بعدها وهو يقول:-

يـا جـايـيـن آمـنـيـن، لـويـن لافـيـن؟

أشوف عليكم رنق ما هو خافي[478]

---

(٤٧٥) يا (نمر) (وضحا) بعثت لك بسلامين - تحيتين.
أ - إحدى التحيتين، هي أسعد الله صباحك.
ب - أما الثانية، فهي تحية الغائب العوافي، أي وهب لك الله العافية الدائمة.

(٤٧٦) من يذكر لي رسول (وضحا) أين توجه؟ وأين حل؟ أيها الذين تسمعون صوتي، دلوني على رسول (وضحا).

(٤٧٧) لو ذكر لي في ديار الهند، والصين على بعدها، لذهبت للقائه راجلا ولو كنت حافيا.

(٤٧٨) أيها القادمون، من أين جئتم؟ وأين تريدون أن تحلوا؟ إني ألاحظ عليكم زيا متميزا، لا يخفى.

أشوفكم عجلين ما أنتم، امريضين،

بجالنا يا أخوي ما أنتم أنظاف(٤٧٩)

لا أنتم اقبيسية لكم عندنا دَيْن،

ولا اعقيلات لابسين كفافي!(٤٨٠)

ثم أدركته غيبوبة، فأفاق بعدها ماداً يديه، كأنما هو يطارد أشباحا، ونادى:

«اهيه يا اللي لابسين الكفافي!

أنتم اطروش الحق، أهلا عوافي!(٤٨١)

أنتم اطروش الحق ما به تخافي،

يا مرحبا بالحق لصار لافي!»(٤٨٢)

* * *

يا مرحبا، تقلطو، لا تريضون، ما انا امن اللي للمنايا يخافون(٤٨٣)

ويروى، **يهابون**

لجنة الفردوس إنتم تزفون،

نشوف- (وضحا) امزينه - بالعفاف(٤٨٤)

---

(٤٧٩) ألاحظ أنكم مسرعون، غير متمهلين، ألاحظ أن نواياكم نحونا غير صافية.

(٤٨٠) لستم تجارا (اقبيسية)، جمع قبيسي، ولا عقيلات، - بطن من عامر بن صعصعة، كانت مساكنهم في البحرين، ثم ساروا إلى العراق، فملكوا (الكوفة) والبلاد الفراتية، ثم تغلبوا على (الجزيرة والموصل)، وظلوا ملوكا، إلى أن غلبهم السلجوقيون، فتحولوا من العراق إلى (البحرين)، وصار الأمر لهم. في سنة ٦٥١هـ . أي ما هويتكم ما دمتم لستم تجارا لكم عندنا دين تطالبون به، ولستم من بني عقيل تلبسون الكفافي. جمع كوفية.

(٤٨١) أيها الذين تعتمرون الكوفيات، أنتم رسل الباري أهلا بكم وعافاكم الله.

(٤٨٢) أنتم رسل الباري ليس في أمركم غموض، أرحب بالموت الذي هو حق، ما دام قد جاء موعده.

(٤٨٣) أرحب بكم، تقدموا، لا تتمهلوا، لست من الذين يهابون أو يخافون الموت.

(٤٨٤) أنتم تزفون الناس إلى الفردوس، فهناك نشاهد (وضحا) يزينها العفاف.

ما انا على الدنيا خايف إو مغبون،

من عقب زينة لابسات الغداف[٤٨٥]

* * *

ودعت أنا الجيران وإيا ألاحبابه

اللي يودع عزوته واعذبه![٤٨٦]

اللي رحل والطيبات زهابه،

هذا حبيب - المصطفى والصحابه![٤٨٧]

(رضوان) لي عندك إوداعه قديمه

إفتح لنا ليوان قصره إو بابه[٤٨٨]

الدنيا ما به مقضبا يا الاجاويد

شبيهة اللي يكذبوا بالمواعيد[٤٨٩]

---

(٤٨٥) لست خائفا من فراق الدنيا، ولست حزينا على هذا الفراق بعد فراقي لزينة النساء. لابسات الأقنعة - شارة التصون والعفاف.

(٤٨٦) ودعت جيراني وأحبابي الوداع الأخير، يا لشقاء الذي يودع أحباءه وعصبته وداعا أخيرا.

(٤٨٧) الذي رحل عن دنياه وزاد رحلته (الزهاب) أعماله الطيبة، هذا حبيب النبي الذي اختاره الله - محمد - عليه الصلاة والسلام - وصحابته. (الزهاب) اصطلاح أردني، من معاني الكلمة:

أ - زاد المسافر سفرا بعيدا.

ب - زهاب البارودة، الفشك، وقد اشتقوا من الاسم فعلا، فقالوا: زهب البارودة، وزهب الخطار المسافر، واشتقاق الفعل من الاسم مألوف في العربية، إذا قالوا (خيم القوم) ضربوا وخيامهم، أما عدة الميت. فتسمى (زهبة الميت)، وهي الكفن، وما يحتاج إليه الدفن من لوازم. وفي اللغة (الزهب) قطعة من المال. ونلاحظ أن الشاعر نون المعرف بأل لما اضطره الوزن.

(٤٨٨) يا (رضوان) - بواب الجنة - أنا أودعتك وديعة قديمة، فافتح لنا بهو قصرها، الذي هو (الإيوان)، ومنه إيوان كسرى، وأصلها بالفارسية (إوان) والعامة تسميه الليوان - والجمع لواوين، افتح لنا باب القصر وإيهاءه.

(٤٨٩) الدنيا لا يتمسك بها عاقل، يا كرام الناس، كاذبة في وعودها، وهي شبيهة بهؤلاء الذين لا يصدقون في وعد.

خداعـة مـكـارة كـلـهـا كـيـد،

بقصر (وضحا) نفرح اليوم بالعيد(٤٩٠)

يا المصطفى يا صاحبي يا حبيبي!

دشرت أنا دنياي هي والعبيد(٤٩١)

بجبرتك خذ لي مكاناً قريب،

حوريتي (وضحا) إو ما ابغى مزيد(٤٩٢)

اسطافرك يا خالقي كان زلبت

هذا حديث القلب وش عاد بايدي؟(٤٩٣)

كانت (الجازية)، بإشارة من (نمر)، قد سمحت لـ (صيته) أن تشاركها في إسناد راس (نمر) في لحظاته الأخيرة، إلى أن فاضت روحه الطيبة، فكفيت معاميل القهوة في كل بيت عدواني، وفي بيت كل زعيم عرف (نمرا)، لأن مقلدة(*) خرجت من شق (ذياب)، تنعي (نمرا)، ويقال إن جار (نمر) - عواد الموح - شيخ مشايخ بني صخر يومذاك - نظم قصيدة في رثاء (نمر). لم نتمكن من الحصول على شيء منها، ولعل الله يوفقنا لشيء من ذلك في المستقبل.

***

(٤٩٠) كثيرة الخداع، والمكر والاحتيال. مع هذا فإن حلولنا في قصر (وضحا) السماني هو فرحنا، وهو عيدنا

(٤٩١) أيها النبي المختار -المصطفى - أحد أسماء النبي - عليه السلام - يا صديقي يا حبيبي لقد تركت الدنيا وكل ما فيها حتى العبيد.

(٤٩٢) أيها النبي العظيم، احجز لي مكانا قريبا منك، أما الحوريات فإني أكتفي بـ (وضحا) حورية لي، ولا أريد عليها زيادة.

(٤٩٣) أستغفرك يا إلهي، إن كنت قد هفوت، إن هذا الذي تفوهت به، إنما هو حديث القلب، والقلوب بلا عقل يا إلهي!

(*) المقلدة: هي فرس يمتطيها رسول، توضع في عنقها قلادة من نسيج البيت في حالة النعي، دلالة الحداد، ويطوف الرسول في العربان، يعلن وفاة الرجل العظيم. وفي الاستنجاد إذا هاجم القبيلة غزو لا قبل لها به.

أوليات (نمر)

قبل أن أسجل مراثي (نمر)، التي أشاعت ذكره وذكر حبيبته (وضحا)، وجعلتهما في الخالدين، ووجهت إلى (نمر) أنظار المستشرقين باعتباره أميرا للشعر الشعبي الأردني، وأميرا للمحبين لأنه ظل محافظا على عهد الحب، بعد أن غيب حبيبَه القبرُ، وهذا أمر نادر يجعل (نمرا) جديرا بأن يضرب به المثل.

أجل قبل أن أسجل تأوهات روحه، أريد أن أذكر أولياته، التي تميز بها. وهي:-

١ - أن (نمرا)، كان أول من تعلم من بدو الأردن بفضل سيدة فرنسية أعجبت بذكائه طفلا، فتعلم في القدس أولا، ثم ذهب إلى الأزهر. وقد حاولت، أن أحصل على ما يوضح هذه النقطة، فكتبت رسالة مضمونة، بعثت بها إلى مدير تسجيل الأزهر الشريف، لكن لسوء الحظ لم ألق جوابا إلى يوم الناس هذا. فاستشرت صديقي العالم الجليل الأستاذ «وديع فلسطين» أحد أعضاء مجمع اللغة العربية في (دمشق)، وأحد أعضاء مجمعنا الأردني الزاهر. فجاءني منه ما حرفه: «الأزهر كان في القرن الثامن عشر، مدرسة غير نظامية، فحول كل عمود من الأعمدة يلتف طلاب العلم، وأمامهم أستاذهم، وهو يجلس على كرسي، في حين يجلسون هم القرفصاء، ويظل الأستاذ يلقي دروسه، إلى أن يتعب، ثم يتقاضى أجرة من الحاضرين، وهو جراية من بضعة أرغفة، وقليل من السكر، ولم تكن هناك سجلات بأسماء الطلاب، ولا كانت هناك شهادات تمنح، وكان في وسع من يشاء أن يدخل إلى صحن الأزهر، ويحضر المحاضرات، ثم ينصرف، دون أن يسأله أحد، من أنت أو ما اسمك؟ ولهذا أشك كثيرا في

أن تتلقى من الأزهر ردا على استفسارك حول (نمر العدوان)، وهل حضر دروسا في الأزهر أو لا؟» عن رسالته المخطوطة إليَّ المؤرخة في الرابع عشر من تموز ١٩٩٠م. ومثل هذا، قال، العلامة الدكتور صديقي محمد خفاجي.

٢ - أول من اقتنى بندقية متطورة من الأرادنة في ذلك الزمن، وقد جاءته هدية من السائحة الفرنسية، التي اهتمت بتعليمه.

٣ - أول من ثار على عمود الشعر الشعبي الأردني المعروف عندهم بـ (مشد القصيدة)[11]، وأول من خاطب القلم، فسميت باسمه جرة من جرات الربابة - أنغام الربابة يسميها الأرادنة الجرات، مفردها الجرة - سموها (جرة نمر العدوان)، لأنه كان يبدأ قصائده - غالبا - بقوله: (سر يا قلم). أما القصيدة البدوية[*] - خاصة - فكان لا بد لها من هذه المقومات، لتعد قصيدة محترمة. ١ - المشد - وهو يشبه الغزل الأسلوبي في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر العباسي. قبل أن يثور على ذلك المجددون، كقول الشاعر:

شديت ثمانا مع ثنين   عشرا يدهجن الليل[٤٩٤]

أ - وقول (سالم الفلاح الشاهين)

من خلف ذا يا راكبا فوق معصبة   أهيه يا راكب طويل القوايمه[٤٩٥]

ب - تكليف الرسول بابلاغ الرسالة:

اركب عليها يا النشمي   عليها جوخ اخبار القز[٤٩٦]

(*) من أجل التوسع في ما يخص القصيدة البدوية راجع كتابنا (فريسة أبي ماضي). ١- الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦م في عمان، والطبعة الثانية في سان دييجو - كاليفورنيا سنة ١٩٨٧م.

(٤٩٤) وضعت الشداد على ثمان من الهجن مع اثنين، عشر يقطعن المسافات ليلا.

(٤٩٥) بعد هذا أيها الراكب على مصعبة، أيها الراكب طويلة القوائم.

(٤٩٦) اركب عليها أيها النشمي، فإن شدادها مغطى بالجوخ، وبخبار الحرير - القز.

ج - وصف الذلول.

يا بكرتي ما هي هزيلة كوانين، المصعبة من نابيات السنام(497)

د - ذكر المكان المقصود، وعادة يمدح به المرسل إليه، ولو كان من الأعداء

بمضيفه تلقى اضيوف او ضعافين الزاد يقلط واللحم والإدام(498)

هـ - وصف الرسول بأنه نشمي:

رسالتي مع طارش له شهامة نشمي سَدُود امن الاعبال الشفيين(499)

و - عتاب أو تهديد

شيخ البداوي اللي تبِشون جنابه
يقول خلق الله إو لا لي بهم حيل(500)

ز - ختام القصيدة كقول العماوي شاعر الكرك المجيد:

صلوا على اللي طالع النور بالنور
كتابها ينسى أو هو ما نسانا!(501)

كل هذه الأسس ثار عليها (نمر)، فنجد في قصائده - غالبا - مناجاة القلم بدلا من هذه العناصر السبعة. التي لم يعد إليها إلا نادرا.

فها هو ذا يخاطب القلم في مراثيه لـ (وضحا):

أ - سر يا قلم في كاغد لي واسرع واكتب على ما أريد أن أفهم واسمع(502)

---

(497) ركوبتي ليست من الركائب، اللواتي أضعفهن برد كوانين ك١، ك٢ وشباط، إنها من ذوات السنام العالي.

(498) بمضافته نجد ضيوف الجلالة والمساكين، يقدم لهم الطعام واللحم والأدام.

(499) رسالتي مع رسول نشمي، يسد كل ثلمة، ويكفيك في كل مطلب.

(500) زعيم البدو الذي منح لقب الباشوية، تنصل، ويعتذر، بأن أناسا مفسدين، فعلوا ما فعلوا، وهم ليسوا ممن يحكم عليهم.

(501) صلوا على السيد المسيح، الذي هو نور من نور، كاتب هذه القصيدة ينسانا، أما هو المسيح فلا ينسانا

(502) تقدم تفسير هذه القصيدة.

ب - سر يا قلم واكتب جوابي بتمهيل، بزفزف القرطاس واكتب قصيدي[٥٠٣]
ج - سار القلم يا (عقاب) بالحبر سارا بزفزف القرطاس يا مهجتي سار[٥٠٤]
د - سر يا قلم واكتب سلامي بقرطاس سلام من فوق السراخيط بنكز[٥٠٥]
هـ - سار القلم دولاب غَزْلَ الهواجس قدر على مقدار عقل المهاجي،[٥٠٦]
و - سر يا قلم واكتب سلامي بخطي واكتب حروف القاف والميم وافي[٥٠٧]
ز - سار القلم بيداج ساج وبيداج سار أبهوى عقلي أو حبر دليلي[٥٠٨]

ماذا أعدد من تجديد (نمر) وثورته، ولعل أهم ما فيها، أنه يوضح لنا أن (نمرا)، كان متعلما كاتبا قارئا بدليل قوله:

سر يا قلم، واكتب سلامي بخطي، واكتب احروف القاف والميم وافي

وكتابته أبيات الشعر، التي أوصى، بأن تنقش على قبره، وقد رآها أحد المستشرقين وذكرها، لكنه لم يصورها. ولعل أعظم دليل على أنه سبق كل سابق في الأردن، بدوها وحضرها، شجاعته الأدبية في رفعة شأن المرأة، وتصديه بشجاعة لرثاء (وضحا)، في الزمن الذي كانت المرأة فيه في أقصى دركات الاحتقار، كما سبق أن ذكرنا، ومن شك في حرف مما قلنا، فعليه أن يقرأ كتاب الأستاذ (محمد جميل بيهم) - المرأة في حضارة العرب، والعرب في تاريخ المرأة - أجل لقد كان (نمر العدوان) في ذروة الشجاعة فارسا، وفي ذروة الشجاعة الأدبية، فهو يستحق منا أن يخلد، ومن أولياته، ذكره سوراً من القرآن الحكيم، وتقربه إلى الله بها، ومن أولياته، ذكره كلمات فصيحة معجمية في بعض أشعاره، تمر بالقارىء، ويمر بها، وهو يقرأ كتابنا هذا.

* * *

---

(٥٠٣) سبق تفسير هذا البيت.
(٥٠٤) سبق تفسير هذا البيت.
(٥٠٥) سبق تفسير هذا البيت.
(٥٠٦) سبق تفسير هذا البيت.
(٥٠٧) سبق تفسير هذا البيت.
(٥٠٨) سبق تفسير هذا البيت.

الباب الثالث
المراثي وغيرها

الفصل الأول : المراثي وغيرها

الفصل الثاني : روي الزاي، وفيها تلاعب في الألفاظ يدل على حيرة

الفصل الأول
المراثي وغيرها

كنا قد ذكرنا أولى مراثي (نمر) لـ (وضحا)، والآن نتناول ما وصل إليه بحثنا، ورواه لنا الرواة الصادقون: لكن - مع الأسف الأشد - فإن الرواة لم يذكروا لنا مناسبة أو زمن كل قصيدة. وأشد ما أذهلنا، أن مصابه بوضحا قد أفقده صلابة الفارس، الذي يواجه الموت من غير أن يحسب للموت حسابا. وهو يفقد قبل (وضحا) ستة أبناء وشقيقين، مع كل هذا، فإنه لم يُرْوَ له بيتٌ واحدٌ من الشعر سوى قوله:

«من مهجتي غدا ست وأخوين، بيهم يزول الفقر وارجا الغناة»[1]

هذا بعد أن خاطب ابنه (عقاب) بقلب يحترق حزنا بقوله:

«يا (عقاب) قلبي جض من غارة البين،

واندب وليف الروح العام يا (عقاب) مات»[2]

هذه اللوعة، التي ظلت تمزق قلب (نمر) بعد مضي أكثر من ثلاثين سنة على وفاة (وضحا)، مع أن الأيام كفيلة، بأن تنسي الإنسان آلامه وأحزانه:

وسميت إنسانا، لأنك ناسي!

حقا إن هذا الحزن العجيب غريب، فقصة (نمر) في حبه (عجيبة)، تكاد تكون متفردة في الدنيا، ونحن على كل بحثنا عن حياة (نمر). لم نسمعْ له في رثاء أبنائه وشقيقيه سوى هذا البيت العابر، ويقول بعده:

ما صمت عن زادي إو لا سهرت العين،

إو لا صار شرابي حميم أو لا هو حماتي![3]

---

(٥٠٤) مر تفسيره.

(٥٠٥) مر تفسيره.

هذا جلد غريب في مواجهة المصائب، لكن كيف انهارت صلابته وصبره، عندما طعن القدر قلبه في الزوجة التي أحب؟ فحوله نواة، كأنما هو يرثي نفسه؟

وقد ذكر لنا الرواة، أن أبناءه الستة الذين ماتوا، قد وافاهم الأجل، وهم يفعة، فكيف لا يرثيهم، ولا يبكيهم؟ نعلم أن البكاء على الطفل وعلى المرأة عار في عرف البدواة، لكن أبناء (نمر) ماتو قبيل البلوغ، فهم رجال بحسب الأعراف والتقاليد. حتى ذكر لنا أن المرحوم الفارس الأشهر (عودة أبو تايه) كان يصحب ابنه (محمدا) وعمره دون العاشرة، إذا فليس لحزن (نمر) على (وضحا) بهذه الصورة الفاجعة إلا تفسير واحد، وهو أنه كان يرثي نفسه في رثائه (لوضحا) بتلك الشجاعة الأدبية التي لا مثيل لها. إلا شجاعة (جرير) الشاعر الأموي المحلق، مع الفارق، فإن جريرا رثى زوجته باستحياء.

«لولا الحياء لهاجني استعبار — ولزرت قبرك والحبيب يزار

فهذا خائف من الناس خجل من الزيارة، زيارة القبر، أما (نمر) فإنه فارس في كل موقف. وسترى أنه لم يلتفت إلى كل ما قيل عليه، فاسمع هذه القصيدة: رواية الشيخ (خلف الفهد النمر العدوان):

«يا خالقي بجاه تسعة أو عشرين، — إحروف ما به لفظة من لغاتي![٥٠٩]

بالمصطفى العدنان يا رب تشفين، — صبري على البلوى بالموهفات،[٥١٠]

يا رب تجزة خير من قال امين، — من قالها ناصح عسى له تواتي،[٥١١]

---

(٥٠٩) يا إلهي أتوجه إليك بكرامة حروف اللغة العربية التسعة والعشرين، التي منها يتألف الكتاب الحكيم، إنها حروف أسماؤها ليست من لغتي العربية.

* يسمي المستشرق (سبور) أخا نمر الأكبر (صالحا)، والأصغر (كايدا)، وهما اللذان يشير إلى وفاتهما.

(٥١٠) أسألك يا إلهي بكرامة النبي المصطفى العدناني (محمد) - عليه السلام - تشفيني مما ألم بي تلهمني الصبر على بلواي بالمهلكات.

(٥١١) ياإلهي كافىء بالخير كل من يؤمن على دعائي هذا، وينطق به مخلصا.

يا (أعقاب) قلبي جض من غارة البين وأندب ولبف العام يا (اعقاب) مات[512]

من مهجتي غدا ست واخوين،[11] بيهم بزول الفقر وارجا الغناة،[513]

ما صمت عن زادي أو لا سهرت العين او لا صار شربي مر او لا هو حماتي-[514]

من وجد شوقي اسعر القلب نارين، تقل بعيوني مخارز واجفات[515]

عدي صويب البندق رميها زين، في مغربي الصنع روم السنات[516]

جرحي عميق إوغاص ما بين ضلعين، منه تنهف قلبي شهد أو مات[517]

انهف واسج - النوح واحن وانين واسكب ادموع الحزن هاذي اسواتي[518]

يا (اعقاب) والله لا يموني مجانين

واعقولهم طفخات وامهر فلات![519]

بيهم مبغضين إو بينهم حواوين،

ما يفهمون ابدين محيي الممات،[520]

صبري زرعته في (زبارات - نمرين)،

اضحيت مثل اجويف أجرجر عباتي[521]

---

(٥١٢) يا (عقاب) قلبي تألم من غارة الموت، فأنا أندب حبيبا مات من عام مضى.

(٥١٣) من دماء قلبي مات ستة أبناء وشقيقان، بوجودهم يزول الفقر لأتوقع الغنى.

(٥١٤) لم أصم عن طعامي، ولا نولاني الأرق، ولم يتحول شرابي مرا، ولا تلوث مائي.

(٥١٥) من حزني التهب قلبي بنارين، كأن عيناي فيهما مخارز واقفة!

(٥١٦) كأني جريح ببندقية، إطلاق رصاصها ممتاز، مغربية الصنع، رومية المنشأ.

(٥١٧) جرحي عميق جدا، غائص ما بين ضلعين، أصاب قلبي، فشهق قلبي، ونطق بالشهادتين، ومات. فما أروع هذه الاستعارة.

(٥١٨) انهف - أتحيرُ وأكثرُ النوح، أحن إلى من فقدت، وأئن، وأسكب من دموع الحزن. هذا هو كل ما أصنع.

(٥١٩) يا عقاب، أقسم بالله التقاني مجانين، عقولهم فاسدة شاردة.

(٥٢٠) فيهم جماعة من المبغضين، وبينهم حيوانات - وقد جمع حيوان - على حواوين. وهو جمع تحقير، يعني به أنهم من الحيوانات، لا يفهمون بالدين القويم شيئا.

(٥٢١) صبري دفنته في قبر و(وضحا)، في مرتفعات (نمرين)، فأصبحت شبيها بـ (جويف) اسحب عباتي - و(جويف هذا) إنسان غير متزن العقل.

والـلـه ثـم الـلـه ديـنـا بـائـر، ديـن،

ما نسى، ولا أسلى صاحبي للممات(٥٢٢)

* * *

وهذه قصيدة ثانية لنمر يخاطب به (عقاب واخوته)!

يـا (اعـقـاب) يـا ابوي، يـا قـرة الـعـيـن!

عساك واخوانك تظلوا ابصفاتي!(٥٢٣)

إفـتـح لـنـا قـبـر الا حـبـيـب إو دلـيـن،

لا يا امنى عيني إو هذا شفاتي!(٥٢٤)

لـنـك فـتـحـت الـقـبـر حـطـن إو خـلـيـن،

يـجـزيـك ربـي بـسـرور إو هـنـاة!(٥٢٥)

بـالـهـرمـزي تـجـد لـيـلا بـلا غـيـن،

هذا القمر يا ضي والكواكب اسراة،(٥٢٦)

الـلـي حـديـثـه لـون جـنـي الـبـسـاتـيـن،

تقطف ورد من روس حمر الشفاة،(٥٢٧)

لن غبت عني يا ابوي صرت حاير او مسكين

إن جيتني شميت ريحة حياتي،(٥٢٨)

* * *

---

(٥٢٢) أقسم بالله، قسماً بعد قسم، أني لن أنسى، ولا أسلو حبي إلى أن أموت.

(٥٢٣) يا (عقاب)، يا ولدي، يا قرة عيني، أطلب من الله أن تتصف أنت وإخوتك بصفاتي من الوفاء والنجدة.

(٥٢٤) افتح لي قبر الحبيب - وقد صغر الكلمة للتحبب - والقني به (القبر)، استعين بك يا منية عيني يا من به اشتفي من كل ألم - أي يلبي لي كل مطلب.

(٥٢٥) عندما تفتح القبر، القني فيه واتركني، ليكافِئكَ الباري بسرور وهناءة الحياة.

(٥٢٦) في ظلام الليل تجد كواكب بلا غيم، القمر يضي والنجوم متحركة.

(٥٢٧) هناك ألتقي التي حديثها يشبه قطف الثمار، وتقتطف من شفتيها حمرة الورد.

(٥٢٨) إذا غبت يا ابني، تحولتُ حائرا مسكينا، وإذا حضرت، شعرت، كأني أشتم رائحة الحياة من جديد.

ويروى: وشميت ريحة رفاتي.

وهذه مرثاة جديدة: يخاطب ابنه (عقاب)

ما انت خابر عيدنا العام يا (اعقاب)؟
واحنا شمالي (سلطنا) بـ (الرفيد-)؟[529]

البارحة يا (اعقاب) يوم القمر غاب
بليلة العيد الكبير السعيد[530]

عبدا سعيدا بضحى العيد لي طاب،
ناظر إو حاضر بمعايد وديدي،[531]

أمر جرى لي بالمقادير واسباب
غصبا عني يا (اعقاب) وش عاد بايدي؟[532]

أمر جرى لي ما حكوا بيه شباب،
لا بالشعر يذكر إو لا بالنشيد[533]

محبوب أنا عبده إو سيده إو حباب
ذو ناب هو عبدي إو ذو ناب سيدي[534]

محبوبنا سقاني شهدا صفا ذاب،
بارياح مسك فاح سوق البريد[535]

❁ ❁ ❁

---

(529) ألست تتذكر عيدنا في السنة الماضية، عندما كنا شمالي (السلط) في (الرفيد)، وهي قرية غربي (إربد).

(530) الليلة البارحة (يا عقاب)، عندما غاب القمر في ليلة العيد الكبير - الأضحى -

(531) إنه عيد سعيد طاب لي فيه نظري إلى حبي، الذي كان حاضرا.

(532) أمر أصابني بقدر إلهي على الرغم مني، وليس في يدي حيلة.

(533) أمر جرى لي، ما روى مثله الشيوخ الذين تقدمت بهم السن، ولا ذكر ما يشبهه في الأشعار ولا بالأغاني.

(534) حبي أنا عبده، وأنا سيده وهو محب لي، أحيانا هو عبدي وأحيانا هو سيدي.

(535) حبي سقاني شهدا ذائبا مصفى، ممزوجا بمسك مستجلب من سوق البريد.

يا اعقاب أنا جيت المحله إو كنت غياب

نبهت الخدم يا اعقاب وأي العبيد(٥٣٦)

سايلتهم عن صاحبي وين هو غاب؟

قالوا استمع يا (نمر) ما هو بعيد(٥٣٧)

زاير هله يا (نمر) في (سايح) (اذياب)

سريع يلفي والمحبة تزيد!(٥٣٨)

والله لا بيني وبينها غبظ واعتاب،

حافظ ألساني أعن الخطا إو كاف أيدي(٥٣٩)

إن كان هرج العبد يا (اعقاب) كذاب،

باجري أنا يا (اعقاب) صك الحديد(٥٤٠)

إمكن اكتوفي، واسجنوني ورا الباب،

لا سيح أنا وأنصى ابلاد العبيد(٥٤١)

كل ما غشيت امراح أو جيت مرقاب،

أجوح جوح الذيب، واغط بايدي(٥٤٢)

أنهف وانوح ثم أمطر الدمع سكاب

ع الصاحب اللي راح ما هو عنيد(٥٤٣)

---

(٥٣٦) يا عقاب أنا حضرت الحي، بعد أن كنت غائبا، نبهت الخدم والعبيد.

(٥٣٧) سألتهم حبيبي أين غاب؟ فأجابوا، تمهل يا (نمر) إنه ليس بعيدا.

(٥٣٨) إنه زائر لأهله في (سايح ذياب)، وسيحضر قريبا، وتزيد المحبة.

(٥٣٩) أقسم بالله يا بني، إنه ليس بيني وبين الحبيبة مغاضبة أو عتاب، إني ضابط لساني عن أية هفوة، ومسيطر على يدي أن تمد إليها بإساءة. كما اعتاد أن يفعل غيري.

(٥٤٠) إذا كان كلام العبد، بقوله إن حبيبي زائر أهله في (سايح ذياب) كاذب، فقيدني، قيد رجلي بالحديد.

(٥٤١) شد كتفي شدا بذلك الكتاف، واسجنوني وراء الباب، فقد قررت أن أسيح، وأقصد بلاد العبيد!

(٥٤٢) كلما جئت مكانا حللنا به، أو ارتقيت مرتفعا، صرخت، كما يعوي الذئب الجائع، وأشرت بيدي.

(٥٤٣) أتحير، وأنوح، ثم أسكب الدمع بغزارة على حبيبي الذي فقدته، ولم يكن عنيدا.

يا قلب يا اللي تقل سافوت حديد شباب

يا مهجتي لو هو حجر صار شيد[٥٤٤]

يا (اعقاب) إركب فوق ساجوج مهذاب،

سو سبرتي سوسحاني فريد[٥٤٥]

أسرع امن الدولاب لن ساب وانساب،

إكشف خبر محبوب عيني وديدي[٥٤٦]

لا ضامنني حر إو لا دين ينتاب

إو لا فادني كود النعي والقصيد[٥٤٧]

من لامني ببلي ابسم ارقط ساب،

من جنة الوهاب ما يستفيد[٥٤٨]

* * *

وهذه قصيدة يتمنى بها الموت:

لمين أشكي وجع القلب لمين؟	مالي على البلوى صديقا اموافي[٥٤٩]
غير الابكي والجض والنوح والنين،	ساعات سكرانا إو ساعات غافي[٥٥٠]
ساعات اهل الدمع من مقلة العين،	إو ساعة على الخدين تلطم اكفافي[٥٥١]
أسوح مع البطنان مثل المجانين،	داير مع العجبان عريان حافي[٥٥٢]

---

(٥٤٤) أيها القلب الذي يشبه سفود الحداد، يا دماء قلبي (عقاب)، لو أن قلبي حجر لتحول شيدا.

(٥٤٥) يا (عقاب) اركب فرسا سريعا في الركض سريعا نشيطا متموجا في ركضه فريدا في عدوه بين الخيل.

(٥٤٦) أسرع من كل آلة تدور على محور (الدولاب)، والكلمة فارسية، إذا عدا هذا الفرس، واشتد في عدوه، اكشف أخبار حبيب عيني الذي أوده.

(٥٤٧) لا قهرني حر، ولا تراكمت علي ديون، أطالب بها، ولم أفد سوى، الحزن والنعي والمراثي.

(٥٤٨) الذي يلومني بلاء الله بسم أفعى تسعى، وأسأل الله، أن لا يجد له في الجنة ما يفيده!

(٥٤٩) إلى من أشكو آلام قلبي؟ إلى من؟ ليس لي صديق يمنحني الود، لأشكو إليه بلواي.

(٥٥٠) ليس لي إلا البكاء والتوجع والنوح والأنين، أحيانا أشعر بأني سكران، وأحيانا أحس بأني غائب.

(٥٥١) أحيانا أسكب دموعي من مقلة عيني، وأحيانا ألطم خدي بكفي!

(٥٥٢) أتجول في البراري كالمجانين، أتجول بلا هدف كالأطفال اليتامى عاريا حافيا.

ساعة أنشد لوازمهم هو غدا وين؟ إو ساعة أشيل (اعقاب) على اكتافي[٥٥٣]

ساعة أضم (اعقاب) جوات الاحضين سهران طول الليل مقطوع نافي[٥٥٤]

دهري سقاني كاس حنظل او غسلين،

والهم قيدني او ربط اكتافي[٥٥٥]

الناس في هم وأنا ابهمين

هم الافراق إو هم كثر الخراف[٥٥٦]

قلت اه وابياه من شذرة البين،

إنحاز لي عظمي إو ثقل اكتافي[٥٥٧]

أنا أحس بقلبي طقمان نيفين

شجعان تضرب بالسيوف الرهاف[٥٥٨]

وين اللي يسلون القلب وين؟

يرحبون بي لصرت امن البعد لافي؟[٥٥٩]

بفراقهم إيلبت يا ربنا اتعين،

أقراب الوطن لكن بعيد المسافي[٥٦٠]

---

(٥٥٣) حينا أسأل أقاربهم أين ذهبوا، وحينا أحمل (عقابا) على كتفي.
(٥٥٤) حينا أضم (عقابا) في حضني، ساهرا كل الليل، مجدوع أنفي - مرغما -.
(٥٥٥) دهري سقاني كأساً قوامها الحنظل، والغسلين - ما ينز من جلود الهالكين في جهنم - الهموم قيدتني، وربطت كتفي.
(٥٥٦) الناس في هم واحد، أما أنا ففي همين: «هم فراق حبي، وهم قلقي مما يحاك حولي من خرافات وأساطير».
(٥٥٧) قلت آه يا أبي من لوعة الفراق، كسر عظمي، وأثقل حملي.
(٥٥٨) أنا أشعر بأن في قلبي مبارزة لفريقين من الشجعان، اللذين يضربون بالسيوف الحادة.
(٥٥٩) أين اللذين يسلون قلبي؟ أين هم اللذين يرحبون بي، عندما أعود من الديار البعيدة؟
(٥٦٠) لقد بكيت لفراقهم، يا إلهي، أعنّي! هم قريبون مني لكن المسافة بيننا بعيدة!

يـا رب بـجـاه وجـهـك تـسـلـيـن،
بسورة الأحزاب، وايا الاحقاف[٥٦١]

عجل لنا يا رب بـاملاقى الـمحبين،
بصاحبي يا رب زين الاعطاف[٥٦٢]

يا (اعقاب) يا مهجتي تعال لاهين،
نجدد - اثياب الحزن ما كان هافي[٥٦٣]

ويروى - نجدد اثياب الحزن لو كان هافي!

ننزع اثـيـاب الـعز وانـحـد ع الـحـين،
وانحط من فوق النظافة أقراف[٥٦٤]

من لامـنـي يـبـلـى ابـجـن الـفـراعـين،
تـدعي اعـظـامـه دايره بـالاخـلاف[٥٦٥]

* * *

---

(٥٦١) إلهي ألجأ إلى وجهك الكريم، لتهب لي السلوى بكرامة سورة الأحزاب وسورة الأحقاف. وهذا البيت من أعظم الأدلة على مدارسته للكتاب الحكيم، سورة الأحزاب ٧٣ آية والأحقاف آية ٣٥ الأحزاب مدنية والأحقاف مكية.

(٥٦٢) عجل لي يا إلهي بلقاء من أحب - فهو هنا يتمنى الموت - حبيبتي جميلة الحاجبين وأهداب العينين.

(٥٦٣) يا (عقاب)، يا دماء قلبي، تعال سلني لألهو عما بي، ولنجدد ثياب الحداد التي بليت.

(٥٦٤) ننزع أثواب البهجة والعزة حالا، ونلوث من ثيابنا نظيفها.

(٥٦٥) الذي يلومني على حزني، أدعو عليه، بأن يبلى بجن الفراعنة، وليحل به البلاء، بحيث تصبح عظامه في غير ما خلقت له.

الفصل الثاني
روي الزّاي وفيها تلاعبٌ في الألفاظ يدلّ على حيرة

في رثاء (وضحا)

قم يا اغلام إو شد نضوا تفزز،
سر ساح ما بين الرهايه درواز[٥٦٦]

رفروف لام اريال نضاخ لقزّ،
رف الرفيف أمع الروابي والاكواز،[٥٦٧]

خفاق املمع لن تزازا مع الوز،
حسن النسيم أو بدّل الزّف باخزاز[٥٦٨]

بذ الزميل ابسابح الدو يهتز،
أرخى الهديل إو كيف ما مزت يمتاز[٥٦٩]

زرزور زوزا بالزيازي تزيز،
زيزا زوازي زيز لي إو هزهاز[٥٧٠]

---

(٥٦٦) أنهض أيها النشمي، وشد الشداد على ذلول يسبق كل ذلول. يقفز لنشاطه مندفعا بسرعة مابين المرتفعات، مقتحما كل صعب.

(٥٦٧) رفروف. مطية للسيدة الممتازة مزينة بحلاها، سريع إذا قفز، كأنه الطائر المحلق بين الربى والجبال.

(٥٦٨) يشبه الطائر الذي يخفق بجناحيه، إذا تسابق مع طائر الوز، سرعته تشبه مر النسيم، وهو يراوح بين العدو والهذابة - والهذابة. اصطلاح أردني، يعني أن سير الفرس سيرا أقل سرعة من العدو، وفي اللغة أهذب أسرع، وهاذب مهاذبة أسرع.

(٥٦٩) تفوق سيره على أشباهه في البراري، بختال، وقد انطلق بسرعة، يطيعك، كيفما أردت وجدته منقادا.

(٥٧٠) كأني أرى سربا من الزرازير، يغرد في حقل، يرد بعضها على بعض مرتعشا.

يـطـوف طـوف الـزبـرقـانـي مـع الـوز،
بين الأعراق إو بين (بصرى) و(شيراز)، [٥٧١]

أسـرع امـن الـدولاب لـمـا تـقـلـوز،
داوي كما الخاطوف ثم خفقة الباز، [٥٧٢]

مـن مـنـطـقـي خـذلـي سـلامـا تـهـنـدز،
بالدر والياقوت واللولو والماز، [٥٧٣]

بـكـاغـد مـصـقـول نـيـر إو يـلـتـز،
في خط يم الصين لا عز الاعزاز، [٥٧٤]

ويروى: «في خط حبر الصين لاعز الاعزاز»

مـرسـول (لابـن اشـبـيـل) مـرسـوم مـخـتـزّ
إمـروحـنـن بـعـنـبـر الـعـاج نـيـراز [٥٧٥]

إن كـان تـشـكـي غـربـة الـغـيـهـب الـمـز،
ما نوع من صرخد مضى بالصبا كاز [٥٧٦]

---

(٥٧١) كأنه يسير بسرعة، تختلط الزرازير مع الوز ما بين العراق، وعنى بالعراق هنا بغداد - وبين بصرى وشيراز.

(٥٧٢) هذا الذلول أسرع من الآلة عندما تتحرك مضطربة، لها دوي مثل السهم أو انقضاض البازي.

(٥٧٣) من كلامي خذ كلاما مرتبا محلى بالدر والياقوت واللؤلؤ والماس.

(٥٧٤) بورق مصقول لامع منتظم، بخط كتب بمداد صيني، يقدم إلى أعز الأعزاء.

(٥٧٥) مرسل إلى (ابن اشبيل) المختار من بين الأصدقاء، مضمخ برائحة العز في غلاف من العاج متميز.

(٥٧٦) قالوا غيهب، وهذا خلاف ما ورد في اللغة. إذ أن الغيهب في اللغة تعني: «الظلمة، والشديد السواد من الخيل والليل، والرجل الغافل. وقيل، الثقيل الوخم، وقيل. البليد، ولعل الكلمة كانت في الأصل من الأضداد، فاكتفت اللغة في أحد معنييها، إذ لا يمكن أن يكون هذا الاستعمال بلا أصل، وجمع الغيهب الغياهب قال الشاعر يمدح فارسا:

الـغـيـهـب الـلي لـن لـكـد يـذهـل الـضـد — مـيـتـيـن مـا يـقـفـوا ابـوجـهـه خـلاوي

عـد الـشـبـاهـن غـرزن بـارق غـز

واشبك مخاليبه بالاطروح غراز[٥٧٧]

والـشـغـل يـا زيـنـه بـعـزة أو عـز

يصد عنك قلب مع الناس معتاز[٥٧٨]

تـسلى بسهو اللهو، تـسلى او تـعتز

إو تنس لهيب إمورد الجيب بلاز[٥٧٩]

ورديـة مـن نـسـمـة الـريـح تـهـتـز،

ريحانة له طارج الريح هزاز[٥٨٠]

حـوريـة لـن نـاطـقـت مـيـتـا فـز،

زار النعيم ابجنة الخلد كن فاز[٥٨١]

لـن شـافـهـا عـمـك بـالـنـواعـم تـهـزهـز

صابه رواعد بنواعس إو هزهاز[٥٨٢]

المعنى: البطل الذي إذا هجم على الأعداء، يذهلهم، ويذعرهم. ماتنا فارس لا يستطيعون مواجهته، وهو وحده، وبقية معنى البيت، وليس هناك نوع من الخمرة يقدم لك في كوز ينسيك ما بك. والكاز - كلمة آرامية دخلت في عاميتنا بمعنى كوز التي هي آرامية.

(٥٧٧) كأن الصقور غرزت مخالبها غرزا شديدا بقلبي، مطرحين من فعل ابن (اشبيل). والشاهين كلمة فارسية تعني عمود الميزان. المفرد شبهان.

(٥٧٨) الشغل أيتهاالجميلة، يصرف عنك القلب المحتاج إلى الناس.

(٥٧٩) تسلو سلو اللاهين - وتشعر بلهيب الحب - على الرغم من سلوك يتقد في قلب وردي خصب بالمحبة - واختار كلمة بلاز، التي تشير إلى طين مصر، الذي يتركه النيل بعد انسحابه عن الأرض، فيجعل الأرض خصبة. والكلمة من اليونانية «ادبليز»، وهذا كله يشير إلى ثقافة الشاعر.

(٥٨٠) يشبه (وضحا) بوردة تهزها نسمات الريح الخفيفة لرقتها، هي ريحانة تهزها الرياح الهابة.

(٥٨١) هي (وضحا) حورية من حور الجنة، إذا خاطبت ميتا، نهض كالغزال النافر، لقد زارت (وضحا) النعيم وفازت بجنة الخلد.

(٥٨٢) إذا شاهدها الشيخ بزينتها، أصابته رعدة وشبه غيبوبة، ومني برعدة متواصلة.

جزنا اعن الرعراع يا صاحبي جز،

والللي ملك شيابه اليوم يكتاز[٥٨٣]

إو سبح ابتسبيح الحواميم واعتز،

سلم أمورك للكريم الذي فاز[٥٨٤]

أزكى سلام الله ما هزه الوز

على النبي ما ساح سايح أو مقاز[٥٨٥]

* * *

من مرثاة بعث بها (نمر) إلى صديقه الشيخ (إجديع الهذال):

العام، والأيام، واليوم وامس

يا (اعقاب) ليلي إن نهيته عصاني[٥٨٦]

أربع ليالي ثم ثمان أو خمس،

العفو ما مثلي صبر حيد حاني![٥٨٧]

---

(٥٨٣) لقد هجرنا الرعونة يا صديقي، فتب أنت عنها واهجرها - على الرغم من أن الذي يحصل على شيء، يتمسك به!

(٥٨٤) واقبل على القرآن الكريم، تاليا السور ذوات حاميم! تفتحه بهذا اللفظ وهو اسم الله الأعظم، أو قسم منه أو مقتطع من أحرف الرحمن وتمامه الرون، (أي وتمام أحرف الرحمن وهي الألف واللام والراء والنون، وقد استوفيت في السورة التي افتتاحها ألر، والسورة التي افتتاحها (ن). وأما قول العامة الحواميم، فليس من كلام العرب. وقال (أبو عبيدة): «الحواميم سور في القرآن على غير القياس» وأنشد بالحواميم التي سبعت، قال: الأولى، أن تجمع بذوات حم (أي ذوات الحاء والميم)، لأنهما يقرآن كما يقرأ في التهجئة على أنهما حرفان مفردان، لا مركبان. بخلاف نحو شاهين، انتهى المراد ذكره، واعتز بالقرآن الحكيم عن كل ما سواه، وسلم أمورك للباري الذي من اعتمد عليه فاز.

(٥٨٥) أزكى سلام الله على النبي الكريم، ما غرد مغرد، ما ساح سائح في الأرض، بحالة. أراد أن يقول مقاس، فاضطره الروي للعدول عن السين إلى الزاي.

(٥٨٦) العام الماضي - إذا قال الأردنة: (العام)، عنوا بالكلمة، السنة الماضية فالمعنى. السنة الماضية، وهذا النهار، وأمس (عقاب)، كانت الحياة طوعي، أما اليوم، فإني إذا أمرت، أياي عصتني!

(٥٨٧) أربع ليال وثماني ليال وخمس ليال، مرت على النكبة، عفوك يا إلهي، لم يصبر مثل صبري جمل فحل قادر على حمل الأثقال.

أصبح ابحال او حال بها اليوم أمسي

كن الطعام إمروكنن بالغبان(٥٨٨)

قلبي كما بن انحرق عقب حمس

وإلا الشحم من فوق جمر اصهباني(٥٨٩)

الله من قلب هذا فيه عمس،

يذوب لو باسه حجر قرطباني(٥٩٠)

يذوب ذوب الشمع في حر شمس،

بي حال من كثر التوجد كواني(٥٩١)

من عقب ذا يا راكبا بكر عنس،

قطاع لا فجوج الفلا مطرشاني(٥٩٢)

---

(٥٨٨) أصبح في وضع، وأمسي في وضع من الشقاء، نفسي كارهة للطعام، كأنه قد خلط بالأحزان. لأن الأرادنة يعنون بكلمة غبن، الحزن الشديد.

(٥٨٩) قلبي كأنه بن أحرق لكثرة التحميص، والأرادنة يقولون: «حمس القهوة أو حمّص القهوة - فيستبدلون بالسين صادا، أو أنه شحم شوي على جمر لا رماد عليه، قد جلب من (أصبهان)، وهي مدينة في وسط (إيران) بين (طهران) و(شيراز) بالسفح الشرقي لجبال (زاغروس) في واحة خصبة، يرويها نهر (زنده رود، اشتهرت بمسجد الشاه الكبير، وهو من أجمل المساجد في الدنيا، ومشهورة بالحرير وبالسجاد، وتدعى (أصفهان) أيضاً).

(٥٩٠) يا إلهي، بك أستعين على قلبي هذا، الذي أضحى، لما أصابه، يذوب - يا رب - ولو أن صلابته تشبه صلابة الحجر الذي أتي به من (قرطبة). وقرطبة. هي مدينة (قرطبة) (Cordoba) عاصمة (بني أمية) في (الأندلس) على (الوادي الكبير)، سكانها ٣٧٥,٠٠٠ نسمة، أسسها الفينيقيون، واحتلها الرومان سنة ١٥٢ق.م، أسسها بعد دمارها (عبدالرحمن الداخل سنة ٧٥٦م، كانت من أشهر مراكز الثقافة والحضارة العربية. ولد فيها فيلسوف العرب المشهور (ابن رشد). من آثارها (جامع قرطبة) المشور، الذي حوله (شارلكان) كاتدرائية، ومن آثارها المهمة قصر الزهراء، ومدينة الزهراء، التي اندثرت.

(٥٩١) قلبي يذوب ذوبان الشمع في حر الشمس، حالتي من شدة الأحزان، كأنني أكتوي في لهيب النار.

(٥٩٢) من بعد هذا كله، أناديك أيها الراكب الذلول القوي، الذي يجتاز فجوج الصحراء، وهو مؤهل للأسفار المهمة دائماً.

اسـمـر سـمـرحـي أسـود الـلـون غـطـس،

قـطـاع دو سَـوْسَـحـي هـو ذلانـي![٥٩٣]

عـلـيـه اشـداد امـحـفـل بـالـدمـقـس،

لـونـه يـلالـي أحـمـرا قـرمـزانـي![٥٩٤]

يـمـد امـن (الـبـلـقـا) ابـ (حـوران) يـمـسـي،

من (نمر ابن عدوان) لـ (اجديع) عاني،[٥٩٥]

يـا زبـن مـجـروح انـطـعـن حـيـن حـبـسـي،

يـا (اجـديـع) يـا فـرقـى ولـيـفـي كـوانـي[٥٩٦]

إهـلال واهـلالـيـن وإهـلال وامـس،

أربـع لـيـالـي إو سـتـة مـع ثـمـانـي[٥٩٧]

---

(٥٩٣) أسمر شديد السمرة - لونه أسود غامق، قطّاع للصحاري سريع جداً هوذلاني، لا يسبق ولا يلحق. - والأرادنة يعدون الإبل السود، أقدر الإبل على تحمل الأسفار، وقد نوه بذلك (عنترة بن شداد) لندرة هذا اللون بين الإبل، قال:

فـيـهـا اثـنـتـان وأربـعـون حـلـوبـة

سـودا كـخـافـيـة الـغـراب الأسـحـم.

(٥٩٤) على هذا الذلول شداد - كالسرج للفرس - مزين بالدمقس، الحرير الأحمر الصارخ الحمرة القرمزي اللون - والكلمة - قرمز - أرمنية، والدمقس في اللغة، تعني الحرير الأبيض.

(٥٩٥) صاحب هذا الذلول، سينهض من (البلقاء) صباحا، وفي المساء يكون في (حوران)، أرسله (نمر ابن عدوان) إلى الشيخ (اجديع) نصا. والعاني في اللغة، لها معنى غير معناها في اللهجة الأردنية، لأنها في اللهجة الأردنية تعني الذي يقصدك من دون الناس كلهم. وفي مأثورات الأرادنة: «ما خاب غير من خاب عانيه» ليس في الدنيا خائب سوى الذي يخذل من قصده مؤملا فيه الخير!».

(٥٩٦) يا (اجديغ) يا ملجأ من جرح في المعركة مدافعا عن الظعن، أشكو إليك أن فراق حبيبي حرق قلبي حزنا.

(٥٩٧) أربعة أشهر وتسعة عشر يوما، أشكو إليك حزنا، ضيق صدري صبحا ومساء.

من ضيقتي بالصدر تصبح إو تمسي،
أحس بقلبي لون فضخ الرداني[598]

من لامني يبلى ابجن إو لمس،
يجيه دوره مثل ما الدور جاني[599]

* * *

قصيدة موجهة إلى عقاب وفيها لوعة ومرارة:

يا (اعقاب) جفني جض من فيض دمعي، شطت اخدودي شط كنه حجر نار[600]
يا (اعقاب) إلمن اشتكى مر وجعي؟ على أفراق كن خذاني اعن الدار،[601]
راحوا إو خلوني ابحري إو لوعي، أبكي عليهم ليلتي وانحب إنهار[602]
يا (اعقاب) فلكي بالبحر انكسر هو أو قلعي، أضحيت أنا في لجة البحر محتار[603]
يا (اعقاب) طول الليل أنوح والعي، وأجوح جوح الذيب لن صابه اسعار[604]
أصيح ابعالي الصوت بحس شنع أسايله وين المحبين يا دار[605]

---

(٥٩٨) إلى حد أني أشعر بأن في قلبي مثل أصوات الرداني، وهي مسدسات قديمة، كانت تحشى بملح البارود وقطع الرصاص وقطع القماش، وتدك بمطرق من الحديد، تسمى ردنية والجمع رداني. ولما تطورت صار اسم الردنية المسدس.

(٥٩٩) الذي يلومني، ابتلاه الله بالجن وبالجنون، وابتلاه الله بما به ابتلاني!

(٦٠٠) نرى الشاعر هنا، يلجأ إلى استعارة غريبة، إذ يثبت للجفن صوتا ويجعله إنسانا يتألم فيقول: «يا عقاب، جفني صاح بسبب فيضان دموعي، التهب خداي التهابا كأن دمعي لحرارته حجر نار».

(٦٠١) يا(عقاب) إلى من أشكو حرارة آلامي، بسبب هذا الفراق الذي لم يبق لي شيئاً في الحياة، وأخذه عن الدر، اصطلاح بدوي أردني، يعني أن الغزاة نهبوا كل ما عند الرجل، إلى حد أنهم لم يبقوا عنده راحلة، يحمل عليها بيته عند الرحيل.

(٦٠٢) ذهب أحبائي وتركوني في حر حزني ولوعتي، أبكي عليهم ليلا، وانتحب نهارا.

٦٠٣) يا عقاب فلكي وشراع سفينتي، تحطما في البحر، أضحيت أنا في لجة البحر حائرا.

(٦٠٤) يا عقب طول الليل أنا أبكي، وأسأل الدار أين ذهب المحبون أيتها الدار؟ أصرخ كالذئب الذي أصابه السعار أجوح كالذئب تماما.

(٦٠٥) أصيح بصوت عال جدا شنيع وأسأل عن أحبائي!

يا دار وين هو نور شوفي او سمعي ... وين الذي يجلون همي والاقدار[٦٠٦]

طابعتها إو جاء طبعها الطبعي، ... إو لا يوم كدرني إو لا جانبه دار[٦٠٧]

بحبها رضيان والعقل قنع، ... تجلى اهموم القلب ما مثلها صار[٦٠٨]

يا دار وين اللي بها القلب مرعي؟ ... وين الذي لو جرت للذنب غفار[٦٠٩]

كن جاوبتني الدار بصوت شنع، ... يا شين خلك بارد القبر كن زار[٦١٠]

يا ليت ذاك الصبح ما كان طلع ... إو لا تبدل ذلك الليل بانهار[٦١١]

صبحا لعينا فرق اليوم جمعي، ... ألاربعا يبلاه عابس إو غدار[٦١٢]

ناديت أنا (سارة) تعالي ابسرع ... قدي اثيابك وادهني الخد بالقار[٦١٣]

عـمـرك زغـيـر لـن بـدا غـيـر بـضـع،

أمك غدت يا فانية وانتم ازغار[٦١٤]

الـلـه يـرحـم كـل مـسـكـيـن رضـع

يرحم امشيب سطه البين محتار[٦١٥]

---

(٦٠٦) أسأل الدار قائلاً: «يا دار أين هو نور بصري وسمعي، أين الذين يزيلون همومي، ويساعدونني على تصرفات الأقدار؟».

(٦٠٧) لقد عاشرتها فجاءت طباعها مطابقة لطباعي، ولا يوم من الأيام كدرت خطري، أو أدارت جانبها لي.

(٦٠٨) بحبها أنا راض قانع، إنها تزيل هموم قلبي، لم يخلق مثلها.

(٦٠٩) يا دار أين التي ترعى قلبي، ولو جرت عليها تغفر ذنبي.

(٦١٠) عندها أجابتني الدار، قائلة بصوت شنع جدا: «يا سيء الحظ إن خِلّكَ زار القبر البارد».

(٦١١) يا ليت ذلك الصباح ما كان قد طلع، ولا تبدل ليله بنهار.

(٦١٢) إنه صباح لعين فرق شملي، نهار الأربعاء قاتله الله عابس شديد الغدر.
الأرادنة ولا سيما البدو منهم، يتشاءمون بالثلاثاء وبالأربعاء، قال قائلهم: يوم الثلاثاء لا تسيروا بنية والأربعاء إلا أن يكون بكور. أي لا تبدؤوا عملا نهار الثلاثاء ولا نهار الأربعاء إلا إذا كان يوم الأربعاء هو غرة الشهر، وقال المتشائم الأربعا كفى الله شر الأربعا يا!

(٦١٣) ناديت ابنتي (سارة)، تعالي مسرعة، مزقي ثيابك واصبغي خدك بالقار.

(٦١٤) عمرك صغير لم يتجاوز بضع سنين، وأمك ماتت يا بائسة الحظ، وأنتم صغارا.

(٦١٥) الله يرحم كل رضيع مسكين، ويرحم من وخطه الشيب، وضربه على أم رأسه، وأبقاه حائرا.

يرحم صغيرا، صارعه الموت صرع

إو خلاه خلفه إو مظلم القبر كن زار[٦١٦]

يا رب قبل النضج حصدت زرعي،

يا بلشتي يا خالقي كومة ازغار[٦١٧]

* * *

تتميز هذه القصيدة بأنها تقطر لوعة وأسى، وبأنها تصور بعض مزايا (وضحا).

١ - اتفاق طبعيهما.

٢ - إنها لا تحاسبه على هفوة.

٣ - إنهما تبادلا حبا بحب.

٤ - إنها لم تدر له جانبا، إذ كانت عندما تنصرف من عنده، تظل مواجهة له، لا تصرف وجهها عنه.

٥ - إنه أنطق الدار، وهو إنطاق ما لا ينطق.

٦ - إنه سكب فيها شيئاً من تشاؤم البادية.

٦ - إن هذا البيت الذي ختم به القصيدة مبتكر: «قبل النضج حصدت زرعي! وتفوق على الكثير من الأدباء، الذين يستعملون النضوج مصدرا لفعل نضج، وهو خطأ. والصواب، ما استعمله نمر، النضج.

هذه قصيدة من (نمر) يرد بها على تعزية جاءته من صديق اسمه (يوسف أبو انصير). وكل ما بذلنا من جهد، لنحصل على قصيدة التعزية، فإننا مع

---

(٦١٦) رحم الله صغيراً صارعه الموت، فصرعه، واختطف أمه إلى القبر المظلم، وتركه يتيما.

(٦١٧) يا إلهي حصدت زرعي قبل نضجه، يا لمصيبتي. عندي كومة صغار، أي مجموعة من الأطفال، تجمع بعضهم على بعض لعدم وجود من يرعاهم!

الأسف، قد أخفقنا! ويبدو أن هذا الصديق من (الديرة الغربية)، كما كان الأرادنة يسمون (فلسطين). إذ لم يكن اسم (فلسطين) معروفا، فكان أهل (فلسطين)، إذا ذكروا أحداً من الأردن، يقولون: «شرقاوي، وأهل الأردن إذا ذكروا أحدا من أهل فلسطين، لم يعرفوا بلده، قالوا: غرباوي، وإلا فهو - نابلسي، تلحمي، بجالي، خليلي، قدسي، وما شابه ذلك. أبو انصير يبدو أنه من أصدقائه في الديرة الغربية، كما يشير جواب (نمر).

القصيدة:

ريض لي يا ناصيا امن الغرب ديرة،
حذلي جواب اكتاب (يوسف) امدزيه[٦١٨]

سلاما فاحت به امسوك كثيرة
باللمس فاح العنبري من مثانيه[٦١٩]

سلام غايب منتحي له ابديرة
مشتاق ع غفله كنه إملاقيه[٦٢٠]

يشكي لنا فرقة فتاة غريره،
من كي خبا للهم والبين واليهْ[٦٢١]

ع حيرتي ما مثلها عاد حيرة،
يا بلوتي (أيوب) هُوْ ما ابتلى بيه[٦٢٢]

---

(٦١٨) أيها القادم من الديار الغربية، تريد مواجهتي نصا، تمهل، وخذ جوابا عن كتاب بُعِثَ إليّ ٩ (يوسف أبو انصير).

(٦١٩) تحية فاحت منها طيوب كثيرة، عندما لمست الكتاب، انتشر من ثناياه العنبر.

(٦٢٠) سلام من ديار بعيدة من مشتاق، تلقى كتابك، وكأنه يلقاك.

(٦٢١) يشكون لنا فراق فتاة غريرة، من كي خبأ له الهموم ولحقه الموت.

(٦٢٢) أما أنا، فحيرتي لا مثيل لها، فأيوب الصديق لم يبتل بما به ابتليت.

جـسمي نـحـل والـعـيـن مـنـي بـصـيـرة،

قلبي عليل إو لا لقى من يداويه(٦٢٣)

يا عم وافهم علمنا ما اهنا غيره،

إياك من هرج تقوله، إو تطريه(٦٢٤)

ويروى: ماش غيره بدل ما اهنا غيره.

ما لي غير سكب الدموع الغزيرة،

يا لوعتي بالقلب كل ما افتكر بيه(٦٢٥)

ما بين هوج اموج تسمع صريره،

عي القلم يكتب إو جهدي أداريه(٦٢٦)

كل مارقيت امشمرخه مستديره

وش ما غشيت امراح يا عم أنا أبكيه(٦٢٧)

أنا اليوم ضايع لي فتاة غريرة،

لا بالمشارق إو لا المغاريب انلاقيه، (نلاقيه)(٦٢٨)

لا هي نغواشة إو لا هي قصيرة،

إو لا هي رقيقة بين ارقاق المشانية(٦٢٩)

---

(٦٢٣) جسمي هزل، وعيني تبصر، أما قلبي فهو عليل، وليس له من يعالجه.

(٦٢٤) يا عم، أرجو أن تفهم، أن قضيتي لا مثيل لها، فأرجو أن لا تتطرق إلى حكايات تعزية وغيرها.

(٦٢٥) ليس لي سوى سكب الدموع الغزيرة، كلما فكرت فيها التاع قلبي.

(٦٢٦) ما بين اضطرابات، رفض القلم أن يكتب، وقد بذلت كل جهدي ألاطفه لكنه أبى.

(٦٢٧) كلما ارتقيت مرتفعا مستديرا، أو مررت بمنزل، يا عم، أذكر الحبيبة وأبكيها.

(٦٢٨) أنا اليوم قد فقدت فتاة لطيفة، لا يمكن أن تجد مثيلا لها لا في الشرق ولا في الغرب.

(٦٢٩) لا هي طويلة جدا، ولا هي قصيرة، ولا هي ضامرة ضمورا شائنا.

ريحة عرقها فاح مسك أو عبيره

ذوب العسل السكري بين اشافيه[٦٣٠]

حبي غدا بين الجوانح ذخيرة،

طول الزمان ابسيرة الموت نطريه[٦٣١]

يا الله دينا يتبع الدين جيرة،

إو حياة من هوه خلقنا نرجيه (نرضيه)[٦٣٢]

اللي يجي يا ناس لي بشيرة،

جميع ما ملكت يميني أنا انطيه[٦٣٣]

من لامني، لا كثر الله خيره،

الله يقطع من مراده مراشيه[٦٣٤]

* * *

من قصيدة يخاطب بها ابنه (عقاب)، ذاكرا ما يلقى من بعض الشامتين:

البارحه يا (عقاب) هُود امن الليل،

الكل يا أوليدي يلذذ في منامه[٦٣٥]

---

(٦٣٠) رائحة عرقها مسك وبين شفتيها العسل الذائب.

(٦٣١) حبيبتي ادخرت ذكرها بين الجوانح، وهي الضلوع التي تحت الترائب مما يلي الصدر، وقد سميت بذلك لانحنائها! ودائما أذكرها.

(٦٣٢) قسما يتلوه قسم، واستجارة بالله، قسماً بخالقنا الذي نرجو منه كل خير.

(٦٣٣) الذي يبشرني بعودة الحبيبة، أقسم بأني أهب له كل ما ملكت يميني، وقد استخدم الاستنطاء، قلب العين نونا، وقد نطق بها الرسول عليه السلام في قراءته لسورة الكوثر: ﴿إنا أنطيناك الكوثر﴾. الكشاف للإمام الزمخشري ج ٤ ص ٢٣٧. قلب العين نوناً شائع في البلقاء وقلب الهمزة عيناً شائع عند بني حميدة وبعض قبائل الأردن.

(٦٣٤) الذي يلومني على حزني لاكثّر الله له الخير، قطع الله رجاءه من كل ما يرجو في الحياة.

(٦٣٥) البارحة - يا(عقاب) يا ولدي، لما سكن الليل وسعد كل في منامه.

ويروي: **الكل يا ابني مسعد في منامه،**

وبهذه الشطرة يصح الوزن

الناس يلهو باهروج إو تعاليل،

وأنا اتسلى باهروج إو ملامه(٦٣٦)

واهول عيني من اهوال التهاويل،

يا ويل قلبي من هواتف احلامه!(٦٣٧)

كل ما بدا ضحضاح فجر بدا ليل

أنحب نحيب الطفل حزة افطامه(٦٣٨)

يا (اعقاب) والله لو أن النوح يبري تعاليل

لا بدي سقيما ناحلات اعظامه(٦٣٩)

لا صبح براس الشفا يا هلا الخيل،

واغز قيدي فوق رمحي علامه(٦٤٠)

لن قلت ريدن راح واصبح بالحيل،

يزفونني يا مهجتي بالملامة(٦٤١)

---

(٦٣٦) كانت تسليتهم في أحاديث وحكايات، أما أنا فكان تفكيري منصرفا إلى ما يتناولني به الناس من انتقادات وجلد اجتماعي!

(٦٣٧) يا لهول ما ألقى، ويا لهول ما يسحق قلبي من هواجس وأحلام.

(٦٣٨) كلما بدا لي بصبص من أمل التعزية، غشاني ظلام البؤس، وبكيت، كما يبكي الطفل لحظة فطامه!

(٦٣٩) أقسم بالله يا ولدي (عقاب)، لو أن البكاء يزيل اللحم عن الجسم، لكنت أظهر ناحلا لا لحم على هيكلي العظمي.

(٦٤٠) صرخت في رؤوس المرتفعات العالية، مستنجدا، قائلا: أيها الفرسان ساعدوني خفوا إلى نجدتي، وقوله، هلا الخيل هذا، هو ما يستغيث به البدو عندما ينهب الغزاة إبلهم، وهذا النداء الخاص بأهل الخيل من أجل السرعة في النجدة، وأرفع قيدي على رأس رمحي، علامة استنجاد.

(٦٤١) إذا قلت حبيبي مات، وصحت بأعلى صوتي، يواجهونني - يا دماء قلبي - بالملامة ما فيهم من يعزيني!

ما هم سوى يا (اعقاب) كل الرجاجيل،

بيهم أنسوينن ما يقهقر كلامه[٦٤٢]

الناس بهم عقال إو بيهم مهابيل،

بيهم عدو لي إو بيهم غرامه[٦٤٣]

والله لولا الخوف إمن القال والقيل،

لا سيب الدنيا واسيب أقدامه[٦٤٤]

وانعل فعايل ما فعلهن مجانين،

يشدن فعايل عم (مفلح سلامه)[٦٤٥]

يا رب بتسبيح نورك أو تهاليل، ويروي تهاليل بغير او

بحق من ظللت عليه الغمامة[٦٤٦]

إينور النهار مع دجى ظلمة الليل،

بحق موجات البحر بالتطامه[٦٤٧]

بالعرش بالكرسي تامر (سرافيل)

عجل لنا يا خالقي بالقيامة[٦٤٨]

تكتب مشاهد نور عيني إو تهليل،

بجنة الفردوس دار الكرامة[٦٤٩]

---

(٦٤٢) ليس كل الرجال في مستوى واحد، إن بينهم من هو زير نساء، لا يقدر كلامه.

(٦٤٣) الناس بينهم عقلاء، وبينهم الذين لا عقل لهم، وبينهم أعداء، وبينهم من بيَّتَ لي حقدا.

(٦٤٤) أقسم بالله لولا خوفي من أقاويل الناس، لا هجرن الدنيا وكل مطالب الحياة.

(٦٤٥) ولأعملن أعمالا ما عمل مثلها المجانين، تشبه أعمال العم (مفلح سلامة)!.

(٦٤٦) يا إلهي أسبح نورك واردد لا إله إلا الله، وأطلب منك بكرامة من ظللت عليه الغمامة النبي (عليه السلام).

(٦٤٧)

(٦٤٨) بكرامة عرشك الإلهي، تأمر الملاك (سرافيل) بأن يسرع بيوم القيامة.

(٦٤٩) وتكتب في يوم القيامة هذا، أن نور عيني، (وضحا)، في جنة الفردوس. دار الكرامة، حيث يقيم من كرمتهم يا إلهي! لأردد لا إله إلا الله!.

مـن لامـنـي يـبـلـى بـفـقـر إو بـالـويـل،
يجيه سلطان الموت إو هو في منامه[650]

ويروي: من لامني يبلاه بالفقر والويل،
يـغـولـه مـلاك الـمـوت ابـلـذة مـنـامـه

مـا يـمـهـلـه لـمـا يـطـارد مـع الـخـيـل،
ميـتـة خـسـيـس تـذل مـالـه كـرامـه[652]

الموت في المعركة كرامة

كانوا يعدون موت الرجل في المعركة أو غازيا شرفا له، وعلى نقيض ذلك موته على الفراش فجأة، مما يحزن له! وقد روي لنا أن إحدى النادبات بكت أباها قائلة: «يا حيف ابو فلان يموت فطيس، لا هو بأول جماعته، إو لا هو باتالي ربعه!».

أي، لا هو في أول المغيرين عقيدا، ولا هو في ساقة الكاسبين يحمي آخرهم من المهاجمين!.. (الطلب).

وهذه قصيدة تؤرخ لحلم رآه (نمر)، وشاهد(وضحا) تزوره، لما مضى من شهر رمضان ثمان ليال، وقد قيل لي أن القصيدة في الأصل، تزيد على عشرين بيتا، لكن هذا ما حصلت عليه منها:

زارن ولـــيـــف الـــروح غـــايـــب زمـــانـــا،
شكيت له أحزان قلبي ابتوجيع[653]

---

(٦٥٠) ادعو على الذي يلومني، بأن يبتلى بالفقر، ويموت أحبائه، وبأن يباغته سلطان الموت في منامه.

(٦٥٢) لا يمهله لينال عزا ومجداً بمشاركة الفرسان بالإغارة في غزوة، وأطلب منك يا إلهي أن تميته ميتة خسيسة ميتة تذل لا كرامة له.

(٦٥٣) زارني حبيب روحي الغائب من زمن بعيد، فشكوت إليه أحزان قلبي بتوجع!

إيـلـيـلـة ثـمـان بـلـيـالـي أرمـضـانـا،

مزهي قمرها والكواكب لواميع،[٦٥٤]

حـيـاك ربـي يـا حـبـيـبـا نـسـانـا ـ،

لو هو نسانا ما شرينا ولا انبيع ـ![٦٥٥]

مـا تـرحـمـن بـزورة مـن زمـانـا؟!

لو ساعتين أو ثلث من قبل توديع،[٦٥٦]

قـلـبـي هـبـيـل بـالـخـلايـق شـنـا نـا،

يا شاري القلب الامشقي وانا ابيع![٦٥٧]

قـلـبـا ابـقـلـب زود مـنـا ثـمـانـا،

وضح، معاهن الشلايا توابيع![٦٥٨]

أريـد قـلـبـا مـا وطـاه الـزمـانـا،

أرتاح من كشر الدواوين وأريع![٦٥٩]

مـن لامـنـي يـبـلاه رافـع سـمـانـا،

يبلاه ربي بسبع سود التسابيع![٦٦٠]

❁ ❁ ❁

هذه قصيدة يخاطب بها ابنه (عقاب). ملاحظة: عندما نثبت (عقاب) بلهجة المرحوم (نمر) على لفظه عندهم، لأنهم يبدأون هذا الاسم ساكنا، لذا

---

(٦٥٤) وقد مضى من رمضان ثمان ليال والقمر زاه والكواكب تلمع.

(٦٥٥) حياك الله أيها الحبيب الذي نسينا، نحن ما استبدلناه به، ولو أنه هو نسينا.

(٦٥٦) ألا ترحمنا بزيارة كل هذا الزمن ولو ساعتين وثلث الساعة قبل الوداع.

(٦٥٧) و(٦٥٨)قلبي قليل العقل، فضحني بين الناس. من يشتري القلب الذي توالى عليه الشقاء؟ وأنا مستعد أن أبيعه! قلبا بقلب وثماني نياق معهن مجموعات من النعاج.

(٦٥٩) أريد قلبا ما أذله الزمان بالمصائب، لكي أرتاح من لوم الناس وتشفياتهم وشماتتهم، وأعود مرتاحا.

(٦٦٠) الذي يلومني أدعو رافع السماء، أن يبتليه بسبع السبعات: راجع سبع السبعات في قاموس العادات واللهجات والأوابد ط ١، ط٢ ج٢، ص ٣٦ للمؤلف.

نضع قبله همزة، أما في ما نكتب نحن، فنعامل الاسم المعاملة الصحية بلا همز.

يا(اعقاب) وين العز الحالي إو حالك؟

غير اغراب البين حالك إو حالي!(٦٦١)

ويروى: **يا اعقاب واعزي الاحالك إو حالي**

إنـفـت لـيـالـي زاهـرات ابـدلالـك،

زالت اسعودك مع هذيك الليالي،(٦٦٢)

جاني صديق قال - أهفيت حالك،

تصير - مثلي لولاك عندك تسالي(٦٦٣)

قال: «**يا (نمر) عيب والله هذا اهبالك،**

قلت أنا مجنون مالك إو مالي؟(٦٦٤)

ويروى: **قال استح يا (نمر-) عيبا اهبالك!**

مجنون أنا يا شيخ مالك أو مالي؟(٦٦٤)

قال استح والناس تهرج ابذالك،

قالم هبيل إو قلت «ما به اهبال»!(٦٦٥)

يا (اعقاب) تلعب مع صغاير امثالك،

وأنا على نيران قلبي ألالى(٦٦٦)

---

(٦٦١) يا(عقاب) أين العز والمجد لك ولي، أدبرت الليالي، فغير غراب البين حالنا!
(٦٦٢) ذهبت الليالي الزاهرة بالحظ السعيد، بدلالك، زال حظك السعيد مع تلك الليالي.
(٦٦٣) جاء صديق، وقال لي: «أهلكت نفسك!» أجبه، تكون مثلي لولا عندك من يسليك.
(٦٦٤) قال لي: إن ضعف عقلك هذا عيب عليك، أجبت أنا مجنون مالك ومالي؟
(٦٦٥) قال لي: استح الناس كلهم يلومونك، ويقولون أنك مهتز العقل، فأجبتهم أنه ليس مهتز العقل.
(٦٦٦) يا عقاب أنت تلعب مع لداتك الصغار، وأنا أتقلب على نيران قلبي، أصرخ بصوت عال جداً.

طـيـر الـسـعـادة طـار لالـي إولالـك،

هف او هفا يا (عقاب) لالك أو لالي![٦٦٧]

مـن عـقـب ذلـك طـيـب الـلـه فـالـك،

دعنا نزور الصاحب اللي غدا لي![٦٦٨]

أقـول لـه إرحـم صـديـقـا عـنـا لـك،

أشكي لها يا (اعقاب) أللي جرى لي![٦٦٩]

يروى: أقول له ارحم سقيما عنا لك.

ألحول حال إو ما نظرنا خيالك   لا صاحباً لي صرت أو انته حلالي[٦٧٠]

دنـيـا غـرورة صـاحـبـي اهـفـيـت مـالـك،

تف على الدنيا خيال ـ أو زوال،[٦٧١]

يـاـ لا يـمـن الـلـه يـقـطـع ارجـالـك،

الله يدعي حالتك مثل حالي![٦٧٢]

---

(٦٦٧) طير السعادة طار عنا، فلم يعد لي ولالك سعادة، طير السعادة ذهب، ولا أدري أين توجه، لأنه اختفى، فلم يبق سعادة لالك ولا لي.

(٦٦٨) بعد هذا الذي ذكرت، أسأل الباري أن يكتب لك الفأل الحسن. ودعنا نزر الحبيب الذي فقدنه.

(٦٦٩) أقول لهذا الحبيب ارحم سقيما جاء إليك عامدا، أشكو إليك يا (عقاب) ما أصابني.

(٦٧٠) أقول لهذا الحبيب مر حول كامل ما شاهدنا خيالك، لم تعد صديقا لي، ولست زوجاً لي.

(٦٧٠) مر علينا حول كامل ما شاهدناخيلك لم تعد صديقا لي ولست زوجا.

(٦٧١) أجابتني: «الدنيا شديدة الغرور، يا حبيبي أفنيت وجودك، وأموالك، بصقة على الدنيا، إنها خيال عابر وزوال زائل!

(٦٧٢) أيها الذي تلومني، أسأل الباري أن لا يبقي لك من الأعوان الذين يشدون أزرك أحدا، أسأل الباري أن يجعل حالتك بائسة مثل حالتي!

هذه القصيدة فيها من المرارة واللوعة ما يشير إلى أوضاع (نمر) الثائر على العادات والتقاليد في رثائه لزوجه في تلك الأيام، التي لم تكن فيها منزلة الزوجة، ترتقي فوق منزلة الأمة، وإن ارتقت فهي ناقة من النياق، لا أكثر، ولعله أقل.

فقد مر بنا أنهم عند التعزية بالزوجة، كانوا يصافحون الأرمل قائلين: «فراش جديد!» بمعنى هنيئا لك بزوجة جديدة!

من روائع (نمر) في رثاء (وضحا)

يا راكب اللي خفه بالقاع ما بان،

اشقح شراري شامخ المتن نابي،(٦٧٣)

إحفظ ازمامه ثم هوزه إيمحجان

ع الرمس يسهي لون سهي الأعقاب(٦٧٤)

ويروى: (مثل) **سهي الأعقاب.**

الله! من بين ركبنا اركويان،

شطر ابقلبي ماضيات الركاب(٦٧٥)

خلف ابقلي ستة آلاف سودان

سمرا سراحينا سواد الاغراب(٦٧٦)

والفين مدينة إو ثلاثة آلاف دكان

إو ميتين سوق قافلات الأبواب(٦٧٧)

والفين كور امقابله ألف سدان،

والفين تضرب ع السدن ما تهاب(٦٧٨)

---

(٦٧٣) يا راكب الذلول التي لسرعتها، لا تظهر آثار أخفافها على الأرض، وتلك الذلول ضارب لونها إلى الشقرة المشوبة بالبياض. سنامها عال من إبل الشرارات المشهورة بالمزايا المتميزة.

(٦٧٤) احفظ زمام الذلول، وأوهمها بأنك تريد أن تضربها بالمحجانة - العصى المعوج طرفها، والكلمة من حجن العود عطفه، عربية فصيحة. وهذه الذلول توصلك بسرعة، كأنها العقاب المنقض على فريسة له - والذلول للمذكر وللمؤنث.

(٦٧٥) أشكو إليك يا إلهي هذا الفراق الذي ألح علينا، كأنه ركبنا ركويا، وحدد على قلبي أطراف الركاب فمزقه - كأنه مهماز.

(٦٧٦) أبقى في قلبي هذا الفراق المحزن ستة آلاف زنجي كالذئاب، سوادهم كسواد الغربان.

(٦٧٧) وخلف بقلبي ألفي مدينة، وثلاثة آلاف دكان، ومائتي سوق مقفلة الأبواب، كل ما فيها أحزان في قلبي.

(٦٧٨) وخلف بقلبي ألف كير، يقابلها ألف سندان، وألفي ضارب على السنادين، لا يتعبون.

والفين عقرب مع ثلاثة آلاف ثعبان،
دفاقة للسم ـ دفق السحاب[٦٧٩]

إو ستين كرة دج مدراج سقمان،
روم الوطن من مخلفين الجواب[٦٨٠]

إو تسعين كرة إليركبوا خيل فرسان
الكل وكلهم إيصنعة عذابي[٦٨١]

لما سلوني سل مسلول ظابان،
سرساق ساري، ساح سح السراب[٦٨٢]

إدموع عيني هالة سيل (حسبان)،
هتف المزن لن لاح برق ابعذابي[٦٨٣]

مالي امعين ايعنني كود الإلسان، (اللسان)
لقلت هيا الما بالسيل جاب[٦٨٤]

ويروي: «لقلت هيا بالماء كما السيل جاب

---

(٦٧٩) وأبقى هذا الحزن في قلبي ألفي عقرب مع ثلاثة آلاف ثعبان، كلها تدفق السم في قلبي كدفق السحاب.
(٦٨٠) وأبقى في قلبي ستين مليونا - كانوا يسمون المليون كرة - من السود المعتمة ألوانهم، مرضى من بلاد الروم، كلامهم لا يفهم، لأن لغتهم مخالفة للغتنا!
(٦٨١) وأبقى هذا الحزن في قلبي تسعين مليوناً من الفرسان، الذين إذا ركبوا الخيل، كل واحد منهم حاذق، وكلهم وكّل إليهم ابتكار أسلوب عذابي.
(٦٨٢) إلى أن جعلوني ناحلا كالسيف، ضابان وظابان - السيف باللهجة الأردنية، السيد المسلول، وحولوني خيالا كالسراب.
(٦٨٣) دموع عيني منسكبة بغزارة كأنها سيل (حسبان)، تدفق دموعي كتدفق حزني، عندما تجمع برق عذابي.
(٦٨٤) ليس لي مساعد يساعدني سوى لساني، إذا قلت أسرع لي بالدمع، يسمى الدمع ماء لكثرة تدفقه، إذا قلت ذلك جاءني بسيل من الدموع.

لو كنت أنا يا (اعقاب) حاضر بالاوطان

واحضر انا يا (اعقاب) فرقة احبابي[٦٨٥]

ابوس - مبسم بس باسه اخريسان،

أ ـ لكهرب الكركير للكيف جاب[٦٨٦]

من سيل سال من سل واسقان،

سكر سكرني، كان لذة شرابي،[٦٨٧]

ياما رمت بلحظها كل غيان،

يضحي طريح ما يرد الجواب،[٦٨٨]

يا ما رمت بين الطلاسم ابصبيان،

عيوق ما عاقت ضمير الذياب ـ[٦٨٩]

من فوق شلح امشولح الليل سكران،

إن شعته من يم (نمرين) طاب[٦٩٠]

بالذكر قالوا ساكنه يم (رضوان)

من دونها حجاب والفين باب[٦٩١]

خلقت ابجنح القلب جال جلوجان،

جن جنين القلب جوى اجناني[٦٩٢]

---

(٦٨٥) لو كنت حاضرا في الوطن عند فراق أحبتي لخف شيء من حزني.

(٦٨٦) كنت أقبل المبسم الذي لم يقبله غيري، سوى طرف الغليون الذي صنع من الكهرب النقي الذي يجلب اللذة.

(٦٨٧) من سلسبيل اللذة سقاني إلى أن سكرت من لذة شرابي.

(٦٨٨) ما أكثر ما أمرضت لحظاتُها كلَّ طلاب الهوى، الذين لتعلقهم بها، لم يستطيعوا أن يردوا جواباً.

(٦٨٩) وما أكثر ما أمرضت من الذين حاولوا، أن يتوصلوا إليها بالطلاسم والحجب، وهم من علية القوم.

(٦٩٠) فوق جمل ضخم طويل القوائم، إذا وجته نحو نمرين طابت رائحته.

(٦٩١) يذكرون أن (وضحا) مقيمة عند (رضوان) حارس الجنة، يحول بيننا وبينها حجاب وألفا باب.

(٦٩٢) خلقت بجانب قلبي زاوية، هي ضريحها، ليس له مثيل في القبور، لأنه مخفي كالجنين في داخل قلبي.

ويروي: (خلف ابجنح القلب نبعا امن الاحزان،)

خـرق لـفـح مـن زايـم الـخـزم زعـلان

زينة زعا ـ ع أو زايديته ذهاب(٦٩٣)

الـخـد نـور الـخـد يـا نـاس لـو بـان،

غاب البدر مخجول يسرع اعتاب(٦٩٤)

الـصـدر صـافي جـهـد سيـل (حـسـبان)

فوق السراة مدقوقة سيل ساب(٦٩٥)

ويروي - الصدر اصفى لون من سيل (حسبان)،

فوق السرار امدقدة سيل ساب(٦٩٥)

الـبـطـن اطرى مـن طـراطي طـلـسـان،

ديباج سيد الخز طيب الثياب(٦٩٦)

عـفـت الـسـبب ثـم الـدمـقـسي والاوطـان

من بعدهم يا (اعقاب) مما جرى بي(٦٩٧)

لا ركـب امـدملـج هـوذلي سـهـم نـيـشـان،

سلهوب دلغوب مع الموج ساب(٦٩٨)

---

(٦٩٣) كريمة اختارها الموت، وغادرتنا كأنها غافية، جمالها مذهل، وقد زاده قيمة ما عليه. من الحلي الكريمة «زايم» موت محرفة عن السريانية(زوم) الموت.

(٦٩٤) أيها الناس لو ظهر خدها لغاب البدر خجلا معاتباً للذين أظهروا خدها معه.

(٦٩٥) صدرها أشد نقاء من مياه سيل (حسبان) المشهورة مياهه بالصفاء، أن لا أشك في أن المرحوم (نمر العدوان)، قد اطلع على نشيد الأناشيد في التوراة، إذ ورد في الاصحاح السابع مخاطبا حبيبته «عيناك كالبرك في حسبون» - حسبان -.

(٦٩٦) وبطنها أنعم من طيات الحرير الأملس، كالديباج وخلاصة الخز أطيب الثياب، وهذا الوصف متأثر أيضا بنشيد الأناشيد من التوراة.

(٦٩٧) كرهت نفسي بعدها انفس أنواع الكتان - السبب - وأنقى الحرير - والديار نفسها كرهتها نفسي، لما أصابني بعدها يا عقاب.

(٦٩٨) لاركبن راحلة ضخمة سريعة، كأنها السهم انطلق إلى الهدف، واختار فرسا سابحة تسابق الريح سرعة.

يـا(اعـقـاب) خـلـيـنـا انـجـدد بـالأحـزان

اصبغ اثيابك وانت تصبغ اثيابي[(٦٩٩)]

وانـهـل دمـع الـعـيـن لـولـو ومـرجـان،

وانجوح جوح امهرفلات الذياب[(٧٠٠)]

يـا(اعـقـاب) احـلـف لـك ثـلاثـة بـالأديـان

حياة النبي والبيت، وأربع اصحاب[(٧٠١)]

ويروى: وحق النبي والبيت وأربع أصحاب

من عـسـجـد الـمـضـروب دنـيـاك لـو كـان

تسوى عشر كرات جملة احساب[(٧٠٢)]

بـنـات (حـوا) كـلـهـن حـر واحـسـان،

حمر النعم والصافنات الطياب[(٧٠٣)]

شـبـا ذكـرتـه يـودعـونـه ابـمـيـزان

(وضحا) وحدها ما عليها الثياب ـ[(٧٠٤)]

---

(٦٩٩) يا (عقاب) دعنا نجدد أحزاننا، أنا أصبغ ثيابك، وأنت تصبغ ثيابي.

(٧٠٠) نسكب دموع أعيننا لؤلؤا ومرجانا، ونصرخ بحزن وكآبة، كما تعوي الذئاب التي هرأها الجوع.

(٧٠١) يا(عقاب) أقسم لك ثلاثة إيمان:-
أ - حياة النبي - عليه السلام -
ب - والبيت - الكعبة.
جـ - وأربعة أصحاب النبي، الخلفاء الراشدين.
- أبو بكر، ٢ - عمر بن الخطاب، ٣ - عثمان بن عفان، ٤ - علي بن أبو طالب.
* قولنا علي بن أبو طالب أصح من قولهم علي بن أبي طالب - معجم المساعد الجزء الأول. وتاج العروس - العزيزي-.

(٧٠٢) كل ما في الدنيا من الذهب المسكوك نقودا، (وضحا) تساوي عشرة ملايين أضعاف منه.

(٧٠٣) كل النساء في الدنيا - بنات (حواء)، بل أجمل بنات حواء، وكل ما في الدنيا من إبل، وخيل أصيلة.

(٧٠٤) كل الذي ذكرته، لو وضع بميزان ووضعت مقابله (وضحا) وحدها عارية من الثياب

لو خيروني اخترتها أو قلت كسبان،

إو حياة من يامر أبنهض السحاب[٧٠٥]

بعتك حياتي ابربع درهم إو دينار،

من يوم قالوا البين نايش (اعقابي)[٧٠٦]

يا رب خذ روحي خذها بالاحسان،

قضيت بالدنيا احسابي أو عذابي![٧٠٧]

من لامني يبلاه ابرهط امن الجان،

يقضي زمانه بشمات أو عذاب[٧٠٨]

وهذه قصيدة لـ (نمر)

سار القلم يا(عقاب) بالحبر سارا، بزفزف القرطاس يا مهجتي سار[٧٠٩]

بي غرام القلب كن شب نارا، لا ناره النمرود يشبه لها نار،[٧١٠]

يا (عقاب) من وجدي اعيوني سهارا، نقل ذرور الشب بيهن أو جنزار[٧١١]

على وليف راح عني توارى خلان بالدنيا شقيا أو محتار[٧١٢]

عليه لشق الثوب وأخور أخوارا، واحن كني حيد ضاوي على الدار[٧١٣]

والله لاهي كذب اولا هي اقمارا، إو لا زعم أني للتماثيل سطار[٧١٤]

---

(٧٠٥) لاخترتها وحدها عن كل هذا كله، وقلت أنا الكاسب، وحياة الإله الذي يأمر برفع السحاب وحركته.

(٧٠٦) لقد بعت حياتي بأزهد الأثمان ربع درهم ودينار، لما قيل لي أن الموت يتم عقابي.

(٧٠٧) يا إلهي اقبض روحي، فقد استوفيت كل ما لي في الدنيا من حساب وعقاب.

(٧٠٨) أدعو على الذي يلومني بمجموعة من الجن، وبأن تنغص حياته بشماتة الأعداء والعذاب.

(٧٠٩) تحرك القلم بالحبر مستمرا على الورق، ويسمع له صرير يا (عقاب) يا حبيبي.

(٧١٠) غرامي في القلب كأنه نار متقدة، ونار قلبي ليس في النيران ما يشبهها، إنها جبارة كالنمرود.

(٧١١) يا عقاب عيناي ساهرتان أبداً لشدة حزني كأنما ذر فيهما الشب أو الجنزار. الزنجار.

• الزنجار: هو صدأ النحاس، والكلمة فارسية.

(٧١٢) حزني على حبيب ذهب عني واختفى، وتركني (خلان أصلها خلاني) في الدنيا شقيا حائرا.

(٧١٣) لأمزقن ثوبي حزنا على الحبيب، وأصرخ بأبشع الأصوات، الذي هو الخوار. وأئن أنينا حادا كأنني جمل مهزول، لا يستطيع أن ينهض، بارك في دار العرب لهزاله. هو الضاوي.

(٧١٤) أقسم بالله صادقاً لا رياء ولا تظاهرا ولا تملقا واستدرارا للعطف، ولا أنا ممن يحسنون التمثيل.

و حياة بيت الله - جاها الشورا -، أو حياة من جاب الدليلات مختار[٧١٥]

يا (عقاب) لو توقف جميع العذارى، من فلك نوح لا بلاد تونس أو سنجار[٧١٦]

إجمع بنات الحضر وسط النهارا، متحفلات بالحلي تقل نوار[٧١٧]

واجمع بنات البدو نسل الأمارا، فوق الهوادج اتحفله بكل صوار[٧١٨]

واجمع بنات اصليب فوق الشهارا، متخالفات ألوانهن تقل نوار،[٧١٩]

إجمع جميع البيض ذاك النهارا، تقول لي يا (نمر) قم خز واختار،[٧٢٠]

ما اختار أنا غير منظور عيني أخيارا، الصاحب اللي فر قلبي معه طار[٧٢١]

زينة بياض اخضر-اني أو حمارا، بها الجمال اليوسفي زايد انوار[٧٢٢]

شمة انهوده به روايح ازهارا، ذبلة اعيونه تجعل القلب محتار[٧٢٣]

ريحة نسمها مثل ند البهارا، بين الشفايف صرخدا بايد خمار،[٧٢٤]

---

(٧١٥) إنها الحقيقة، قسما ببيت الله وكرامة أنواره، وحياة النبي الذي اختاره الله، ليرشد بالبراهين القاطعة (القرآن الكريم) إن الذي أقوله هو الحق.

(٧١٦) لو جاؤوا لي يا (عقاب) بكل النساء من اللواتي دخلن مع (نوح) في فلكه، وكل ما حوت البلاد إلى (تونس) و(سنجار)، وهي مدينة عراقية بسفح جبل قرب الحدود السورية مركز قضاء بمحافظة نينوى، اشتهرت في العهد العباسي.

(٧١٧) وجمعوا بنات الحضر في وضح النهار لابسات أثمن الحلى المختلفة الألوان، وظهرن كالنوار جمالا وإشراقا.

(٧١٨) وجمعوا بنات البدو وبنات الأمراء في البادية في هوادجهن، محفلات بكل أنواعه وأصناف الطيوب الفاخر.

(٧١٩) وجمعوا بنات «الصلبة» المشهورات بالجمال فوق أشهر الركائب.

(٧٢٠) ومن بين كل هؤلاء النساء تقول لي يا نمر، قم واختر من أحسن هذه الجماهير من النسا.

(٧٢١) لن أختار سوى ذاك الحبيب، الذي طار قلبي معه يوم فارقني، أعني وضحا.

(٧٢٢) جمالها بياض بمسحة من السمرة المحببة والاحمرار، وجمالها يتفوق على جمال يوسف الصديق ويبذه أنوارا.

(٧٢٣) استنشاق نهديها به طيب الأزهار، ونور جفنها يجعل القلب حائرا.

(٧٢٤) رائحة أنفاسها تشبه رائحة الند. العود الذي يتبخر به. والبهار، ورضابها ما بين شفتيها خمر بيد خمار.

يا (عقاب) أنا واياك ليل او نهارا،	نقطع سفينة(نوح) مع موج الابحار[725]
ليتي أنا وإياه نتنى الابكارا،	فوق السبايا واشهب الموج زخار[726]
لكن ملاك الموت جانا غتارا،	فرق او شتت كن غدا القلب محتار[727]
من دور(نوح) اليازمن (قندهارا)،	بلواي مثله بالملا عاد ما صار[728]
من لامني يا ليت ماله اكبارا	يقطع اكباره أو يحرمه ما رث الداره[729]
من لامني، لا ثور أو لا احمارا	الثور اشوى إن قلت له دور يندار[730]

نلاحظ أن هذه القصيدة تأتي على هذه التفعيلات:

مستفعلن مستفعلن فاعلاتن   مستفعلن مستفعلن فاعلاتن

فلا لوم على أهل البادية إن خصوا (نمرا) بوزن خاص من أوزانهم، فقالوا: (جرة نمر العدوان).

أي خصوه بوزن من أوزان شعرهم الخمسة عشر، وإن كانت أشعاره ليس كلها وزن هذه القصيدة.

* الضاوي على الدار تعني أنه لهزاله بارك على الأرض لا يستطيع أن ينهض.

---

(٧٢٥) يا عقاب، هلم أنا وأنت نسير ليلا ونهارا نستعين بسفينة (نوح)، ونسير مع أمواج البحار.

(٧٢٦) لعلي ألتقي الحبيب، وهي تلتقيني، ننتظر الابكار ممتطيات الخيل الأصيلة، والأمواج الزاخرة تضطرب مبيضة الألوان.

(٧٢٧) لكن ملاك الموت (عزرائيل) فاجأنا غدرا، فرق شملنا، وشتتنا، فأصبح القلب حائرا.

(٧٢٨) من نوح إلى زمن ازدهار مدينة قندهار، مصيبتي ما حدث مثلها إلى الآن.

(٧٢٩) الذي يلومني، أسأل الله أن يفني كبار أهله، ويمحو صغاره، ويحرمه من يرث دياره بعد موته.

(٧٣٠) الذي يلومني، أحط من ثور وأخس من حمار، الثور ألطف منه، إذ قلت له در إلى تلك الناحية، يصغي، ويدور، أما عذالي فهم أحط من الحمير، والأبقار.

* هذه اللوعة التي رافقت هذا الشاعر إلى أن لقي ربه، تكاد تجعل شاعرنا هذا معجزة المحبين، يحزن الإنسان على أحبابه، أما أن يتمنى لو أنه مات، قبل أن ماتت (وضحا)، في زمن وفي محيط، كانت المرأة فيه لا تكاد منزلتها - عند القوم - ترتقي إلى المستوى الإنساني، فهذا هو العجب حقا.

ومما ينسب إلى نمر مقطوعات وفيها روحه، فيجب أن لا تفوتنا:

(١)

أنا البارحة بايعت روحي او شاريت،
عند الضحى يا (عقاب) دور طبيبي![٧٣١]

لو أدري إن اهواتي من اعداتي تذاريت،
لكن اهواتي بالخفا من حبيبي![٧٣٢]

لو المداوي هو يداويني تداويت،
لكن جرحي امعمق ما يطيبي،[٧٣٣]

وإن قيل عني عقب (وضحا) اختليت،
رضيت با كثر من كلام الامعيبي![٧٣٤]

يا (اعقاب) والله ذللتني أو ذليت،
ما أدري امن الدنيا وش هو نصيبي؟[٧٣٥]

ذليت نفسي بالحزن إو به تماديت،
ما دمت بالدنيا حزينا غريبي![٧٣٦]

---

(٧٣١) أنا حاورت نفسي، كأنني أعقد معها صفقة تجارية، فتوصلت عند الضحى أن ألجأ إليك يا(عقاب)، لتبحث لي عن طبيب يعالجني.
(٧٣٢) أنا لو علمت أن الطعنة الموجهة لي يدبرها أعدائي، كنت اتقيتها، لكن طعنتي جاءتني من حبيبي وأنا غافل.
(٧٣٣) أنا لو أعلم أن هناك طبيبا يتولى علاجي، لتداويت عنده، لكن يبدو أنه أصاب مني مقتلا، ولا شفاء.
(٧٣٤) إذا قيل أني بعد موت وضحا، فسد عقلي، فأنا راض بأكثر مما يتقوله علي المتقولون.
(٧٣٥) يا(عقاب) ذللني موت أمك، ورضيت بالذل، لأني لا أدري ما نصيبي من الدنيا بعدها.
(٧٣٦) أذللت نفسي، لما تماديت بالحزن، وليس لي سواه ما دمت في الدنيا حزينا غريبا.

يا ليتني يا (اعقاب) ميت مع الميت،

إو لا شفت أنا يا (عقاب) موتة حبيبي![٧٣٧]

* * *

ومن شعره هذه المقطوعة:

قالون لي يا (نمر) سافر مع الحاج،

يقضي لك الخلاق أفضل سبيلي![٧٣٨]

يا (عقاب) أنا لزيارة الغور محتاج

أبغي أجاور صاحبي وخليلي[٧٣٩]

يا (عقاب) أنا لزيارة القبر محتاج

أبغي أناجي فيه أشرف نزيلي[٧٤٠]

مجنون ليلى دوم سايح بالافجاج

ما أظن يشبهني أو لا هو مثيلي![٧٤١]

هذه اللوعة التي رافقت هذا الشاعر إلى أن لقي ربه، تكاد تجعل شاعرنا هذا معجزة المحبين، يحزن الإنسان على أحبابه، أما أن يتمنى لو أنه مات، قبل أن ماتت (وضحا) في زمن وفي محيط، كانت المرأة فيه لا تكاد منزلتها - عند القوم - ترتقي إلى المستوى الإنساني، فهذا هو العجب

---

(٧٣٧) أتمنى يا عقاب لو أنني ميت مع الموتى، ولم أر ميتة حبيبتي!

(٧٣٨) نصحوني، بأن أحج مع الذين يحجون، لعل الله ييسر لي سبيلا أفضل من سبيل اللوعة هذا.

(٨٣٩) أنا يا عقاب في حاجة إلى زيارة الغور، حيث قبر وضحا، لأجاور قبر من أحب.

(٧٤٠) يا عقاب أنا في حاجة إلى زيارة القبر، لأناجي أشرف ساكني القبور.

(٧٤١) قالوا إن مجنون ليلى قضى حياته هائما بين الأودية والجبال. والذي اعتقده، أنه لا يشبهني ولا يماثلني في مصيبتي!

حقا. وهذه رواية ثانية لقصيدته التي صرع بها النمر، الذي تحداه به المتحدي.

طليت أنا ع الصيد بارض الكشايف، والشمس ع بعض المطارح تغيبه[٧٤٢]

لديت واني لارقط اللون شايف، واللي انعدى بالصيد ما ينعدي به[٧٤٣]

هذا النمر لجملة الصيد خايف، وهذا عنق ربدا بلتنا امصيبه –[٧٤٤]

يا بندقي يا اللي عليك الوصايف، حتفي دنا وهذي المنايا قريبة[٧٤٥]

ملحك يدقنه -- كفوفا نظايف، وبزرك امدحرج من قضايب سكيبة[٧٤٦]

والله إن ما خليت اعظامه سنايف، حارم علي نقلتك ما اعتني به[٧٤٧]

وترد عليه بندقيته- وهو من انطاق الجماد - قائلة:

إن كنت مرعوب أمن الموت خايف، سوق النظر وافرق شذايع امسبيبه[٧٤٨]

وقع الفهد من بعد ما كان واقف، يا عرض كفه يا اربوعي عجيبة،[٧٤٩]

---

(٧٤٢) طل في اللهجة الأردنية. تعني أنه نظر من مكان عال. والمعنى، غير ما تعني الكلمة في المعجم. أي نظرت إلى الصيد من مكان عال، وكان الصيد في أرض ليس فيها شيء مختف، عندما كانت الشمس غائبة عن بعض الأماكن.

(٧٤٣) لديت - وهذه الكلمة لها معنى في اللهجة الأردنية، يختلف عن معناها في المعجم. فالأرادنة يعنون بها، نظرت مدققاً فرأيت النمر، ولكلمة أرقط المعنى نفسه في اللغة الفصحى، فرأيته لكن الذي يهاجم الصيد، لا يجوز أن يهاجمه الصياد.

(٧٤٤) هذا النمر الذي يخيف الصيد كله، وهذه أفعى تسعى نحوي، وقد ابتليت بمصيبة النمر والأفعى.

(٧٤٥) يا بندقيتي الموصوفة بين البنادق، موتي دنا، والموت أضحى قريبا مني، يقال إنه عندما صوب بندقيته نحو النمر، هاجمته أفعى كبيرة، فضغط على رأسها بركبته إلى أن سحقها، فتفرغ للنمر. وأجرى حوارا مع بندقيته.

(٧٤٦) يخاطب بندقيته قائلا: إن ملحك تصنعه أكف نظيفة، ورصاصك مصنوع من قضبان رصاص مسبوكة لهذا الغرض.

(٧٤٧) أقسم إن لم تجعلي عظام النمر شظايا، حرام على الاعتناء بك!

(٧٤٨) تجيبه بندقيته قائلة: إن كنت خائفا من الموت، فاجعل تصويبك على النمر دقيقا، واجعل بصرك مضبوطا ما بين الشبابا التي تضمن الإصابة.

(٤٤٩) لقد سقط النمر - الذي صار يسميه فهدا، يقول: يا جماعتي إن عجبي شديداً لعرض كفوف قوائمه.

وقع الفهد من بعد ما كان واقف، وكله لعيني ناثرات الجديلة[٧٥٠]
يا زين جلده فوق حمر الصنايف ـ، أو فوق أحمر ما تكامل سببيه ـ[٧٥١]

✽ ✽ ✽

ومن مراثيه:

لا طلع على المرقاب واشرف على الدان، وادور بالدنيا وأوصف مصابي[٧٥٢]
على اللي لاعتدل عدلة الزان سود الجدايل وشوشن للتراب[٧٥٣]
بالذكر قالوا نار لي يم رضوان من دونها يا(عقاب) ألفين باب[٧٥٤]
يا(عقاب) خلين نجدد هالحزان، إن اصبغ اثيابك وأنت أصبغ ثيابي[٧٥٥]
وانهل دمع العين لولو ومرجان وانجوح جوح امهرفلات الذياب[٧٥٦]

✽ ✽ ✽

ومما نسب له، أنه خلا بـ (عقاب) فقال:-

إن قربت العذال يا (عقاب) مني، لا خفي دنيني في دنين الذُّبابي[٧٥٧]

---

(٧٥٠) لقد سقط النمر بعدما كان واقفا، وكل هذه المخاطر، أقدمت عليها لعيني ذوات الشعر الكثيف المجدول، ويعني (وضحا).
(٧٥١) ما أجمل جلده غطاء لمعارق الخيل، المسماة الحجر، أو الحصان الأحمر الذي لما يتكامل نبت عسيه.
(٧٥٢) سوف أرتقي أعالي المرتفعات، وأراقب الأماكن المطمئنة، وأطوف بالدنيا لأصف مصيبتي.
(٧٥٣) بحبيب، إذا وقف معتدلا ظهر كأنه قضيب من الزان، وجدائل شعره السود تهمس للأرض، أي تلامسها.
(٧٥٤) يذكرون، أن الحبيبة انطلقت بسرعة كالفرس، التي لا راكب لها، نحو رضوان حارس الجنة ومن دونها ألف باب مغلق.
(٧٥٥) يا (عقاب)، دعنا نجدد أحزاننا، فأنت تصبغ ثيابك، وأنا أصبغ ثيابي. وفي رواية هذا البيت السابق: «أصبغ ثيابك وأنت تصبغ ثيابي».
(٧٥٦) ونسكب دموع أعيننا لؤلؤا ومرجانا، ونبكي بأصوات معلنة عظم الفجيعة، كأننا الذئاب التي هرأها الجوع.
(٧٥٧) إذا اقترب العذال مني يا عقاب، كتمت زفراتي، لتختلط بطنين الذباب.

وإن غابت العذال يا عقاب عني لجوح جوح امهرفلات الذيابي[٧٥٨]

نمر يناجي قبر وضحا!

ألا يا قبر (وضحا) تراني بشيرك، بالله وأعطيني البشارة وارجع![٧٥٩]
زوارتك زين المباسم والرضا سايق عليك الله أن تتوسع[٧٦٠]
ناكر إو نكير تهدوا باسوالها، إو لنك نشدته بلسانك ارفع[٧٦١]
رضوان هيئ للجنان ابوابها، افتح لها قصرا عظيم امشرع[٧٦٢]
إحجارته الماس باوجه الرضا وازمرد إو ياقوت إو معادن تلمع[٧٦٣]
وازرع لها البستان حلو اثماره بجنة الفردوس أطيب مرتع[٧٦٤]
واسقيه حتى تستوي أثماره والله أنا لاسقيه بزايد مدمعي[٧٦٥]
الصبر لا تطرون لي أخباره، من لامني قطعة هبيل امقرقع[٧٦٦]

وهذه قصيدة دامعة

سار القلم بداجي الليل مهتاج سار ابهوى عقلي او حير - دليلي![٧٦٧]
بكيت غرام بالحشا يوهج أوهاج من وجد وجدي الويل فرقة خليلي![٧٦٨]

---

(٧٥٨) وإن غاب العذال عني أعولت إعوالا، يشبه عواء الذئاب التي هرأها الجوع.
(٧٥٩) يا قبر وضحا أنا أبشرك بأعظم حظ حصل عليه قبر، فأعطني مكافأة البشرة، لا تصرف.
(٧٦٠) زائرتك أجمل النساء ثغراً، وأفضلهن معاشرة للزوج، أستحلفك بالله أن تتسع لئلا تضايقها.
(٧٦١) ناكر ونكير، هما منكر ونكير، اسما ملاكين على وزن مفعل وفعيل، وهما فتانا القبور يطلب منهما، إذا سألا وضحا أن يسألاها باحترام وإجلال.
(٧٦٢) ويطلب من خازن الجنة (رضوان)، أن يعد لوضحا الجنة وقصرا عظيما عاليا واسعاً فيها.
(٧٦٣) أحجاره الماس، أيها المرضي الوجه، وزمرد وياقوت، ومعادن ثمينة لامعة.
(٧٦٤) وازرع بستانا ثماره شهية حلوة، في أطيب مرتع من جنة الفردوس.
(٧٦٥) واسق هذا البستان إلى أن تنضج ثماره وإذا أعوزتك الماء، أقسم أني سأسقيه مما يزيد عن حاجة الحزن من دموعي.
(٧٦٦) أيها الكرام، لا تذكروا لي فضيلة الصبر، فمن لامني بعد هذا، فإنه لا عقل له.
(٧٦٧) سار القلم في ظلمة الليل هائجا، سار بما يشتهي عقلي ودليلي الحائر.
(٧٦٨) بكيت لغرام في قلبي، يلتهب التهابا بسبب أحزان حزني، التي سببت لي الويل لفراق حبيبي.

عيني تهل الدمع لاجن ابلجلاج   وادموع عيني مسبل دوما يسيل[٧٦٩]

واجب علي أهله ابكل ملعاج   وادموع عيني مثل نهر تسيل[٧٧٠]

سمعت أنا بظلمة القبر مهتاج   عفت الحياة إو عند قبره نزيل[٧٧١]

يا قبر أنا ما اظن من جاك يحتاج   تعريف، هي (وضحا) او قلبي العليل[٧٧٢]

يا قبرها يا منوة الروح واسراج   والله أنا عندك طنيب او دخيلي[٧٧٣]

مجنون ليلى كان داير ابلجلاج   ما أظن يشبهني أو لا هو مثيلي[٧٧٤]

هات الكفن يا (عقاب) إو تابوت من ساج

إو عليَّ من رمل السباسيب هيل[٧٧٥]

واحفر على قبري بازميل وهاج   اللي جرى يا عقاب وانت الوكيل[٧٧٦]

إنقش سقيم عايف الطب واعلاج

اضحى طريح الحب وامسى قتيل[٧٧٧]

من لامني يبلاه بالهم وهاج   عليه حسبي الله او نعم الوكيل![٧٧٨]

---

(٧٦٩) عيني تسكب دموعا حائرة متدفقة، ودموع عيني متدفقة دوما.

(٧٧٠) واجب علي اسكب دمعي بغزارة ودموعي كالنهر تجري.

(٧٧١) سمعت بظلمة القبر مذعورا، زهدت في الحياة، وجعلت إقامتي عند قبرها.

(٧٧٢) يا قبر ما اعتقد أن من زارك، يحتاج إلى من يعرفه بقبر وضحا، وبقلبي العليل.

(٧٣٣) يا قبرها الذي هو منيتي في الحياة وضياء حياتي، أقسم بالله، إنني مقيم عندك جارا ومستجيرا!

(٧٧٤) مجنون ليلى، كان يدور مضطرباً، ما اعتقد أنه يشبهني، ولا هو يماثلني في حال.

(٧٧٥) أحضر لي الكفن يا عقاب، والتابوت اصنعه من ساج، وأهل علي رمال الصحاري.

(٧٧٦) واحفر على قبري بازميل، يتقد من الحرارة، قصة حياتي، وأنت موكل بذلك.

(٧٧٧) احفر على قبري أني مريض زاهد في الطب، غير مؤمن بالعلاج، واذكر قصتي أني طريح الحب، وأني قتيل الهوى!

(٧٧٨) ابتلى الله كل من يلومني بالهم المتوقد، حسبي الله للانتقام منه، هو نعم الوكيل.

من أشعار نمر المفقودة، التي تبرهن على أنه متعلم لا جاهل، كما يقول بعضهم:

سار القلم بزفزف الخط سطرين، يا (اعقاب) دن لي دواة او زرف ساع[٧٧٩]
هات الطلاحي والقناني ابحبر - زين، حتى نخط على الورق كم مصراع[٧٨٠]
لأمر - مولانا على الراس والعين اولا واحد إلا هذه البين والاوجاع[٧٨١]
لمين اشكي وجع القلب لمين؟ أنا شايف الدنيا بوجهي كبرباع[٧٨٢]
الله يخون الهم والقهر والبين، ضيق مزاجي كل حين او كل ساع[٧٨٣]
لاسرح مع اوحوش البراري تبارين وارافق القياد بافجوح الاتلاع،[٧٨٤]
يا (اعقاب) لو جالي بنات تبارين لو حفلوهن بالحلى واقبلن طاع[٧٨٥]
ما ننتقي يا ابوي غير اكحل العين (وضحا) وحدها مهجة القلب مطواع[٧٨٦]
مني صلاة ع النبي المصطفى الزين! من لامني يصبح عليلا بالاوجاع[٧٨٧]

* * *

---

(٧٧٩) سار القلم بالخط الجميل سطرين، يا(عقاب)، أحضر لي محبرة، وغلافا مناسبا للرسالة.

(٧٨٠) أحضر لي أوراقا جيدة من الطلاحي - والكلمة آرامية - ومحابر من الحبر الجيد، لأخط على الورق بعض الأبيات.

(٧٨١) لأمر إلهنا نخضع، ونضعه على الرأس والعين، إذ ليس في الوجود إنسان إلا سحقه الفراق والمرض.

(٧٨٢) لمن أشكو آلام قلبي لمن! أنا أشاهد الدنيا ضيقة بوجهي مقدار باع. شكا من الأفعال التي تتردد ألفه بين الواو والياء فقد قالت العرب: «شكا يشكو وشكى يشكي».

(٧٨٣) قاتل الله الهم والنكد والفراق، لقد زعزعت أسس حياتي في كل لحظة وكل ساعة.

(٧٨٤) لأسرحن مع وحوش البراري ترافقني، وأرافق ذكر البوم، عنوان الشؤم، في الطرق الواسعة والتلاع.

(٧٨٥) (٧٨٦) يا عقاب، لو أحضروا لي بنات جميلات محفلات بحلى مطيعات محبات. لا أنتقي يا ولدي غير كحيلة العين (وضحا) وحدها، إنها دماء قلبي أطوع الناس لي.

(٧٨٧) أصلي - في الختام - على النبي المصطفى الزين، ابتلى الله من يلومني بالعلل والأوجاع، نحس بهذه القصيدة أن التجديد في القوافي عند نمر يدل على اضطراب، أكثر من دلالته على قصد التجديد.

أبيات لنمر، تدل على أنها نظمت في لحظات من الضياع النفسي: وهي موجهة إلى (مصطفى ابن فريح).

سلام للي بالقبايل تنقل، ... نفسه عن اطفاس المعاني طموح[٧٨٨]

يا شمعة - الصبيان يا نقوة الصف، ... يا ليث بكل الوصايف تلوح[٧٨٩]

عقلي غدا ما بين مسكن الروح والعين ... صبري تصور برق صيف يلوح[٧٩٠]

ارزم ردع قلبي او جسمي - تزلزل، ... إنهل دمع العين سحب او برد هل[٧٩١]

على وديد فيه قلبي تعلعل، ... حبه سكن في بهيفت سقف روحي[٧٩٢]

أكثر وصايف نور عيني من الصيد، ... خمرية الوجنات وردية الفم[٧٩٣]

امن افراقها عدي منيعا أو بالقيد، ... ريمية واستنكرت حس موحي -[٧٩٥]

والله لولا الخوف وأكثر حكايا ... يا ناس أن في ملك ربي لا سوح[٧٩٦]

يا بلشتي في قلب حاير دليله - ... يا بلوتي في عين دمعه يسوح -[٧٩٧]

شاع الخبر يا مصطفى والحيا ضاع ... والكل يطعني يفتح اجروحي[٧٩٨]

ملقوع أنا مفجوع هايم أو رعراع، ... من وجد قاتل في ضمير يلوح[٧٩٩]

---

(٧٨٨) تحيات للذي شاع ذكره بين القبائل، صاحب النفس المترفعة عن كل ما يدنس الصيت.

(٧٨٩) يا منارة الفتيان وصفوتهم، أيها الليث المتحلي بكل المزايا والصفات الحسنة.

(٧٩٠) عقلي فقدته بين قلبي ولساني، صبري يشبه برق صيف، يلمع ولا وجود له.

(٧٩١) لاصق بالأرض كالبعير الرازم، جبن قلبي، جسمي تزلزل، دموعي كالسحب المنهملة والبرد المتساقط.

(٧٩٢) على حبيب اعتل قلبي لفراقه، حبه أقام بأعمق أعالي روحي.

(٧٩٣) أكثر صفات حبيبتي، نور عيني، من الظباء، وجنتاها خمريتان وفمها وردي.

(٧٩٤) من فراقها أنا أشبه أسيراً مقيدا، إنها ريم - غزال أبيض - أجفلت من صوت صياد.

(٧٩٥) يا لوجعي، يا لفجيعتي، يا لفساد حياتي، يا لحيرتي! يا لمشكلتي العمياء! يا لشقائي!

(٧٩٦) أقسم بالله لولا خوفي الحكايات والأراجيف، لأظل سائحاً في ملك ربي بلا هدف!

(٧٩٧) شاعت أخباري يا مصطفى، وفقدت الخجل، وكل واحد يطعنني، ويفتح جروحي.

(٧٩٨) يا لحيرتي في قلبي الذي لا دليل له، وقد ابتليت بعين دمعها لا يجف!

(٧٩٩) اصطلاح أردني يعني الحزن الذي لا تعزية له، ولا صبر بعده، فيقولون: «فلان ملقوع» شديد الحزن. هائم حزناً وجبان بسبب الوجد القاتل المقيم في قلبي - إذ يعني بالضمير القلب.

يالا يمينى بالنبي لا تلومون، يا عاذليني فاهم اللي تقولون[٨٠٠]
قلبي هبيل او تابعه عقل مجنون
يا مصطفى عزيت روحي ابروحي[٨٠١]

من مراثي نمر العدواني

يا رب تجلي برزخ الهم عنّي، يا اللي عليك اصعاب الاشيا تهون[٨٠٢]
يا (حمود) أنا ما ودعتهم غيظ مني هُم الذي يا(حمود) ما ودعوني![٨٠٣]
بصدر الاكهوف يا حمود أنا صرت أحن حنين هنقا بتوالي الظعون،[٨٠٤]
عند العرب يا حمود اضحك ابسني بارض الخلايا يا حمود أكازي اغبوني[٨٠٥]
من عقب ما أنا زبن من يزبنني، اليوم عايزني سراس زبوني[٨٠٦]
والله يا ما ليتني طير وني ابوح رقراف الهوالي اغبوني[٨٠٧]
اركض أريد الموت لو رددوني موتي جزع ولا حياة الاغبوني[٨٠٨]

❁ ❁ ❁

من مراثي نمر

سر يا قلم واكتب جوابي بتمهيل، بزفزف القرطاس واكتب قصيدي[٨٠٩]

---

(٨٠٠) أسألكم بالنبي، يا أيها الذين تلوموني، ويا أيها العذال، أنا أفهم ما تقولون:
(٨٠١) قلبي فاقد صبره، وتابعه عقلي المجنون، فلم يبق لي يا مصطفى إلا أن أعزي نفس بنفسي.
(٨٠٢) يا إلهي أزل عني أثقال الهموم والأحزان في ما تبقى لي من الحياة - البرزخ- أنت الذي يهون عندك كل صعب! يقصد بالبرزخ الضيق الشديد.
(٨٠٣) يا(حمود) أنا لم أودع (وضحا) مغتاظا، إنها هي التي رحلت من غير أن تودعني!
(٨٠٤) يا(حمود) أنا صرت أبكي في الكهوف، كما تبكي عاجزة تركتها الظعون بلا مساعدة.
(٨٠٥) يا(حمود) بين الناس أبتسم، لكن عندما أخلو بنفسي، أنا أكافح همومي القاتلة.
(٨٠٦) بعد ما كنت عوناً لكل من يلجأ إلي، اليوم أنا محتاج إلى من يساعدني من الأوفياء.
(٨٠٧) أقسم بالله إني أتمنى لو طيروني في الهواء، لأبوح للرياح بآلامي وأحزاني.
(٨٠٨) أندفع إلى الموت ولو منعوني، لأن موتي صبرا، خير من حياة كلها آلام.
(٨٠٩) سر أيها القلم متمهلا، واكتب جوابي، اكتب أشعاري على أوراق جميلة.

يا اعقاب لوهمي على جبل لا يميل   ينهدّ لو انه كان جبل حديد[٨١٠]

يا اعقاب لو النوح يبري معاليل   لا نوح ليلا أو نهار ما طلع بايدي[٨١١]

أبكي على دهر مضى ابدمع واهيل   على حبيب مات هوه وديدي[٨١٢]

من بعده يا أبوي ما أنام أنا الليل   يا نار قلبي زايدة بالوقيدي،[٨١٣]

الناس يسلو بهروج أو تعاليل   وأنا أنام الليل همي يزيدي،[٨١٤]

فريتها امن الشرق لمطلع اسهيل   لارض الشمال لبلاد الصعيدي _[٨١٥]

ابلاد مصر اهرامها مع النيل   أنا جبتها والله وابلاد عبدالمجيد[٨١٦]

يا اعقاب والله ما لقيت الها تماثيل   وين الوصف يا ابوي عنها بعيد[٨١٧]

لسوح بالدنيا اسواة المهابيل   لجوح جوح الذيب واعض بايدي[٨١٨]

لسوح مع اوحوش البراري مع الليل   كيف القدر يا اعقاب هذا وعيدي[٨١٩]

من لامني يبلى بجن التهابيل   يمسي غريبَ الدار بليًا ودبدي[٨٢٠]

* * *

---

(٨١٠) يا عقاب لو أن همومي تحملها جبل عال، لا نهدم، لو كان جبلا من حديد.

(٨١١) يا عقاب لو أن البكاء يشفي العلة، لنحت ليلا ونهارا، لو استطعت أن أفعل ذلك.

(١) موت الجزع، هو الموت لنفاذ الصبر، الذي يسميه العامة الفقع أو الانتحار.

(٨١٢) أبكي على أيام مضت، وأهل دموعا على ذلك الحبيب الذي كان يودني.

(٨١٣) من بعد (وضحا) يا ولدي، ما أنام الليل، ونار قلبي زائد اشتعالها!

(٨١٤) الناس يسلون بأحاديث وسهرات، وأنا آوي إلى فراشي ليلا، وقد تراكمت همومي.

(٨١٥) و (٨١٦) درت أنا الدنيا من الشرق إلى مطلع نجم سهيل البهي الطلعة، الذي يطلع على بلاد العرب في أواخر القيظ، إلى الشمال، وبلاد الصعيد، زرت بلاد مصر، والهرم والنيل واستانبول بلاد عبدالمجيد.

(٨١٧) والله يا عقاب ما وجدت لها شبيها، ماذا أصف لك؟ كل ما أصفه لك بعيد عن أوصافها!

(٨١٨) قررت أن أطوف الدنيا سائحا، كما يفعل المجانين، وأجوح جوح الذئب الجائع، وأعض أصابعي ندما.

(٨١٩) لاجعلن سياحتي مع وحوش الصحراء مع الليلة، كيف أتقي الأقدار يا عقاب؟ هذا هو الوعد المقدر.

(٨٢٠) أسأل الله أن يسلط على الذي يلومني الجن، الذين يرمون الهول في قلوب الناس. يمسي غريبا عن دياره، ويعيش بلا حبيب كل أيام حياته.

من ذكريات نمر

أسباب فتح أبواب شيرة سببنا، وأبواب توهن من سببهن غدينا[٨٢١]

زل القدر ايا ابو (محمد) نشبنا -، لعاد ما رد الفوايت بادينا[٨٢٢]

ياما على الدنيا ضحكنا او طربنا، يا ما على الدنيا ضحكنا او بكينا[٨٢٣]

ياما بعدات الفرنجي ضربنا، واوعول ما بين الشواهد رمينا[٨٢٤]

يا ما امن ابنوش الهنادي لبسنا! وابنوش من فوق الهنادي غوينا[٨٢٥]

ياما امن اثمار الجزاير حطمنا! إو يا ما امن اثمار الجزاير كلينا[٨٢٦]

ياما ع ادروب الموارد قعدنا! بايماننا سود العكايف لوينا![٨٢٧]

يام امن الشهد، الامصفى شربنا! باحضون حلوات المباسم غفينا![٨٢٨]

ياما امن اشفاف الصبايا شربنا! ياما من شقر الذوايب حسينا![٨٢٩]

ياما ع اظهور السلايل ركبنا! وامهار من تالي الجراير خذينا![٨٣٠]

إنهود مثل الجوز ياما قضبنا! وياما على ذود الامعادي غزينا![٨٣١]

اليوم من تبديل الايام تبنا هيهات على زمان مضى كان دَينا![٨٣٢]

---

(٨٢١) أسباب فتح أبواب الشر، نحن سببه. أبواب فساد رأي، بسببه نحن أصبحنا في ورطة.

(٨٢٢) زل القدر بنا، فتورطنا، ما دام ليس في قدرتنا أن نرد ما فات، يا أبا محمد.

(٨٢٣) ما أكثر ما ضحكنا في دنيانا، وما أكثر ما ضحكنا وبكينا. بلفظالكاف جيما تركية بثلاث نقاط.

(٨٢٤) ما أكثر ما اصطدنا ببنادق الفرنجي رجالا كبارا، كنى عنهم بالوعول، اصطدناهم بعيان دقيق بين الشبايا.

(٨٢٥) ما أكثر ما لبسنا البنش، وهي أردية حمر، كانوا يلبسونها في الحرب فوق الدروع للشهرة. والكلمة تركية، وبنش فوق السيوف لبسناها. والأرادنة يسمون هذا الرداء البنيش، ولباس البنيش هو الفارس المعلم.

(٨٢٦) ما أكثر ما تناولنا صعاب الأمور، وتوصلنا إلى حل المصاعب بسهولة.

(٨٢٧) ما أكثر ما جلسنا في طرق الحسان، ولوينا جدائلهن بأيدينا.

(٨٢٨) يكني عن رضاب الحسان بالشهد المصفى، وما أكثر ما نمنا بأحضان الجميلات ذوات المباسم الحلوة.

(٨٢٩) ما أكثر ما قبلنا شفاه الصبايا، وما أكثر ما لمسنا ذوائبهن الشقر!

(٨٣٠) ما أكثر ما ركبنا الخيل الأصيلة الفارهة، وكسبنا القلايع من ساقات الغزاة الهاربين.

(٨٣١) ولمسنا نهود الفتيات الصغيرات، غزونا كثيراً على إبل الأعداء وعدنا كاسبين.

(٨٣٢) اليوم تبدلت الأيام، فتبنا، ما أبعد ما كنا نستدين من الأيام.

نضحي على الدنيا، إولنا طربنا، نقفي انخليها إلمن يتلينا![833]

يا رب سامحنا باللي فعلنا، تغفر لنا يا رب باللي هذينا،[834]

يا خالقي تسمح لنا بما كسبنا، بجنة الفردوس تنعم علينا،[835]

(٨٣٣) نرحل من الدنيا، ونتركها للذين يأتون بعدنا.

(٨٣٤) يا إلهي سامحنا بما كسبنا من ذنوب، اغفر لنا هذياناتنا.

(٨٣٥) يا خالقي امسح لنا ذنوبنا وانعم علينا بجنة الفردوس.

ومضات من روح الوفاء عند المرحوم نمر

- يا رب خذ روحي خذها بالاحسان
قضيت بالدنيا احسابي او عذابي!
- ما ترحمن بزورة من زمانا؟
لو ساعتين او ثلث من قبل توديع،
- تلبي هبيل بالخلايق شنانا،
يا شاري القلب الامشقي وأنا أبيع
- يا (اعقاب) وين العز الحالي أو حالك،
غير اغراب البين حالك او حالي،
- يا (اعقاب) تلعب مع صغاير امثالك،
وأنا على نيران قلبي الالي
- ع حيرتي ما مثلها عاد حيرة،
يا بلوتي (أيوب) هو ما ابتلى بيه،
- اللي يجي يا ناس لي بشيره
جميع ما ملكت يميني أنا انطيه،
- والله لولا الخوف امن القال والقيل،
لاسيب الدنيا، واسيب اقدامه،
- وانعل فعايل ما فعلهن مجانين
يشبهن افعال العم (مفلح سلامه)
- يا (اعقاب) طول الليل ابكي والعي
واجوح جوح الذيب لن طبه اسعار
- يا رب قبل النضج حصدت زرعي،
يا بلشتي يا خالقي كومة ازغار

● قلبي انحرق كما بن انحرق عقب حمس،
وإلا الشحم من فوق جمر اصبهاني

● عجل لنا يا رب بملاقى المحببين،
بصاحبي يا رب زين الاعطافي

● افتح لنا قبر الا حبيب إو خلين - إو دلين
لا يا امنى عيني هذا شفاتي

● لنك فتحت القبر حطن إو خلين
يجزيك ربي بسرور إو هناة

● محبوب انا عبده او سيده او حباب
ذو ناب هو عبدي وذو ناب سيدي

● يا قلب يا اللي تقل سافوت شباب
يا مهجتي لو هو حجر صار شيد

● من مهجتي غدا ست واخوين
بيهم يزول الفقر وارجا الغناة

● صبري زرعته في زبارات نمرين
أضحيت مثل اجويف اجرجر عباتي

● جرحي غميق إو غاص ما بين ضلعين
منه تنهد قلبي شهد ومات

قد سبق تفسير هذه الومضات في مكانها من قصائد نمر.

للأمانة العلمية

لما عرضت روايات الرواة الذين منهم،

١ - الشاعر الشعبي المتفوق والمرحوم سالم القنصل.

٢ - المرحوم توما الحمارنة رئيس مجلس مادبا البلدي، الذي كان له الفضل في إيصال مياه (عيون موسى) إلى مادبا، فأنقذ الناس من الصدى - وهو أقوى مراتب العطش، فحرر نساء مادبا من عبودية الذهاب إلى (الجديد)، التي تجاور (عيون موسى) من الجنوب.

٣ - والمرحوم الشاعر الشعبي المبدع سلامة الغيشان.

٤ - والمرحوم يوسف بن سليمان الصوالحة.

٥ - والسيد حمد الفالح الذي حجب اسم عشيرته عني، وقال لي: «أنت تريد مني قصيد، وإلا لك عندي طلابة. عذرته.

٦ - والسيد ناصر محمد، فلما سألته، أجاب: مالك غرض عندي، فعذرته أيضا لأني تعودت أن أسمع ذلك من إخواني البدو.

٧ - والمرحوم حنا الطوال.

٨ - والمرحوم عيسى بن عودة الله الزعمط العزيزات، مختار طائفة اللاتين بعمان.

٩ - وعلى ما ورثت من أوراق شقيقي المرحوم عبدالأحد.

أجل لما عرضت ذلك على ما رواه لي الشيخ الفاضل (خلف الفهد النمر العدوان)، والشيخ عفاش السلطان العدوان، وجدت بعض الخلافات، فرأيت من واجب الأمانة العلمية، أن أثبت تلك الخلافات مهما تكن قليلة، والله من وراء القصد.

(العزيزي)

قال الشيخ الفاضل (خلف الفهد النمر العدوان): إن أول قصيدة رثاء نطق بها المرحوم (نمر العدوان)، هي القصيدة التي مطلعها:

سر يا قلم في كاغد لي واسرع   واكتب على ما اريد أن أفهم واسمع

وروى لي بيتا، لم أجده في روايات الرواة، ولا في أوراق المرحوم شقيقي (عبدالأحد). والبيت هو:

١- بذروة المشراف أوقف زايغا   من كلمة التنخيخ ثني الاربع

المعنى: البعير الذي حمل النعش، وقف في المرتفع العالي زائغ البصر حزنا، وعندما أمر بأن يناخ، ثنى قوائمه الأربع. وأناخ حزينا.

٢- أمرت ع الديات زفن صاحبي   زوار جدث املطفا وامصنع

أمرت السيدات اللواتي وُكِّلَ إليهن أن يكفن محبوبتي، أن يجملنها بإتقان، لأنها تزور قبرا قد اعتني به اعتناء لائقا. ونلاحظ هنا أن الشاعر استعمل كلمة جدث المعجمية، التي لم نقع عليها في كلام العامة، مما يدل على ثقافته.

٣ - لم أجد هذه الأبيات (٣، ٤، ٥، ٦) وقد ذكرها سيادة الشيخ الفاضل (خلف):

من لامني يا ناس يبلى ابنقمة   حسبي عليه الله بالخزايز الاربع

٤ - بعيسى وموسى والخليل والمصطفى،   أربع انبيا من الخزايز مدعي

٥ - أدعي أنا والله يصلي ع النبي   إمحمد المختار نوره شعشع

٦ - كني بدجداج يموج أو يلتطم،   موجه داجي امطلسم وامبرقع

وقد صحح رواية هذا البيت، سيادة الشيخ (عفاش السلطان)، يقول: (يزوم) بدلا من يموج وقال: (دجوجي) بدلا من داجي.

٧ - وقد جاءت رواية الشيخ (خلف الفهد النمر) لصدر البيت السابع مخالفة لما عندي من روايات، وهي على هذا الوجه:

«يا مصطفى بالمصطفى جسمي هفا، والذي عندي يا مصطفى لنك ترى اللي جرى».

٨ - وجاءت رواية الشيخ (خلف الفهد النمر) مخالفة لما عندي، إذ رواه على هذا الوجه:

عليه شوقي كن نبهته ما قعد   سكران ناعس غافيا عيى يعي

٩ - أما التي رواها سيادة الشيخ، روايته مخالفة لكل ما عندي، فهي التي دعاها الألفية، ويبدو أن المرحوم (نمر) قد نظمها أو نظم جانبا منها على حروف المعجم، والقصيدة مفقودة. قال:

أليف والف ما هذي بضمبري،

يا لوعة بالقلب ما حد يدريه

ولم أجد في الروايات ما رواه لي سيادة الشيخ (خلف).

ما لعبت السامر بين الفريقين   أو لا قط ابا العملات كبر جهدها

المعنى، لم تقف حاشيا في سامر بين الفريقين، ولم يتفق أن أحد المشتبه في أخلاقه راودها عن نفسها.

١٠ - وجاءت رواية سيادة الشيخ لهذا البيت بهذه الصورة:

او لا ناطقت غطريف بمنطق اللين   إو لا وسوس الشيطان جوى جسدها

١١ - ولم تذكر الروايات التي عندي هذه الأبيات، التي وافق على نصوصها سيادة الشيخ عفاش السلطان: بعد تعديل ذكره.

(بني صخر) اللي على الخيل عسمين   ياما عجوز احرموها ولدها!

فقال الشيخ عفاش السلطان:

بني صخر اللي على الخيل صلفين   كم سابق بالكون عاقوا جهدها

للضيف لطفين او للضد عسمين   جيرانهم ما مرحوا في لهدها

نطاحة الكايد على العسر واللين،   وأهل البيوت ألمن تجلوى قصدها

المعنى - بنو صخر أهل (وضحا) أشداء في الحرب، كثيرة هي خيول الأعداء التي قتلوها، وأخذوا فرسانها أسرى (إمنعا)، جمع منيع - أي أسير.

لطفاء للضيوف أشداء على الأعداء، وكلمة عسم في اللهجة الأردنية، تعني البطولة الخارقة، وليس لها هذا المعنى في اللغة. يبيت جيرانهم في راحة بال لصلابتهم وبطولتهم.

يقابلون أعداءهم ببطولة على أية حالة، وبيوتهم ملجأ لمن قصدها جاليا عن دياره بسبب جناية جناها.

١٢ - ولم أجد في الروايات التي عندي هذا البيت، الذي رواه لي سيادة الشيخ خلف الفهد النمر:

لن احلفت يا حاج بوائق الدين، ما انحلف إلا بحياتي سندها،

المعنى إذا أقسمت بحياتي فهذا أصدق من كل الأقسام عندها، لأنها تعدني سندها الأوحد.

١٣ - وروى لي سيادة الشيخ هذين البيتين، اللذين لم أجدهما في مخطوطاتي:

من لامني يبلى ابجن الفراعين يبلى ابحاكم ظالم في بلدها
يبقى كسيح امن الايادي بلا عين واحرس وأطرم ما يسمع ندهها

المعنى، الذي يلومني، ابتلاه الله بجن ظلمهم شديد كظلم الفراعنة، ويبتليه الباري بحاكم ظالم في دياره، ويظل معطل اليدين أعمى أخرس وأصم لا يسمع نداء.

١٤ - وجاءت رواية الشيخ (خلف الفهد النمر) على هذا الوجه: لهذين البيتين:

قبله غدا من مهجتي ست واخوين بيهم بزيل الفقر جاب الغناة
لا صمت عن زاد إو لا اهتمت العين إو لا صار شربي من جحيم حماة

واختلفت روايته عما لدي في هذه الأبيات الثلاثة:

يا (اعقاب) يا مهجتي يا قرة العين
إن كان تبغى يا حبيبي حياتي،
إنتح لنا قبر الاحبيب إو دلين
جاهي او جاه الله تقبل وصاتي،
لنك فتحت القبر حطن إو خلين،
هذا امنى عيني، إو هذا شفاتي.

المعنى: يا عقاب يا دماء قلبي يا من أسعد به، إذا كنت تريد أن أعيش. افتح لي قبر حبيبي، وانزلني فيه، استحلفك بكرامتي عندك، وبكرامة الله أن تقبل ما أوصيك به.

عندما تفتح القبر أنزلني واتركني هناك، هذا كل ما أتمنى، وهذا هو الذي يشفيني.

وجاءت رواية سيادة الشيخ عفاش السلطان لهذا البيت:

من راح خلي اسعرت بي ناريـن
واضحيت مثل (إجويف) اجرجر عباتي،

المعنى: منذ ارتحال حبيبي التهبت بي ناران لاتطفآن، وأضحيت مثل (اجويف) أجر عباءتي.

دليـل الأشعـار

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

في أشعار نمر كلمات تحتاج إلى التفسير
وهناك كلمات عرضت

الرقم	الكلمة	التفسير
١	بلكي	لعله
٢	حذ الشيء يحذه	عرف الشيء يعرف يفرق بين الأمرين
٣	إحجاج الجمع أحجه	حاجب العين والكلمة عربية فصيحة
٤	ايات ديرة؟	أي وأية ديار
٥	تليعة ضخمة	ضخمة التليع لغة، الطويل العنق
٦	ناض ينوض فصيحة	نهض وانطلق ذهب في البلاد
٧	قلب ايديه	كناية عن اليأس
	وفي اللغة كناية عن الندم	
٨	هقوة	أمل - عزة نفس كبرياء
٩	ما هقوتي	ما أظن أنه حدث
١٠	شبط بي	تعلق بي
١١	زين	جميل جيد حسن
١٢	لعاد	مادام
١٣	الرقبعي	الأرض التي لا يهتدي بها واتفه الطيور
١٤	محشوم	محترم مكرم

الرقم	الكلمة	التفسير
١٥	لفى يلفي الملفى	حضر يحضر المكان
١٦	المتحيسب	المتحيسب هو الذي يحضر مطالبا باسترداد ما نهب من إبله وغنمه في غزو لأنه ليس من الأعداء
١٧	وافي عددها	كاملة العدد
١٨	الغين	لغة في الغيم
١٩	لكد الفرس والكلمة فصيحة	دفعها للعدو بالمهماز المعروف بالشابور أصل الكلمة الشبور عبرية تعني في العبرية الزعيق والمهاجم في الإغارة يزعق بصوت عال
٢٠	مزايين	مجملات مزينات
٢١	نايف	متفوق، زائد
٢٢	غتت بيدها	أشارت إشارة مريبة، وفي اللغة غتت الطعام أفسده
٢٣	حظ اقشر	حظ بائس، في اللغة الأقشر ما انقشر لحاؤه
٢٤	إيلاد جوى	كل ما وراء البحار بلاد جوى
٢٥	يا حيف	يا للخسارة يا للعار يا للخجل
٢٦	يم يمه	يم العرب جهة العرب عندهم
	يم يم	أكيد ما تقول

الرقم	الكلمة	التفسير
٢٧	تعليلة	التعليلة، واتعلله هي السهرة والكلمة على إطلاقها تعني سهرة المحبين، وقد كان يسمح للفتاة البدوية أن تلقى المعجب بها في بيت أهلها، وكانت الفتيات يفتخرن بكثرة من يسهرون معهن، وكانت التي لا تجد من يعللها تعد خاملة وتعير بذلك.
٢٨	فكوك الريق	كل ما يؤكل عند النهوض من النوم
٢٩	معاني الرجال	هي مفاخر الرجال من كرم وشجاعة، ونجدة وشمم وغزو. وكيد الأعداء
٣٠	كنس الرجل	اعتزل الناس وتخلى عن كل كرمة
٣١	لاق يلوق	لاق يليق. لكنهم يستعملون الأجوف الواوي
٣٢	جال	جهة ناحية نحو
٣٣	تمحرف	حاول أن يجد وسيلة احتال
٣٤	تثاثي	تردد
٣٥	منكف	العائد من الغزو بلا كسب في الجمع مناجيف
٣٦	اصطافر الله	استغفر الله بادرة لغوية

الرقم	الكلمة	التفسير
٣٧	ازطام الدبيلة	قاهرة جماعة الفرسان الكثير عددها
٣٨	جضبضك	شكواك تذمرك ضجيجك. وفي اللغة جض عليه بالسيف، حمل عليه
٣٩	باتع ج بتع	الباتع هو الذي لا يقهر
٤٠	ضايع دليله	كناية عن الفوضى المطلقة
٤١	العوافي قوك	عافاك الله وقواك تحية مشهورة
٤٢	طارش ج اطروش	رسول، ويسمونه مرسال ج مراسيل
٤٣	رنق	صفة علامة إشارة هي الرنك
٤٤	إقبيسي ج اقبيسية	تاجر الأقمشة
٤٥	الكفافي	جمع كوفية بقلب الكاف جيما تركية بثلاث نقاط
٤٦	الحق	الله، والموت
٤٧	الاغداف جمع غدفة	غطاء ترسله المرأة من رأسها إلى كتفيها. كنى به عن النساء لابسات الاغداف
٤٨	عزوة الرجل	عصبته أنصاره أقاربه
٤٩	زهاب	زوادة. وزهبة الميت كفنه
٥٠	الليوان ج لواوين	البهو، الايوان
٥١	مقضب	ممسك اعتماد

الرقم	الكلمة	التفسير
٥٢	**شفية**	الذي يغنيك عن كل عامل أو مساعد
٥٣	**المضيف**	الشق المضافة
٥٤	**تبشون**	صار باشا
٥٥	**سراط فصيحة**	طريق مستقيم لاتينية
٥٦	**سافوت حداد**	يريد بها السفود حول الدال تاء في اللغة الطعام التافه
٥٧	**إموافي**	أي يوافق يناسب
٥٨	**ينكز**	يرسل به
٥٩	**المهاج**	جمع مهجة دماء القلب
٦٠	**واتاه**	طاب له الأمر
٦١	**عدي**	كأنني
٦٢	**لايموني**	التقوني صدفة
٦٣	**طفخ**	جاوز الحد
٦٤	**إمخرفل**	ممزق
٦٥	**حواوين**	حيوانات
٦٦	**جويف**	رجل مهزأة
٦٧	**الهرمزي**	ظلام الليل وأراد الهرمس
٦٨	**إستمح**	انتظر تمهل
٦٩	**إنحاز**	كسر
٧٠	**سيف رهيف**	سيف حاد
٧١	**تقلوز**	لم يستقر في جلسته

الرقم	الكلمة	التفسير
٧٢	الباس	قوة الباس الصبر وشدة الاحتمال
٧٣	قرطباني	شديد قاس منسوب إلى قرطبة
٧٤	ريض	تمهل، انتظر
٧٥	حزة	في اللحظة في حين
٧٦	انسيوين	حقير تافه زير نساء
٧٧	يقهقر كلامه	يزن كلامه يفكر في ما يقول
٧٨	لنك	لو أنك، إذا
٧٩	مشاهد	يوم الدين القيامة
٨٠	الرجل الجزيل	الإنسان العظيم
٨١	نواج	شديدة السرعة
٨٢	حدابة	متتابعة
٨٣	بدجداج	بحر صاخب الامواج
٨٤	شوفي	ما أشاهد
٨٥	اشقح شراري	أشقر يخالط شقرته بياض من إبل الشرارات المشهورة بسرعتها
٨٦	هوزه	أوهمه أنك تريد أن تضربه ولا تفعل
٨٧	البين	الحزن الفراق الموت
٨٨	كرة كرات	مليون ملايين
٨٩	حسبان نبع غربي	نبع غربي عمان مشهور بصفاء مائه
٩٠	خريسان	موضع امتصاص التبغ من الغليون

الرقم	الكلمة	التفسير
٩١	**غبان**	حزن عميق
٩٢	**شلح**	ضخم جدا
٩٣	**شلح الثياب**	نزعها والكلمة (سريانية)
٩٤	**التفدي فدى**	النذور - نذر
٩٤	**السبب (فصيحة)**	الكتان الرقيق الناعم
٩٥	**إمدملج هوذلي**	مكتنز الجسم سريع جدا
٩٦	**سلهوب**	سريع رشيق
٩٧	**غلوب**	متفوق على الخيل سابق لها
٩٨	**امهرفلات الذياب**	الذئاب التي هراها الجوع وكاد يقتلها
٩٩	**حمر النعم**	الإبل
١٠٠	**عده**	كأنه
١٠١	**الفيّاد فصيحة**	ذكر البوم والكلمة من الإشارات إلى أنه متعلم
١٠٢	**دعاك يدعيك**	جعلك يجعلك
١٠٣	**تلهله ولدها**	تلاطف طفلها اتدلله
١٠٤	**لمني**	إلى أن
١٠٥	**درواز**	مقتحم
١٠٦	**الرهاريه**	المرتفعات
١٠٧	**رفروف**	مطية سريعة
١٠٨	**ام اريال**	السيدة المترفة الغالية الحلي
١٠٩	**نضاخ**	بالغ السرعة تصبب عرقا

الرقم	الكلمة	التفسير
١١٠	الاكواز	الاكام والجبال
١١١	إملمع	مشهور
١١٢	لن انطلق	إذا انطلق
١١٣	خفاق	يشبه الطائر الذي يخفق بجناحيه
١١٤	الخزاز	الطعن
١١٥	الذميل	السير المتزن
١١٦	بذ	تفوق
١١٧	يهتز	يختال
١١٨	تقلوز	لم يستقر في جلسته تمايل
١١٩	الغيهب	الإنسان العظيم النادر المثال
١٢٠	اعز	الذي لا شبيه له
١٢١	الكاز	سكين للقطع والذبح
١٢٢	الرعراع	الأرعن والرعونة
١٢٣	مكناز	يبخل يشح
١٢٤	معتاز	محتاج مسترزق والأصل مكاس
١٢٥	نهيت	من الأضداد وهنا تعني أمرت
١٢٦	حيد	جمل قادر على الحمل
١٢٧	حاني	فحل ينزو على النياق
١٢٨	عمن	عمنا - عمي
١٢٩	شديد الباس	جلد صبور الجلد والصبر
١٣٠	قرطباني	صلد منسوب إلى قرطبة

الرقم	الكلمة	التفسير
١٣١	فج فجوج	صحراء صحارى
١٣٢	إروج	أسرع
١٣٣	إلحق	إحضر
١٣٤	مطرشاني	مؤهل للأسفار البعيدة
١٣٥	هوذلاني	لا تلحقه الخيل
١٣٦	إشداد	الشداد للذلول كالسرج للفرس
١٣٧	يلالي	شديد اللمعان لألاء
١٣٨	العاني	الذي يقصدك لغرض خاص
١٣٩	سرساح	مندفع لا يتراجع
١٤٠	بحر الرهاريه	بحر الظلمات
١٤١	درواز	متواصل السير
١٤٢	العي	اذعر من اتفه الأشياء ولعى يلعي بكى وصرخ باشمئزاز
١٤٣	الفاين والفاينة	سيء الحظ وسيئة الحظ
١٤٤	الفاينة	الأمور التي يستحى منها، الزنا ونحوه
١٤٥	عيى امعيي يعيي	رفض رافض لا يقبل
١٤٦	داراه يداريه	لاطفه يلاطفه
١٤٧	إشمرخة مستديرة	أكمة عالية أو جبل شامخ دائري الذروة
١٤٨	المراشي	الموارد المليحة الله يقطع مراشيه يقطع رزقه
١٤٩	هود من الليل	هزيع من الليل

الرقم	الكلمة	التفسير
١٥٠	تعليلة تعاليل	هنا تعني سهرة حكاية اغتياب صار هزأة للناس أي أضحت سيرته مضغة في أواه الناس. التعليلة إطلاقا كما ذكرنا، هي سهرة المحبين إذ كانت تقاليد البادية تسمح لمن يحب فتاة قبل الزواج أن يسهر معها في بيت أهلها.
١٥١	يا هلا الخيل!	استغاثة طلب مساعدة الفرسان، وتكون عادة من أجل صد الغزاة أو متابعتهم لاسترداد ما نهبوا، أما إذا كان طلب المساعدة عاما، تكون الاستغاثة: وين راح النشامى!
١٥٢	النشمي جمع النشامى	النشمي هو الفتى الجامع لكل مكارم الرجال من كرم وشجاعة وأريحية ونجدة وهي تسد مسد بـ HERO GENTELMAN
١٥٣	بالحيل	بشدة
١٥٤	ريدن	محبوبي الذي يريدني
١٥٥	سيب يسيب	ترك أهمل إهمالا تاما هجر
١٥٦	الشلايا	مفردها شلية، ويقولون: شلية غنم. والشلية لا تقل عن مائة نعجة
١٥٧	جهدي	بذلت جهدي ما في وسعي

الرقم	الكلمة	التفسير
١٥٨	كثر الدواوين	كثرة الحكايات التافهة التي تشبه اجترار الإشاعات
١٥٩	اربع	استريح - وفي أقوالهم للمتسرع أو المندفع في قضية تافهة (ربع)، أي تمهل. وتقال للزجر لمن يعدو طوره، وادعى ما ليس في مكنته أن يصنع. وإذا زادوا على ذلك يقولون: ربع خذ على رأسها، أي توقف عن الهجوم الذي لست له أهلا، واجذب لجام فرسك لتقف.
١٦٠	طيب الله فالك	كتب الله لك الحظ السعيد في كل ما تريد أن تصنع، وجعل الناس يتفاءلون بحسن نقيبتك. وهناك أسر معينة في الأردن، يتفاءل الناس بحسن نقيبتها، فإذا صمموا على عمل فيه صعوبة أو أرادوا السفر، ذهبوا إلى تلك الأسر، وأخذوا منها كسرة خبز، تيسيرا لأمورهم. كما أن هناك في كل بلدة - تقريبا - أسرا يتشاءمون بها فيقولون: عرض فلان، مثل عرض الافلان، ولولا خوفنا من أن يعد ذكرنا للأسر التي يتفاءل بها تملقا، لذكرنا ذلك.

بوادر لغوية في اللهجة الأردنية

- بدو البلقاء خاصة، وأكثر البدو الذين شافهتهم في الديار الأردنية، في طول البلاد وعرضها، يلفظون الكاف في كلمة (كيف) جيما تركية، بثلاث نقاط ج. كلفظ هذين الحرفين بالانكليزية CH، لذلك جعلنا هذه العلامة CH فوق كل كاف تلفظ جيما تركية، فإذا خاطبوا رجلا، قالوا: كيف حالك، وإذا خاطبوا سيدة، قالوا: كيف حالك للتفريق بين المذكر والمؤنث.
- يقلبون واو الجماعة ميما، فيقولون: «الزلم جم - **أي الرجال جاءوا** والرجال والرجاجيل قالم - **قالوا**.
- يقلبون ميم جمع المخاطب واوا فيقولون أنتو قلتوا في: **أنتم قلتم**.
- تقلب بعض القبائل الهمزة عينا، فيقول أبناؤها: مسعلة بدلا من **مسألة** مساعل بدلا من **مسائل**، هيعة بدلا من **هيئة**.
- وتقلب بعض القبائل الهمزة ضادا فيقولون ضبط بدلا من **إبط**، ويلحقون بالكلمة هاء السكت، إذا كانت الكلمة متصلة بياء المتكلم، فيقولون: ضبطيه بدلا من **إبطي**.
- ينفرون من الضم فيقولون: قِمْ، خِذْ، كِلْ، بدلا من قُمْ، خُذْ كُلْ.
- أكثر القبائل تقلب القاف في بعض الكلمات جيما فيقولون: جاسم، فريج، رجيب، رفيج، صديج، بدلا من القول **قاسم**، **فريق**، **رقيب**، **رفيق**، **صديق**.
- بعض القبائل تقلب الجيم ياء - يمل، ريل، أينبي، نعيه، بدلا من **جمل**، **رجل**، **أجنبي**، **نعجة**.
- تقلب بعض القبائل الصاد سينا، فتقول: «نسراني بدلا من **نصراني**».
- ومن القبائل من تحول الغين طاء فتقول اصطافر الله بدلا من **استغفر الله**.

- وبعضها تقلب العين نونا فتقول أنطى بدلا من **أعطى**، وقد نطق النبي الكريم عليه السلام بهذه اللغة في قراءة سورة الكوثر: «إنا أنطيناك الكوثر». الكشاف للزمخشري الجزء الرابع.
- بعض القبائل تقلب التاء المبسوطة تاء مربوطة فتقول البناة بدلا من **البنات**.
- وهناك من يقلب الذال ضادا فيقول هاضا بدلا من **هذا**.
- ومن يقلب الظاء زايا فيقول زريف الطول بدلا من **ظريف الطول**. ومن القبائل من يقول بدلا من هكذا **هيج** هيضجا هيجضهاه!

* * *

هذا الكتاب
(نمر العدوان: حياته وشعره)

▲ الغاية من وضع الكتاب - تصحيح الأوهام والخرافات التي تراكمت على سيرة (نمر) الإنسان الشاعر، الفارس، الكريم. وجمع ما تشتت من أشعاره بدقة، بيان قيمة أشعاره الأدبية والتاريخية. تصحيح بعض المعلومات الخاطئة، التي رواها الجهلة للمستشرقين، الذين فضلونا في أنهم سبقونا إلى ترجمة بعض أشعار نمر إلى الألمانية، وعنوا بأخباره، تكريم ذكرى هذا الإنسان الذي سبق عصره، وجدد في محيطه، وما يزال ذكره يتردد في الصحف والمجلات والإذاعات والتلفزيونات.

وقبل هذا الكتاب كتبنا على نمر مسلسلا في ثلاثين حلقة، أذاعته مشكورة - سنة ١٩٧٥م، الإذاعة الأردنية، ومسلسلا في ثلاث عشرة حلقة، بثه تلفزيون (دبي) الملون، ثم بث في أكثر البلاد العربية سنة ١٩٧٦م بنجاح، وكان مخرجه الأستاذ (صلاح أبو هنود).

الكتاب مؤلف من مقدمة وثلاثة أبواب.

الباب الأول: مؤلف من ثلاثة عشر فصلا، اشتمل على نشأة قبيلة العدوان ونسبها وثورتها على الأمير (جودة المهداوي) بسبب طغيانه وتشريد قبيلة المهداوي، بعد الفتك به في وليمة حمراء، وقد سلم من قبيلته أسرتان تعيشان الآن في لبنان:

أ - أسرة أبو شقرا.

ب - وأسرة مريود.

ولادة نمر (في بيت) عمه (بركات) ونسبته إليه، في حين أن والده هو الشيخ (قبلان). تعليم (نمر) في القدس، وفي الأزهر. زواج نمر ب (وضحا)

وحياتهما المتميزة، علاقة نمر بفلسطين وبآل طوقان. مضايقة (نمر) في قبيلته وارتحاله، ومجاورته لابن ملاك - زعيم الصقور. ثم ارتحاله ومجاورته لعواد الموح) زعيم بني صخر، محاولات لاغتياله عند بني صخر، هربه ليلا. زعيم العدوان (حمود) يعرف قيمة (نمر)، بعد أن انتصر (الخرشان) - من بني صخر - على العدوان، وأجلوهم من البلقاء ونمر غائب، (نمر) ينظم قصيدة مؤثبة على الخرشان، فيثور العدوان، وينحون الخرشان في واقعة العديسية. دجال يحل في عرب العدوان، ويفضح دجله (نمر)، فيطرده الشيخ (ذياب) الذي تولى زعامة العدوان بعد (حمود)، وعرف لنمر قدره.

الباب الثاني: من أربعة فصول موت (وضحا) ونمر غائب، نمر يجاور عند قبر (وضحا)، ثم يتزوج بـ (وطفا) أخت (وضحا)، فلم يجد فيها شيئا من (وضحا)، فيطلقها. ثم يتزوج بمرأة شرارية، ويهجرها لأنها أرادت أن تساوي نفسها بـ (وضحا)، ثم يتزوج بامرأة من بني صخر اسمها (الجازية)، مرض (نمر) وموته ورؤاه وهو على فراش الموت - تخيلاته-.

الباب الثالث: من ثلاثة فصول. ومضات من روح الوفاء عند (نمر)، المراثي وتفسيرها. دليل الأشعار، دليل الهوامش إلى ٩٠٨، تفسير الكلمات الغامضة. بوادر لغوية. دليل الكتاب العام. صورة المؤلف الأدبية.

وجدت في أوراقي هذه الأبيات لنمر، في إحدى مفكراتي، فأرجو إلحاقها بالكتاب.

هذا البيت قبل رحيله عن قبيلة العدوان.

موته عزيزة عند الاجناب برى   أشوى ولا عند الرفاقي ذليل

وقال قبيل الهرب من عند بني صخر:

إن أنشدك عني امن الناس حساد   قل له شديد الحيل ع المخلدية

وإن سائلك عني امن الناس وداد   قل له كفيت الشر حاله زريه
النفس طابت عن هوى الزبن واطراد   تبغى الجماعة جنة الظاهرية

المعنى:

ميتة بشرف عند الأجناب خارج القبيلة أخف ألما للنفس من الإقامة بين الأقارب والأصدقاء بذل، إذا سألك عني أحد الحسدة الشامتين، فقل له: إني عظيم البأس امتطي فرسي المخلدية محفوظ الكرامة.

وإذا تقصى أخباري أحد المحبين، فقل له: كفاك الله شر ما يعاني، لأن أحواله يرثى لها.

نفسي امتلات زهدا بمعاشرة عشيرة الزبن وزعيمها اطراد، وجاذبها الشوق إلى الأقارب الذين يشبهون جنان الخلد، مهما قسوا وتنكرو، فإنهم نعيم الحياة الدنيا.

* * *

المؤلف في سطور



- روكس بن زائد العزيزي ولد في مادبا ١٩٠٣م في أغسطس.
- علم اللغة العربية وآدابها في عمان والقدس وبقية الضفتين ٥٦ سنة.
- طبع له بهذا الكتاب ٦٧ مؤلفا في كل فنون اللغة العربية وعلومها.
- ممثل الرابطة الدولية لحقوق الإنسان من ١٩٥٦م إلى الآن.
- عضو في مجمع اللغة العربية الأردني.
- عضو في المجلس الأعلى لبرلمان منظمة الفروسية الملكية الدولية.
- عضو لمدى الحياة في منظمة الفروسية الدولية.
- حائز وسام الصليب الأبيض، الذي يمنح لخاصة الخاصة.
- حاز جائزة الدولة التقديرية من صاحب الجلالة الحسين المعظم ١٩٨٩م.
- حاز الجائزة التقديرية الذهبية من القاهرة لأدبه الممتاز.
- حاز درع الجامعة الوطنية في سان دييجو/ الولايات المتحدة.
- اعتمد قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية في - جامعة يوتا - امريكا، جامعة باث/ بريطانيا، وجامعة السوربون الجديدة فرنسا، واعتمد في جامعة كاليفورنيا وجامعة صنعاء.
- نال جائزة الدراسات مرارا.
- نال شهادة اليوبيل الفضي من يد جلالة الحسين المعظم.
- نال جائزة جبران مع درعها ١٩٨٩م.
- سجل اسمه في سجل مشاهير المسنين العالميين.
- نال درع اتحاد الكتاب الأردنيين.

- نال درع مجلس مأدبا البلدي.
- عضو في رابطة الأدب الحديث في القاهرة منذ تأسيسها.
- عضو شرف في النادي الثقافي بجدة - المملكة العربية السعودية.
- كرمته مؤسسة شومان ١٩٨٩م.
- كرمه اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين.
- كرمته جمعية روابي السلط، فنال وسام القدس.
- عضو مراسل للمركز العلمي في باريس.
- عين ممثلا مفوضا لمنظمة الفروسية الملكية الدولية ٥/ ٤/ ١٩٩١م.
- حاز على جائزة: نخلة بدر الصحفية عام ١٩٩٧م.

إصدارات المؤلّف

الكتاب	الموضوع	الطبعة	المطبعة	المكان	السنة
المنهل في تاريخ الأدب العربي الجزء الأول	تاريخ الأدب	الأولى	مطبعة الآباء الفرنسيسيين	القدس	١٩٤٦
		الثانية	مطبعة الآباء الفرنسيسيين	القدس	١٩٥٠
		الثالثة	مطبعة لورنس	القدس	١٩٥٦
المنهل (الجزء الثاني)	تاريخ الأدب	الأولى	مطبعة الآباء الفرنسيسيين	القدس	١٩٤٨
		الثانية	مطبعة الشركة الصناعية	عمان	١٩٥٨
المنهل (الجزء الثالث)	تاريخ الأدب	الأولى	المطبعة التجارية (حبش)	القدس	١٩٥٨
الزنابق (سبعة أجزاء)	مختارات أدبية من الشعر والنثر	الأولى	مطبعة دار الأيتام الإسلامية	القدس	١٩٥٠
		الثانية	مطبعة دير المخلص	لبنان	١٩٥٣
		الثالثة	مطبعة لورنس	القدس	١٩٥٦
الجزء السابع من الزنابق		الثانية	مطبعة الشركة الصناعية	عمان	١٩٥٩
سدنة التراث القومي	تراجم	الأولى	مطبعة الآباء الفرنسيسيين	القدس	١٩٤٧
شاعر الإنسانية	تراجم	الأولى		القاهرة	١٩٥٥
الإمام علي أسد الإسلام وقديسه	تراجم	الأولى	مطبعة النعمان	النجف	١٩٦٧
		الثانية	دار الكتاب العربي	بيروت	١٩٧٩
		الثالثة	المطابع العسكرية	عمان	١٩٨٣
الخلاصة التاريخية ١، ٢	تاريخ العرب	الأولى	مطبعة الآباء الفرنسيسيين	القدس	١٩٥٦
		الثانية	المطبعة المركزية	القدس	١٩٥٨
مأدبا وضواحيها (بالإشتراك مع الأب جورج سابا)	تاريخ وآثار مصور	الأولى	مطبعة الآباء الفرنسيسيين	القدس	١٩٦١
الأردن في التاريخ وهبة الأمم		الأولى	مطبعة الجيش العربي	عمان	١٩٥٧
أبناء الغساسنة	قصة	الأولى	مطبعة البطريركية اللاتينية	رافات	١٩٣٦
			مطبعة العرفان	عرتوف	
أزاهير الصحراء	مجموعة قصص	الأولى		صيدا	١٩٥٤
			العرفان		
الأرض أولا	مسرحية ومسلسل	الأولى		بيروت	١٩٧٢

الكتاب	الموضوع	الطبعة	المطبعة	المكان	السنة
المبتكر لتعليم اللغة العربية مصور شارك فيه سماحة الشيخ ابراهيم القطان مرشد المبتكر	تعليم القراءة	الأولى	مطبعة الشركة الصناعية	عمان	
المساعد في الاعراب (الأجزاء ١،٢،٣،٤) (بالاشتراك مع الأستاذ خالد الساكت والأستاذ محمد الرشدان)	قواعد اللغة	الأولى الثانية الثالثة الرابعة	مطبعة المعارف	القدس عمان عمان	
فريسة أبي ماضي	بحث	الأولى	الاتحاد	عمان	١٩٥٦
قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية (ثلاثة أجزاء)	بحث	الأولى الثانية	مطبعة القوات المسلحة مطبعة القوات المسلحة	عمان عمان	٧٣/ ٧٤ ١٩٨١
تطور حقوق الإنسان	بحث	الأولى	مطبعة العرفان	بيروت	١٩٦٥
تطور الشعر في البادية	بحث	الأولى	نشر في مجلة الفنون الشعبية	عمان	
معلمة للتراث الأردني (مصور من خمسة أجزاء)	تراث				
الجزء الأول			المطبعة النموذجية	عمان	٨١/ ٨٢
الجزء الثاني			المطبعة النموذجية	عمان	٨٢/ ٨٣
الجزء الثالث			شقير وعكشة (مطبعة	عمان	١٩٨٣
الجزء الرابع			جمعية عمال المطابع	عمان	
الجزء الخامس			التعاونية		
جمد الدمع	سيرة ذاتية	الأولى	مطبعة الدستور	عمان	١٩٨١
شارك الأب الكرملي في تحقيق					
أ - نخب الذخائر	لغة	الأولى	مطبعة البرتيري	القاهرة	١٩٣٩
ب - علم النميات	لغة	الأولى	مطبعة البرتيري	القاهرة	١٩٣٩
جـ - تاريخ اليمن	تاريخ	الأولى	مطبعة البرتيري	القاهرة	١٩٣٩

الكتاب	الموضوع	الطبعة	المطبعة	المكان	السنة
تحقيق مذكرات الدكتور أحمد زكي أبو شادي	يوميات	الأولى	طبع تباعا في مجلة العرفان	بيروت	
وحي الحياة	تأملات	الأولى	طبع تباعا في مجلة العرفان	بيروت	
الطفل في الأدب العربي	بحث مطول	الأولى	مطابع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع	الجزائر	١٩٧٥
من توصيات المماليك للرهبان في القدس	بحث قدم في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام		مجلة الدارة العدد الثاني للسنة لسابعة محرم ١٤٠٢ نوفمبر ١٩٨١	الرياض	١٩٨١
المجتمع البدوي	بحث مطول		مجلة العرب العدد ال ٩ و١٠ كانون الثاني وفبراير ١٩٨٢	الرياض دار اليمامة والجزائر	١٩٨٢
النظام الإداري في العصر العباسي	بحث مطول		مجلة أقلام	بغداد	
النظام المالي في العصر العباسي	بحث مطول		مجلة أقلام	بغداد	
مفاهيم عصرية في الأدب المؤتم	بحث مطول		مجلة أفكار	عمان	
بحث عن فلسفة أوريليوس مقدمة لكتاب تأملات أوريليوس	بحث	الأولى		عمان	١٩٤٢
بحث عن فلسفة الخيام	بحث	الأولى	المكتبة العلمية ومطبعتها	بيروت	١٩٥٢
مقدمة لترجمة رباعيات الخيام من قلم الدكترو أحمد زكي أبو شادي)	بحث	الأولى	المكتبة العلمية ومطبعتها	بيروت	١٩٥٢

أعـمال المؤلف

● مسلسلات :-

أ - نمر العدوان عُرِض في الديار العربية، وما زال يعرض
إخراج صلاح أبو هنود

ب - رجم الغريب عرض في أكثر ديار العرب
إخراج صلاح أبو هنود

جـ - الأرض أولا ينتج

د - زلة الطنيب ينتج

● مسرحية الأرض أولا طبعة وزارة الثقافة ١٩٨٩ عمان
خمسة فصول

● حكايات من البادية طبعة دار الحمراء ١٩٩٠ بيروت

● الأنظمة والقوانين طبعة دار الحمراء ١٩٩٠
في البادية

● نحن نرسم وأنتم تكتبون ج١ طبعة الجمعية الملكية ١٩٨٧ بالاشتراك مع

● نحن نرسم وأنتم تكتبون ج ٢ طبعة الجمعية الملكية ١٩٨٧ المرحوم حسني فريز

● نحن نرسم وأنتم تكتبون ج٣ طبعة الجمعية الملكية ١٩٨٧ والمرحوم محمود العابدي

● مقدمة جمهرة أنساب العرب طبع في سورية ١٩٨٩

● ذكريات من البادية مجلة الدارة ١٩٨٧ الرياض

● نمر العدوان، طبعة اولى وزارة الثقافة ١٩٩١ الأردن

● نمر العدوان شاعر الحب شركة الربيعان للنشر ١٩٩٧ الكويت
والوفاء طبعة ثانية

● كتب أذيعت من الإذاعات، ثم نشرت في الصحف، وجمعت في كتاب.

أ - تاريخ الأردن غير المدون من ١٩١٤ - ١٩٢٢.

ب - أشلاء كتاب أحسن ما كتب الأردانة إلى سنة ١٩٤٦.

د - مقدمة وتحقيق الجزء السابع من موسوعة هكذا عرفتهم مجلة الموسم ١٩٩١ نشرت في جريدة الرأي ١٩٩٠ - ١٩٩١.

دليل كتاب نمر العدوان

الموضوع **الصفحة**

الباب الثاني

الباب الثالث







الأديب العلامة روكس بن زائد العزيزي، ٩٤ سنة، يعتبر أحد أبرز رواد حركة التنوير في وطننا العربي الكبير، فكيف لا يكون كذلك، وقد صدر له بهذا الكتاب ٦٧ مؤلفاً، في كل فنون اللغة العربية وعلومها، وكل مؤلفاته بما فيها الأعمال الموسوعية تعتبر من المراجع الأساسية، في العديد من الجامعات العربية والأجنبية.

فضلاً عن أنه حاز على الكثير من الجوائز والشهادات التقديرية، وهو عضو في العديد من المجامع والمجالس والجمعيات الأدبية والثقافية واللغوية، ولد الأديب في آب عام ١٩٠٣م، ومن يرغب بالاطلاع على المزيد من المعلومات عن المؤلف، عليه أن يطلع على الصفحات من ٢٨٧ إلى ٢٩١ داخل هذا الكتاب.

الكتاب

هذا الكتاب خلاصة لتقصيات دقيقة، وتحقيقات ماتعة، تصحح أوهاما كثيرة، وأساطير غريبة، كادت تشوه حياة نمر العدوان، المحب الوفي العجيب.

نتج بعضها عن جهل، وجاء بعضها للمتاجرة بقصة محب ملأت شهرته البوادي العربية، وسبقنا إلى الاهتمام به وبأشعاره المستشرقون الألمان خاصة، سنة ١٨٦٠م. رافق المؤلف فيه نمر العدوان، من مولده إلى أن لقي ربه، ذكر تعلمه في القدس، وفي الأزهر الشريف، وجمع أشعاره وفسرها تفسيرا تاما، ذاكرا لكل ذي فضل فضله. ولعل هذا الكتاب أوفى ما كتب على نمر باللغة العربية.

الناشر

٣,٥٠٠ د.ك أو ما يعادله